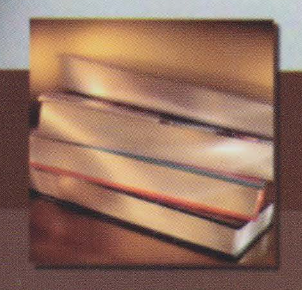
البحوث اللغوية والأدبية

(الاتجاهات والمناهج، والإجراءات)


الأستاذ الدكتور

هـادي نهـر

أستاذ اللغويات والأدب العربي جامعة جدارا

وعميد كلية الدراسات الأدبية واللغوية



عالم الكتب الحديث

Modern Book World

البحوث
اللغوية والأدبية

[الاتجاهات والمناهج، والإجراءات]

الأستاذ الدكتور

هــادي نهــر لعيبي

أستاذ اللغويات والأدب العربي جامعة جدارا
وعميد كلية الدراسات الأدبية واللغوية

عالم الكتب الحديث
Modern Book World
إربد- الأردن
2009

الطبعة الأولى

2009 - 1430

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2009 /1 /22)

001.42

لعيبي، هادي

البحوث اللغوية والأدبية: الاتجاهات، المناهج والإجراءات/ هادي نهر لعيبي- إربد: عالم الكتب الحديث، 2009.

(   ) ص

ر. إ.: (22/ 1/ 2009)

الواصفات:/الأبحاث/أساليب البحث/البحوث التربوية/اللغة العربية/الأدب العربي/

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.
* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ليست جميع الكتب التي تنشرها الدار تتبناها وتعبّر عن وجهة نظرها وإنما تعكس آراء ووجهة نظر مؤلفيها .

ردمك: ISBN 978-9957-70-179-9





فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الفصل السادس (ملاحظات ختامية)	145 - 146
❖ المبحث الأول: التفكير العلمي أسسه ومهاراته وأنماطه	147 - 166
1- التراكمية	147
2- التنظيم	148
3- البحث عن الأسباب	148
4- الشمولية واليقين	149
5- الدقة والتجريد	150
- مهارات التفكير:	151
1- الفهم والاستيعاب	151
2- اتخاذ القرار	151
3- التخطيط أو حل المشكلات	151
4- الحكم على الأشياء	152
5- الإحساس بالبهجة والاستمتاع	152
6- الانغماس في أحلام اليقظة	152
- أنماط التفكير:	153
1- التفكير الطبيعي	153
2- التفكير الوجداني	153
3- التفكير المنطقي	154
3- التفكير الرياضي	154
5- التفكير الناقد	154
6- التفكير العلمي	155

الموضوع	الصفحة

الإهـداء

((من النـاس (على قـول الخليـل بـن أحمـد الفراهيـدي البـصري) مـن يدري، ويدري أنه يدري فذاك عالم فاتبعوه.

ومنهم من يدري، ولا يدري أنه يدري فذاك ضال فأرشدوه.

ومنهم من لا يدري أنه لا يدري فذاك طالب فعلموه)).

فـإلى هـؤلاء جميعـا علمـاء، وباحثين،وطلبـة اهـدي هـذا الكتـاب المتواضع.

المقدمة

هذا كتاب موجز أحاول عبر صفحاته أن أضع بين أيدي طلبة الدراسات العليا في العلوم الإنسانية عموماً، وطلبة الدراسات اللغوية والأدبية على وجه الخصوص خلاصة تجربة إنسان حاول تحقيق شيء من المعرفة والعلم في نفسه، وكان له في عالم التدريس والبحث أعمال متواضعة امتدت على أكثر من ربع قرن من ا لزمن، وقد زيدت على هذه التجارب العلمية والعملية تجارب الآخرين ممن سبروا أغوار ا لبحث، ووضعوا بيننا رؤاهم، وأفكارهم، وخبراتهم التي تعين على تحسين أدائنا ونحن في صدد إنتاج المعرفة، سواء أكانت على شكل رسالة جامعية، أو بحث أكاديمي، أو كتاب علمي نريد أن ينتفع به الآخرون، ويوصل تجاربنا، وتلاقي أفكارنا جميعاً يمكن أن نتحصل على ما نستكمل به بحوثنا، ودراستنا، فالعلم عزيز المنال، رفيع الرقى لمن أزمع عليه، وانتظم في الصفوف الكريمة التي انتظمت فيه. ولا بُد لطالب العلم أن يظل دائماً في حدود صفة طالب العلم، لا يخرج عنها، ولا حصوله على ملكة من العلم تامة، أو دربة خاصة، أو تجارب وثيقة، فالعلم في الأذهان والصدور أكثر مما في السطور، ومن ظن أنّه قد استكمل حقائق العلم كلها فقد جهل إيّما جهل.

إنني لا أريد بهذا الكتاب إلا الاستفادة والإفادة ومذاكرة طلبتي ونظرائي في الدراسات العليا، طلباً للتحقيق، والتثبيت، والمعاونة، وحصول المنفعة، وأعترف سلفاً بالقصور في عالم البحث على الرغم من أني أكتب في أصول البحث ومناهجه، فعالم البحث عالم فسيح واسع باتساع العلوم، والمعارف الإنسانية، وقد جعلت الكتاب على سبعة فصول.

الأول منها: في المصطلح. وهو في مبحثين، الأول في:: المصطلحات حاولت فيه التعريف بمفاهيم مصطلحات من نحو: البحث، العلم، والمعرفة، والرؤية، والأطروحة، والرسالة الجامعية، والتقرير.

والثاني: في أنواع البحوث ومنهج البحث.

أما الفصل الثاني ففي: اتجاهات الدراسات اللغوية والأدبية في التراث العربي. وهو في مبحثين أيضاً، الأول في اتجاهات الدراسات اللغوية، والثاني في: اتجاهات الدراسات الأدبية والنقدية.

وكان الفصل الثالث في: مناهج البحث اللغوي. وتوزّع على مبحثين:

الأول في مناهج البحث اللغوي عامة، والثاني في: المنهج البنائي أو البنيوي.

واحتوى الفصل الرابع الموسوم بـ(المدارس والمناهج الأدبية والنقدية) على أربعة مباحث:

الأول في: المدارس الأدبية والنقدية.

والثاني في: منهجية الدراسات الأسلوبية.

والثالث في: علم لغة النص (والعمل الأدبي).

والرابع في: وظيفة النقد الأدبي.

أما الفصل الخامس فكان (في طريق البحث) وتقنياته. وتوزع على مبحثين الأول: المبادئ العلمية لإجراء البحث، والثاني في: مراحل إعداد البحث.

وكان الفصل السابع في (رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات العربية بين الوعي الثقافي والتخصص)، وهو فصل وصفي تطبيقي يحاول تحليل مجموعة من رسائل الماجستير والدكتوراه التي أنجزت في بعض الجامعات العربية في مجالات العلوم الإنسانية ليتبين ما فيها من خلل علمي، وتوزع هذا الفصل على ثلاثة مباحث.

الأول في: الوعي الثقافي والتخصص، والثاني في: سمات وظواهر عامة في الرسائل الجامعية، والثالث في: المطلوب من الدراسات العليا والرسائل التي تعد في الجامعات. وقد اعتمدت في إعداد هوامش هذا الفصل على طريقة تختلف عن طرائق إعداد هوامش الفصول السابقة، وذلك بتثبيت الإحالات والتعليقات في آخر الفصل وهي طريقة يعتمدها بعض الباحثين وحاولنا جعل هذا الفصل من الكتاب تمثيلاً لها لمن أراد اختيار هذه الطريقة من الباحثين والطلبة.

والحقت هذه الفصول بملحقين:

الأول: مشروع خطة أطروحة دكتوراه.

والثاني: دليل لإعداد رسالة جامعية متكاملة.

أما الفصل السادس فقد اشتمل على ملاحظات ختامية في عملية البحث وجعلته في مبحثين:

الأول: في التفكير العلمي أسسه، ومهاراته وأنماطه. وفي أنماط التفكير: الطبيعية، والوجدانية، والمنطقية، والرياضية، والنقدية، والعلمية، والإبداعية.

والثاني: في شروط البحث العلمي المعرفي المرموق.

وأخيراً أطمح إلى تأكيد ما يراودني من شعور وأنا أضع هذا ا الكتاب يتمثل في أن فيه أشياء نافعة تدعو إلى إخراجها إلى الناس طلبة وباحثين استحضاراً لقول الرسول الكريم ﷺ ((من علم علماً نافعاً وكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار)).

ويسرني أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى الأستاذ ياسر أحمد سيف أحد طلبتي النجباء في الدراسات العليا، وولدي المهندس سيف هادي نهر والآنسة لمساعدتهم في طبع الكتاب على الحاسوب ومراجعة مسوداته فجزاهما الله عني خيراً.

آمل أن يكون في هذا الكتاب ما ينفع والله من وراء القصد

الفصل الأول

(في المصطلح) وأنواع البحوث

المبحث الأول

في مصطلح البحث ومتعلقاته

البحث:

البحث في اللغة: التفتيش، والتدقيق، والاستخبار، وبحث في الشيء: سال عنه مستخيراً، وبحث عن الشيء: استقصاه، وفتش عن حبات القح بين التراب[1].

والبحث في الاصطلاح العلمي: عمل منظم (systematice)، في حقل علمي أو معرفي معين، يهدف إلى اكتشاف الحقائق (fact finding)، والمبادئ، أو لَمّ تفاريقها، وترتيبها، أو ضبط نقصها (discipline)، وتفسيرها تفسيراً عقلياً (logical ressoning)، وإزالة غموضها، وجعلها أكثر وضوحاً وبياناً، وبذلك يمكن التثبت من وجودها، وتحديد سماتها، وأسبابها، والحكم عليها، وبيان أسبابها والعوامل التي أدت إلى وجودها وأوجه العلاقات التي تربطها مع غيرها من الظواهر والقوانين العلمية، أو المعرفية، أو الثقافية، أو الاجتماعية السائدة[2].

والبحث العلمي أيضاً: كل سعي علمي منظم تحكمه معايير العلم، ويستند إلى طرائق منهجية محددة في دراسة ظاهرة علمية، أو معرفية، أو ثقافية بغية اكتشاف عناصرها، وسماتها، والعوامل التي تحكمت في حدوثها ووجودها.

ويمكن القول أيضاً إن البحث العلمي محاولة عقلية لحل مشكلة معينة، والوقوف على حقيقتها، وتفسيرها، والحكم عليها، وبيان ما وراء وجودها من علل وأسباب. أو أنه عمل منظم قائم على جملة من القواعد، والأصول، والطرائق المنهجية، مدعوم بأسبابه الذهنية، والمعنوية، والمادية.

---

(1) لسان العرب (بحث).

(2) ينظر: البناء النظري لعلم الاجتماع: د. السيد علي شتا، وعلم الاجتماع اللغوي: د. السيد علي شتا، ومناهج البحث في علوم المكتبات والمعلومات: د. عبد المجيد المهنا. ص 16.

أو أنه عمل منظم مستند إلى منهج معين، يهدف إلى اكتشاف حقائق الأشياء، أو تطويع المفاهيم، أو نقد الأفكار نقداً أصيلاً، ويبرز كيفية وجودها، والعلائق التي تربط بين مكوناتها، ومكونات الظواهر الأخرى التي نشأت في كنفها.

أو أن البحث العلمي باختصار: عمل علمي منظم في موضوع محدد، وممنهج ومحكوم بأصول وقواعد علمية خاصة.

ونحن مهما أكثرنا من تحديد مفهوم البحث العلمي لا نخرج عن وصف هذا العمل العلمي بسمات معينة، وتحديده بشروط خاصة هي التي تبيح لنا إطلاق مصطلح (بحث علمي) عليه، ومن هذه السمات والشروط التي يتوجب توافرها في (البحث) لكي يكون بحثاً علمياً الآتي:

1- أنه عمل ذهني منظم.
2- يتناول موضوعاً، أو ظاهرة، أو مسألة معينة محددة.
3- وانه عمل مرتكز إلى قواعد أصول ومناهج معينة.
4- وانه يحاول أن يشخص، أو يكتشف، أو يفسر، أو يطوع، أو يثبت من الحقائق والظواهر العلمية، والمعرفية، أو الثقافية، ويحدد عناصرها وخصائصها، وعللها، ومتغيراتها وتفسير العلائق التي تربط بين مكوناتها من جهة، وبينها وبين الظواهر الأخرى من جهة أخرى، وذلك لا يتم بالوقوف على حدود الوصف المجرد بتكرار السؤال ماذا (what) وإنما يتجاوز ذلك إلى تحديد المتغيرات، وتفسير الظواهر، بل التنبؤ بما يؤول إليه الأمر، أو الظاهرة المعينة، وذلك لا يتم إلا بالإكثار من السؤال (كيف) (how).

العلم: science

يقال: علم الشيء: عرفه، فهو عالِم، والجمع علماء، ورجل علاقة، أي: علم جداً. والعلم من صفات الله جل شأنه، فهو العالم، والعليم، والعلام بما كان، وما يكون قبل كونه،

وبما يكون، ولا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء أحاط على جميع الأشياء: باطنها وظاهرها، دقيقها وجليلها على أتم الإمكان[1].

أما علم البشر فالمقصود به "حصول صورة المعلوم في ذواتهم، بعد أن تكون حاصلة، فهو كله مكتسب، والذات التي يحصل فيها صور المعلومات هي النفس، فقد تبين أن البشر جاهل بالطبع، للتردد في علمه، وعالم بالكسب والصناعة لتحصيله المطلوب بفكرة الشروط الصناعية، ويكون الفكر راغباً في تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات فيرجع من سبقه بعلم، أو زاد عليه بمعرفة، أو إدراك، أو أخذه ممن تقدمه من الذين يبلغونه لمن تلقاه، فيلقن ذلك عنهم، ويحرص على أخذه وعلمه، ثم أن فكره ونظره يتوجه إلى واحد من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحداً بعد الآخر، ويتمرن على ذلك حتى يصير إلحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له، فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علماً مخصوصاً، وتتشوق نفوس أهل الجيل الناشئ إلى تحصيل ذلك فيفزعون إلى أهل المعرفة الخاصة به، ويجيء التعليم من هذا والله أعلم"[2].

والعلم اصطلاحاً:

إدراك الشيء بحقيقته، وهو مجموع أصول كلية تدور حول موضوع معين وتنتهي إلى بعض النظريات، والقوانين،، كعلم الزراعة، وعلم الفلك وجمعها علوم[3].

والعلم أيضاً هو "المعرفة والدراية والإدراك للحقائق"[4]، وهو أيضاً: الإلمام بالحقائق الكلية والمركبة التي تجمعها جهة واحدة، وأنه معرفة من نوع خاص حول ظواهر الواقع يتم تحصيلها، وفحصها من خلال النشاط والجهد المتواصل المستند إلى طرائق منهجية محددة، وبذلك يكون للعلم (طابعه الديناميكي والاستاتيكي وذلك لأنه يتخذ من المعطيات المعرفية

---

(1) اللسان، (علم).

(2) مقدمة ابن خلدون: 1/ 543. طبعة دار الفكر.

(3) ينظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية المصري مادة (علم) ص 432.

(4) إعداد البحث العلمي. د. غازي حسين عنابة 250.

(نظريات وقوانين) السابقة حول الظواهر التي يعالجها أساسه النظري لتفسير الواقع وظواهره"[1] وبهذا يكون العلم:

- معرفة ودراية وإدراكاً للحقائق الكلية والمركبة.
- وأن هذه المعرفة تتحدد في نوع خاص، أو ظاهرة واحدة من ظواهر الواقع.
- وأن هذه الظاهرة كامنة في جهة واحدة لا تخرج عنها.

المعرفة:

هي إدراك الشيء بتفكر وتدبر، يقال: فلان يعرف الله، ولا يقال يعلم الله متعدياً إلى مفعول واحد لما كانت معرفة البشر لله هي بتدبر أثاره دون إدراك ذاته، ويقال الله يعلم كذا، ولا يقال: يعرف كذا، ولما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكر وتدبر"[2]، قال تعالى: ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (المائدة/ 83)، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ (البقرة/ 146).

واختار الله لنفسه اسم العلم، وما يتصرف منه كالعالم، والعليم، والعلام. وأخبر أن له علماً دون لفظ المعرفة، وإنما جاء لفظ المعرفة في مؤمني أهل الكتاب خاصة[3]. وتطلق المعرفة عند بعض المحدثين على معنيين أساسيين[4]:

الأول: الفعل العقلي الذي يتم به إدراك الظواهر الموضوعية أي: عملية الإدراك.

الثاني: الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن، أي: حاصل عملية الإدراك.

---

(1) ينظر: علم الاجتماع اللغوي، والبناء النظري لعلم الاجتماع.

(2) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز أبادي، ج4/ 47.

(3) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز أبادي، ج/ 47.

(4) ينظر: مدخل جديد إلى الفلسفة: 27.

وفي الوقت الـذي تطلـق فيـه نظريـة المعرفـة (theory of Knowledge) علـى مجموع التأملات التي تهـدف إلى تحديـد قيمـة معارفنـا، وحـدودها، وتعـني (نظريـة العلـم) (epistemology) بالدراسة النقدية للمعرفة العلمية من حيث المبادئ التي ترتكـز عليهـا، والنتائج التي تنتهي إليها بهدف إبراز أصلها المنطقي وتحديـد قيمتهـا الموضـوعية[1]. ويمكـن تحديد الفوارق بين العلم والمعرفة بالنقاط الآتية:

1- إذا كان مفهوم العلم يعنى الإلمام بالحقائق الكلية والمركبة الـتي تجمعهـا جهـة معرفيـة واحدة، فإن المعرفة إلمام بالحقائق الجزئية والبسيطة في ميدان معرفي معين.

2- تتضمن المعرفة معارف علمية وغير علمية مما يقوم على ملاحظة الظواهر العامة رأي العـين، ويـستند إلى الخـبرة العمليـة بعيـداً عـن الفـروض، والدراسـة، والاختبـار، والتجريب والتنبؤ بغية اكتشاف الحقائق، وترسيخ المبادئ والمناهج كما هو حاصل في العلم، وهذه المعرفة القائمة على الملاحظة العامة هي أول مراحل المعرفة وأبسطها.

3- أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله فتقـول: عرفـت أبـاك وعلمتـه صالحاً، ولذلك جاء الأمر بالقرآن الكريم دون المعرفة كقولـه تعـالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (محمـد/ 19)، وقولـه تعـالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (البقرة/ 196). "فالمعرفة تـصور الـشيء مثالـه العلمـي في الـنفس، والعلـم حـضور أحواله وصفاته ونسبتها إليه، فالمعرفة: نسبة التصور، والعلم: نسبة التصديق"[2].

4- والمعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره.

5- والمعرفة علم بعين الشيء مفصلاً عما سواه، بخلاف العلـم فأنـه قـد يتعلـق بالـشيء مجملاً[3].

---

(1) نفسه: 67- 68 وينظر: نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة، د. عادل السكري.

(2) المصدر السابق: 4/ 49- 50.

(3) نفسه: 4/ 50.

الرؤية (vision):

تمثل الرؤية الفهم الشامل للحقيقة، أو الظاهرة المعينة، ولذلك يمكن عدها المحصلة النهائية لعملية البحث العلمي، أو التصور العقلي المنهج.

العقل والفكر: (thought/ mentally

العقل ضد الحمق، وعقل الشيء فهمه، وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عما لا يحسن، والعقل هو القوة المهيأة لقبول العلم. أما الفكر فهو: جريان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك مخصص بالإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في العقل، ولهذا قيل: تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله، إذ كان منزهاً أن يوصف بصورة، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم﴾[1].

الأطروحة: dissertation

يقال: طرح الشيء ويطرحه وبه طرحاً: ألقاه، وطارحه الحديث ونحوه: حاوره وبادله، وتطارحا الحديث: تحاورا وتناظرا. والمطارحة: إلقاء القوم المسائل بعضهم على بعض.

والأطروحة: كأحدوثة ما يطرح، والمسألة تطرحها للنظر، والجمع أطاريح[2]. وهي في الاصطلاح بحث علمي في مجال معرفي متخصص، يتناول مشكلة، أو ظاهرة، معينة يتعهدها الباحث بالدرس، والتحليل، والكشف، والاستنباط منذ أن كانت فكرة، أو فرضاً إلى أن تصير نتائج مدعومة بالبراهين، والحجج النقلية والعقلية، بحيث يفلح الباحث في عرض مفاهيمها النظرية، ووصف أطرها، والدراسات التي سبق أن بحثت فيها، أو في بعض جوانبها، وما أسفرت عنه تلك الدراسات السابقة من نتائج. ويتوقع من صاحب الأطروحة

---

(1) نفسه: 4/ 85، 212.

(2) مختار الصحاح، مادة (طرح) ص 389.

أيـضاً أن يـصف بوضـوح دوره في معالجـة المـشكلة، وتقـديره للـدلالات الـتي يمكـن أن يستخلصها بحثه لها، وكيف يمكن لنتائج البحث أن تمهد لتحقيق مزيـد مـن التقـدم في المجـال الذي تم تناوله في الأطروحة[1]. بحيث تـصبح الأطروحـة مرجعـاً علميـاً تتداولـه الأوسـاط العلمية المختلفة.

أما الرسالة الجامعية: thesis، فهي كالأطروحة أيضاً بحث علمي أكاديمي، والفـرق بينهما أن الأطروحة إنما تطلق- في الغالب- على رسـالة الـدكتوراه علـى وجـه الخـصوص والتحديد، في حين تطلق الرسالة الجامعية على بحث للماجستير، أو الدكتوراه.

التقرير: report

التقرير: عرض منهجي لنتائج استقصاء أو بحث للحـصول علـى معلومـات محـددة سلفاً، ويقوم به شخص معين، أو مجموعة أشخاص يتم تكليفهم للقيام بهذه المهمة[2].

أو هو عرض كتابي تحليلي للبيانات، والظروف، والأنشطة، والحقائق، والدراسـات المتعلقة بموضوع، أو مشكلة، أو قضية معينة[3].

وعلى هذا فإن التقرير يعنى برواية ما سبق معرفته عن طريق الخبرة، أو التجربة فهو عرض مدون للمعلومات التي اطلع عليها كاتبه، ووسيلة مـن وسـائل الاتـصال، وأداة مـن أدوات الرقابة، والمتابعة، والتقويم بين الخطـة المرسـومة، والـسياسة العامـة لتحقيـق الهـدف المنشود.والبحث ليس كذلك.

ويختلف التقرير عن البحث أيضاً في الأهداف إذ أن هدف التقرير التغيير change، والتأثير influence، والإقناع convencing، وهدف البحث الكشف، والخلق والإبداع. ويختلفان من حيث المصادر، والطريقة، فمـصادر التقريـر بيانـات ومعلومـات، وإحـصاءات موجودة، ومصادر البحث كتب ووثائق، ومقابلات. أما من حيـث الطريقـة فيـستند كاتـب

---

(1) دليل الرسائل والأطروحات الجامعية، أ.د. عبد الله الكيلاني، ص 3.

(2) ينظر: the oxford English dictionary.

(3) فن كتابة التقارير والبحوث. د. بشير العلاق: ص 14- 15.

التقرير إلى طريقة جمع المعلومات (collection)، ثم اختيار الأصلح منها (selecting)، ثم ترتيبها (arranging)؛ للخروج بنتائج وتوصيات (finding)[1]، وللبحث طرائق ومناهج متعددة.

المقالة: term papar

وهي بحث قصير لا يتطلب تعمقاً، أو تمحيصاً، في نقطة معرفية معينة. إنه ميدان أول يمهد لكتابة البحوث، وقد يكون منطلقاً لتأسيس بحث جيد، أو اكتشاف حقيقة ما.

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 29، ص 38.

المبحث الثاني

(أنواع البحث)

تتوزع البحوث على أقسام كثيرة باعتبارات كثيرة ومن ذلك نذكر الآتي:

أ- البحوث الأكاديمية:

ومنها رسائل الماجستير والدكتوراه، وبحوث الترقيات العلمية، وما ينشر من بحوث في المجلات العلمية المحكمة. وتتوزع هذه بدورها على أقسام مختلفة فمنها:

- بحوث نظرية تقابلها بحوث تطبيقية. الأولى تهدف إلى تطوير المعرفة الإنسانية في مجالات محددة، والثانية: تقوم على التجريب والاختبار[1].

- بحوث علمية واقتصادية، وسياسية، واجتماعية، وتاريخية، ودينية، وأدبية، ولغوية، وفلسفية، وغير ذلك.

- وهناك بحوث التفسير النقدي التي تتعلق بالأفكار أكثر من تعلقها بالحقائق، كالبحوث الأدبية، والفلسفية، والفقهية وغيرها مما يحتاج إلى فطنة، وحدة نظر، وخبرة، وثقافة[2].
- بحوث وصفية تعنى بتحليل الظواهر، وبيان صبغتها، ومعرفة العوامل المؤثرة فيها.

- بحوث تحليلية قائمة على استدعاء الأسباب والعلل التي تكمن وراء الظواهر، والأحداث، والوقائع، للإجابة عن كل الأسئلة والفروض المطروحة إجابة عقلية ممنهجة وهذه البحوث بحوث نوعية متكاملة (complete resreche).

---

(1) ينظر: أساليب البحث العلمي- الأسس النظرية- د. نائل عبد الحافظ العوالمة.

(2) ينظر: مناهج البحث في علوم المكتبات.

ب- وباعتبار المكان الذي تجري فيه البحوث هناك بحوث:

- مكتبية: تقوم على مصادر، ومراجع، ووثائق جاهزة وموجودة.
- ميدانية: حيث تقوم في أماكن معينة يتعايش فيها الباحث مع الظواهر والوقائع معايشة يومية، كما هو الحال في البحوث الأثرية، والزراعية، والجيولوجية وغير ذلك.
- بحوث تجريبية مختبرية تتم بمعية المختبرات العلمية المتنوعة.

ج- وباعتبار الجهات الداعمة للبحوث هناك:

- بحوث حكومية تدعمها مؤسسات الدولة ومراكزها البحثية.
- وبحوث خاصة تتبناها وتدعمها المؤسسات والشركات ومراكز البحوث الغير حكومية.

منهج البحث: (research program)

"النهج، والمنهج، والمنهاج: الطريق الواضح. وأنهج الطريق: استبان وصار نهجاً واضحاً بيناً. قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة/ 48)، ونهجت الطريق: ابنته وأوضحته. ونهجته أيضاً: سلكته، وهو سينهج سبيل فلان: يسلك مسلكه"[1].

هذا في اللغة، وفي الاصطلاح يعرّف ديكارت المنهج في (مقال في المنهج) (1637م) بأنه: "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من المتعددة وصولاً إلى الكشف عن الحقائق حين نكون بها جاهلين، أو البرهنة عليها حين نكون بها عارفين"[2].

والواضح أن ديكارت يركز في تعريفه على الأفكار لا القوانين لاهتمامه بالمنهج الرياضي الاستدلالي دون التجريبي أو التاريخي مثلاً وعليه يمكن النظر إلى المنهج، واستناداً إلى مدلول الكلمة اللغوي أنه: الطريق التي يسلكها الباحث في دراسته للمشكلة، أو الظاهرة

---

(1) بصائر ذوي التمييز 5/ 128.

(2) ينظر: مناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي ص 4.

المعينة بما يملكه من الكشف عن الحقيقة العلمية بوساطة مجموعة من القواعد والمعايير، والتقنيات، والإجراءات، والخطوات المنطقية والمنظمة التي تهيمن على سير العقل، وتحدد وتحكم عملياته قبل البحث وفي أثنائه، منذ البداية حتى الوصول إلى نتيجة معلومة.

ويرى بعض الباحثين ضرورة التفريق بين المنهج (approach) وما يطلق عليه اليوم مصطلح المنهجية (systematics)، إذ أن الأخير مصطلح حديث يقصد به (العلم الذي يبين كيف يقوم الباحث ببحثه) وهذه الكيفية واحدة لدى كل الباحثين، أما المناهج فتختلف حسب العلوم كما سنرى، وترتبط بالمنطق، وطرائق الاستدلال، وطرح الفروض، وطبيعة الموضوع، أو الظاهرة المدروسة، ولذلك فهي عرضة للتطوير وليست ثابتة لدى جميع الباحثين.

بين المنهج وخطة البحث: (plane)

لقد اختلط مفهوم البحث لدى بعض الباحثين بمفهوم الخطة حتى أصبحا عندهم مترادفين، والأمر ليس كذلك، فبين البحث والخطة فرق واضح يتحدد في أن خطة البحث إنما توضع تفصيلاتها، وتحدد معلوماتها، وتسمياتها أبواباً وفصولاً، ومباحث قبل البدء بعملية البحث، ولذلك تكون عرضة للتغيير، وكلما أحسنا وضع الخطة واتقنا تسمية أبوابها، وفصولها ومباحثها عبر دراسات أولية في الموضوع المعين وجدنا أنفسنا عبر البحث بعيدين عن الحاجة إلى تغيير جذري في الخطة قد يعود بنا إلى حيث نبدأ من جديد، وفي ذلك مضيعة للوقت والجهد.

أما المنهج فإنما تقرره طبيعة المادة المتحصلة عبر الاطلاع على المضان، والمصادر، والمراجع. وعبر عملية فحص دقيقة، وتحليل شامل لهذه المادة المتحصلة بغية اختيار المنهج الملائم لعرضها والكشف عن حقائقها، وأبعادها.

وبعد أن وقفنا على مفهوم المنهج لغة واصطلاح لنا أن نقرر أن غياب المنهج في أي بحث يعني غياب مبدأ الجدية، وصفة الأصالة فيه، فالبحث بلا منهج كلام في الموضوع، أو

المسألة، أو الظاهرة المعينة وليس بحثاً، ولهذا لا بد لكل بحث من منهج، أو مناهج محددة توجه، وتحكم مسيرته، ويمكن في ضوئها تقييمه، والحكم عليه.

وقبل الحديث في المناهج والتعريف بها لا بد من القول أن عزو تشكل المناهج إلى تاريخ محدد، وإلى مفكر أو عالم معين كما هو حاصل في أكثر الدراسات التي تناولت تاريخ ظهور البحث العلمي ومناهجه الكثيرة وعزو ذلك إلى القرن السابع عشر الميلادي حيث (فرنسيس بيكون) و (بوريال)، و(ديكارت) وغيرهم ممن يعزى إليهم قصب السبق في بناء المنهج العلمي، ومع إقرارنا بفضل هؤلاء في بناء المناهج لا نجيز لأنفسنا التسليم بالرأي الذي يرى أن (بيكون)، أو غيره هو مبدع المناهج ومبتكرها فذلك أمر يصعب الأخذ به، ونحن في مسيرة طويلة وسلسلة متصلة الحلقات العلمية والمعرفية التي كانت نتاج سعي مئات، أو الآف من العلماء والمفكرين الذين صرفوا أعمارهم، وأوقفوا جهودهم على البحث الدائم الدقيق وعن الحقائق، وإجراء التفسير النقدي للأحداث، والوقائع، والظواهر التي مرت بالإنسان، بما لا يمكن في ضوئه إسناد الإبداع إلى واحد من العلماء دون غيره، إذ لا ندري بالضبط ما الذي قدمه اللغويون، أو النقاد، أو الفنانون لحركة البحث العلمي على مستوى المنهج، وما دور الفلاسفة، والفقهاء، والمفكرين في ذلك، وما الذي قدمه علماء الطب، أو الفلك، أو الكيمياء في هذا الميدان، ومن الصعوبة بإمكان تحديد ما قدمه العالم العربي ابن الهيثم مثلاً على مستوى المنهج، وما قدمه الرازي (ت. 808هـ)، وما نصيب الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت. 175هـ) أو سيبويه (180هـ) أو الجاحظ (ت. 255هـ)، أو ابن خلدون، والقائمة تطول لو استعرضنا علماء الأعاجم، ولهذا السبب تكاثرت المناهج، وتعددت مسمياتها، ومفاهيمها، ولكنها مع تعددها، وتنوعها تلتقي في نقاط محددة مستقاة من مفهوم المنهج نفسه نذكر منها الآتي:

أ- أنها جميعاً تقوم على قواعد، وضوابط وخطوات، وإجراءات علمية، ومنطقية مقبولة قادرة على توجيه البحث العلمي الوجهة الصحيحة، وأحكام مراحله مرحلة مرحلة منذ بداية العمل في البحث إلى نهايته.

2- وأنها قواعد، وضوابط، وخطوات، وإجراءات موضـوعية لـيس للطوابـع الذاتيـة دور فيها.
3- وأن هذه القواعد والإجراءات تتسم- أو يجـب أن تتـسم- بوضـوح الرؤيـة، والـتفكير المنظم، والوعي المتفتح.
4- وأنها كلها تهدف إلى الحقيقة، ولا تدعي الصواب سلفاً.
5- وأنها جميعاً تعتمد، وترتضي العلم منهجاً كلياً للحيـاة إذ أن كـل شـيء في حياتنـا صـار علماً، فإذا لم نرتض أفراداً، وجماعات، وشعوباً العلم منهجاً للحياة لا يكون فينا علمـاء، أو باحثون حقيقيون، ولا يمكن أن نكون أمة عالمة.

ولتعدد المناهج وتكاثرها، وانقسام أغلبها على مناهج أخرى حاول أكثـر مـن باحـث تصنيف المناهج الكثيرة على مجموعات تندرج تحت كل مجموعة منها مناهج معينة، ومـن ذلـك نذكر[1]:

- تصنيف هويتني الذي أدرج فيه مناهج كل البحوث المرتبطة بالعمليات العقليـة الخاصـة بدراسة مشكلة من المشكلات، أو ظاهرة من الظواهر، ابتداء من وصفها، وبيان ما يحيط بها، إلى محاولة تفسيرها وربطها بغيرها من الظواهر والوقائع، وقد شمل هذا التـصنيف المناهج (الوصفية التحليلية بأشكالها المتعددة، النظرية، والتطبيقية، والفلـسفية والمنـاهج التاريخية، والتنبئية، والتجريبية).
- تصنيف ماركيز: وشمل المناهج (الأنثروبولوجية، والفلسفية، والتاريخيـة، والتجريبيـة) ومناهج دراسة الحال، والمسح.
- تصنيف جود وسكتس: وتحـت هـذا التـصنيف أدرجـت المنـاهج الوصـفية التحليليـة، والتاريخية، والتجريبية، والمسح.

---

[1] ينظر: مناهج البحث في علوم المكتبات، ص 25 وما بعدها.

ومهما تنوعت المناهج وتعددت تسمياتها فإن من الثابت أن ثمة نوعين أساسيين من المناهج:

أحدهما: غايته الكشف عن الحقيقة، ولهذا يوصف بالمنهج التحليلي أو منهج الحل، ويمكن أن يدعى (منهج الاختراع).

والآخر: غايته تعليم ما اكتشف من الظواهر، والحقائق إلى الآخرين، ويسمى (منهج التركيب) أو (منهج التأليف)، ويمكن أن يدعى بـ(منهج المذهب) [1].

والمناهج قد تكون مرسومة من قبل بطريقة تأملية مقصودة قادرة على أن تحدد قواعد وضوابط تتبين من خلالها أوجه الخطأ أو الانحراف من أوجه الصواب والاستقامة بما يمكننا في النهاية من تكوين طائفة من القواعد العامة الكلية التي تخضع لها في المستقبل طرائق بحثنا، وقد تكون نوعاً من السير الطبيعي للعقل، تحدد أصوله سابقاً، وذلك أن الإنسان في تفكيره قد ينظم أفكاره ويرتبها فيما بينها حتى تؤدي إلى المطلوب على أيسر وجه وأحسنه، على نحو طبيعي تلقائي ليس فيه تحديد، ولا تأمل قواعد معلومة من قبل، فهذا منهج أيضاً، ولكنه منهج تلقائي.

ومن هذه الزاوية يمكن لنا تقسيم المناهج جميعها على نوعين:

الأول: تحليلي عقلي تأملي.

والثاني: منهج تلقائي يمثل حركة العقل الطبيعية في النظر إلى الأشياء، والظواهر، من غير الاستناد إلى أصول منهجية، أو قواعد معلومة سابقة، ومن الثابت أن المنهج الأول هو الذي يمكن أن يكون موضوعاً لعلم ما[2].

---

(1) ينظر: مناهج البحث العلمي. د. بدوي، ص 4.

(2) نفسه: ص 5- 6.

الفصل الثاني

(اتجاهات الدراسات اللغوية والأدبية في التراث العربي)

مقدمة:

تتشعب الدراسات اللغوية الأدبية عند العرب إلى علوم شتى تسللت ظهوراً على مسرح الحياة المعرفية والثقافية للعرب على مراحل زمنية تكاد تكون متقاربة إذا ما استثنينا الشعر خصوصاً فقد كان للعرب معه شأن عظيم قبل ظهور الإسلام لزمن ليس بالقصير، أما علوم اللغة والبلاغة والنقد وغيرها من المعارف والعلوم، فقد كان محركها الأول الدين الإسلامي الحنيف من كتابه المعجز القرآن الكريم، وسنة رسوله محمد ﷺ. لقد تحركت بفضل الإسلام نفوس العرب وطاقاتهم الخلاقة باتجاه طلب العلم والمعرفة على اختلاف فنونها، واتجاهاتها، بما هيأ للعرب إنتاجاً معرفياً مرموقاً لم يتهيأ لغيرهم إنتاجه في حقبة زمنية لا تعد طويلة بالقياس إلى تاريخ الأمم والشعوب وقد أسهم هذا الإنتاج الثقافي والمعرفي في إثراء الحضارة الإنسانية على مدى القرون التي تلت الإسلام، مما يمكن من خلاله رد بعض المقولات المغرضة التي روجها ويروجها بعض الباحثين والمفكرين الأعاجم من أن الفكر العربي فكر بياني شرعاني يسرف في رؤاه الخيالية المحضة القائمة على ولع شديد بالشعر والأدب بعيداً عن القضايا العلمية والفكرية. وقد نسى هؤلاء، أو تناسوا ما قدمه العرب من ثروة علمية هائلة في الطب، والكيمياء، والرياضيات، والفلك، زيادة على ما قدموه من ثروة ثرية في ميادين المعارف الإنسانية كالآداب، والفلسفة، والمنطق، والاجتماع، والفنون، والدراسات اللغوية.

وفي الوقت الذي ليس من مهمتنا فيه بيان أبعاد ما قدمته الحضارة الإسلامية للمسيرة الحضارية الإنسانية كلها في ميادين العلوم والمعارف الإنسانية، لنا أن نحدد باختصار ملامح الدراسات اللغوية، والأدبية واتجاهاتها، ليكون هذا مدخلاً للتعريف بأشهر المناهج المعتمدة اليوم في الدراسات اللغوية والأدبية، آخذين بنظر الاعتبار درج هذه الدراسات حسب مراحلها الزمانية التي ظهرت فيها، وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول

الدراسات اللغوية

أولاً: الدراسات المعجمية:

وهي أقدم اتجاه في الدرس اللغوي عند العرب وقد تشعبت هذه الدراسات على شعب مختلفة نذكر منها:

أ- علم الألفاظ المفردة:

أو ما سمي- فيما بعد- (متن اللغة) حيث اهتم العلماء العرب منذ عهد مبكر من القرن الأول الهجري بجمع مفردات اللغة، وروايتها، ومعرفة أنواع هذه المفردات، الأصيل منها، والغريب عنها؛ كل ذلك بمعية الدلالة، فألفينا كتباً في (غريب القرآن) ككتاب: غريب القرآن، أو (لغات القرآن) المنسوب إلى الصحابي الجليل ابن عباس (ت.68هـ)- رضي الله عنهما-، والكتب التي ظهرت فيما بعد في غريب القرآن، وغريب الحديث، أكثر من أن تحصى[1] وكلها تشير إلى أن علم الدلالة، وعلم التفسير يبدءان منذ أن استقبل المسلمون النص القرآني المعجز، وواجهوا بعض المشكلات في فهم بعض مفرداته وتراكيبه وسياقاته، وقد انبرى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام إلى تفسير ما غمض المسلمين، فكان المفسر الأول، والحديث الشريف حدَّثه عليه السلام، فما فسّر القرآن منه لا يخرج عن كونه حديثاً نبوياً في الأصل، ولذلك كانت كتب التفسير الأولى جزءاً من كتب الحديث، ثم انفصلت عنها، ولكنها بقيت مصطبغة بمنهج الحديث، وسميت (التفسير بالمأثور)، حتى ظهر نوع جديد من التفسير يعتمد على شخصية المفسر، واجتهاده[2]، ومما يجب الإشارة إليه هنا ما عرف بـ(سؤالات نافع بن الأزرق) التي تعد من المقدمات الطبيعية لنشأة علم الدلالة

---

(1) ينظر: الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها، ص 158 وما بعدها.

(2) ينظر: الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها، ص 154.

العربي، وعلم التفسير بل والمعجم العربي فهذه (السؤالات) تمثل محاورة تجري على بيان معنى الكلمة المعينة الواردة في القرآن، والاستشهاد لها من أشعار العرب وسواء صحت نسبتها لابن عباس، أم لم تصح، فهي تمثل محاولة أولى لبناء معجم دلالي للعربية[1].

ب- علم الألفاظ المركبة:

حيث انصب اهتمام اللغويين العرب منذ القرن الأول للهجرة على رواية اللغة، ومقابلة النصوص الشعرية والنثرية التي أبدعها شعراؤهم، وفصحاؤهم الأوائل. وقد عرفت الرواية الأدبية- كما سنرى لاحقاً- في عصر ما قبل الإسلام، واتسعت في العصر الأموي، وامتدت إلى رواية القرآن على يدي القراء، ومن ثم روى المحدثون الحديث النبوي الشريف، ومن ثم رويت الأمثال، والتاريخ، والأنساب، وقد وضعوا لراوي اللغة شروطاً حازمة ومحددة[2].

ج- ثم ابتدأت مرحلة معجمية دلالية:

خاصة بكتب النوادر والتصويب اللغوي منذ القرن الثاني للهجرة ككتاب (النوادر) للفراهيدي (175هـ)، وكتب النوادر لقطرب (206هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (210هـ)، والأصمعي (216هـ)، و(لحن العامة) للكسائي (189هـ)، وغيرهم.

وكتب المعاني والصفات التي اهتمت بناحية لغوية موضوعية واحدة، متناولة ألفاظها بالتفسير والشرح، فهناك مصنفات في (الحيوان، والنبات، والشجر، والأنواء، والمواقيت، والأمكنة، والحرب، والسلاح، والخيل، والنساء، والحيّات، والطير، والعقبان، والجراد، والذباب، وغير ذلك مما يشير إلى أن الجدل القائم بين اللفظ والمعنى قديم عند العرب، وظهرت منذ أوائل القرن الثالث الهجري (معاجم الألفاظ) التي عنيت بإيجاد الألفاظ

---

(1) ينظر: المحاورة في الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: 1/ 55 وما بعدها.

(2) ينظر: رواية اللغة، عبد الحميد الشلقاني، ص 37- 39.

المناسبة للمعاني التي تجول في الذهن ويراد تجريدها نثراً أو شعراً، نذكر من ذلك كتاب (الألفاظ) لابن السكيت (ت 244هـ) وفيما بعد (فقه اللغة) لأبي منصور الثعالبي (ت. 429هـ)، و(المخصص) لابن سيده (ت. 458هـ).

د- ظهر أول معجم لغوي شامل:

بالمعنى العلمي المعروف في تاريخ الدرس اللغوي العربي، بل في تاريخ الدراسات اللغوية الأممية جميعها على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. 175هـ) معتمداً فيه منهجاً وصفياً تحليلياً دلالياً قائماً على (الصوت، والكم، والتقليب).

هـ- ومنذ عهد مبكر نألف في الدرس اللغوي العربي:

إحساس العلماء بالعلاقة بين جرس اللفظ ودلالته، إذ وقف عند هذه العلاقة الخليل الفراهيدي[1]، وقد صرف ابن جني فيما بعد جهداً جهيداً في ترسيخ هذه العلاقة فأوقف لها أبواباً من كتابه الخصائص كباب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)[2] وباب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)[3].

و- ومنذ عهد مبكر أيضاً كان هنا تأليف في (وجوه القرآن):

أي المشترك اللفظي. ونذكر هنا أقدم هذه المصنفات وهو كتاب (الأشباه والنظائر في القرآن) المنسوب لمقاتل بن سليمان (ت. 150هـ)[4]. ومثله كتاب من نحو: (التصاريف في تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه. ليحيى بن سلام (ت. 200هـ)[5]،

---

(1) ينظر: الخصائص: 2/ 55، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 169.

(2) الخصائص: 2/ 153.

(3) نفسه 2/ 145، 2/ 152- 168.

(4) حققه د. عبد الله محمود شحاته ونشره عام 1975.

(5) حققه د. هند شلبي، تونس/ 1981.

وكتاب (الأجناس في كلام العرب وما اشتبه في الألفاظ واختلف في المعاني) لأبي عبيده (ت. 210هـ) وهو مفقود، وكتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه) لإبراهيم اليزيدي (ت. 225هـ)، ومثله لأبي العميثل (ت. 240هـ) وهما مفقودان.

وقد تزامن هذا الجهد مع جهد آخر للعلماء العرب الذين كانت مصنفاتهم أقرب ما تكون إلى علم الدلالة التركيبي ككتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة، (ومعاني القرآن) للفراء (ت. 207هـ)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدنيوري (ت. 276هـ).

ي- وكان للبلاغيين، والفقهاء، والمتكلمين، وعلماء الأصول:

جهد كبير في علم الدلالة تعددت مسائله، وتشعبت قضاياه، لاسيما ما قام به علماء الأصول إذ يعد علم الأصول بحث في الدلالة لفظاً وجملة، ونصاً وسياقاً، بما أثرى علم الدلالة العربي اليوم.

ثانياً: الدرس الصوتي:

تعود بوادر هذا الدرس إلى القرن الأول للهجرة حيث صنيع أبي الأسود الدؤلي (ت. 68هـ) المتمثل في وصفه ضوابط صوتية للقراءة، أعنى بها: حركات الإعراب من فتحة، وضمة، وكسرة، وتتمثل في صنيع الفراهيدي في تقسيمه الأصوات العربية على وفق مخارجها الصوتية تقسيماً تشريحياً مذهلاً، لم تسجل عليه الدلالات العلمية الحساسة اليوم أي خلل واضح، بما يجعل للعرب ومن خلال صنيع الخليل هذا قصب السبق في ميدان الدراسات الصوتية على الحضارة الإنسانية كافة، وتلك حقيقة أكدها العلماء الغربيون النيرون أنفسهم[1].

ولا بد من توجيه النظر إلى جهود سيبويه في الكتاب، وابن جني في (سر صناعة الإعراب)، وإلى ما قدمه العلماء الكبار الذين اشتهروا أكثر من غيرهم في تأليف كتب في

---

(1) ينظر: الحروف والأصوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين، ص 208.

القراءات القرآنية من أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام (ت. 244هـ)، وأبو حاتم السجستاني (ت. 255هـ)، وثعلب الكوفي (291هـ)، وأبو بكر أحمد بن مجاهد (ت. 324هـ) وابن خالويه (370هـ) والعباس بن الفضل الأنصاري الدار قطني (علي بن عمر) (ت. 385هـ) وعشرات غيرهم[1].

ثالثاً: علم النحو:

وقد ظهرت بوادره الأولى منذ القرن الأول للهجرة حيث الإمام علي عليه السلام، وأبو الأسود الدؤلي، وتلاميذه من قراء الذكر الحكيم من أمثال: نصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز، ويحيى بن يعمر، وغيرهم[2]. ونضج على يد نحاة البصرة الأوائل من أمثال: ابن أبي اسحق الحضرمي (ت. 117هـ) وتلاميذه عيسى بن عمر (ت. 149هـ)، وعمرو بن العلاء (ت. 154هـ)، ويونس بن حبيب (ت. 182هـ). وقد استوى على القمة علماً كاملاً متكاملاً على يد الخليل، وتمثل في كتاب تلميذه سيبويه، وفي آثار من بعدهما.

وقد توسعت دائرة هذا العلم ووظائفه، وتمثّلت في ثلاثة اتجاهات هي:

الأول: اتجاه يبحث في أحوال التراكيب، والرتبة، ونظام الكلمات، داخل الكلام، ورصد أي تصرف أفقي فيها، وظيفة كل كلمة داخل التراكيب، ووظائفها، ويبحث للعوامل اللفظية، وكذلك يدرس أحوال التعريف والتنكير، وأنظمة الربط، والسوابق واللواحق، والأدوات النحوية، وغير ذلك مما يشكل علم النحو[3].

ومن الجدير بالذكر أن الدرس النحوي اليوم يفرق بين النحو، والنحوية من جهة، وبين النحو وعلم التراكيب من جهة ثانية.

ففي الأول نجد أن النحوية (Grammaticality) تعني أن القول، أو التعبير لا يكون نحوياً إلا إذا تم على وفق القواعد اللغوية للغة من اللغات. ومن هنا ميزوا بين قبول

---

(1) ينظر: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية- لزكريا بن محمد الأنصاري الشافعي، ص 12 وما بعدها.

(2) ينظر: المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، ص 7.

(3) يمكن النظر إلى البنية اللغوية على مستويات مختلفة: مستوى تركيب الجملة والمستوى الصوتي، والمستوى الصرفي.

المعنى والنحوية، فقد تكون الجملة صحيحة نحوياً، ولكن المعنى غير مقبول وذلك لنحو قولنا: ظهرت النجوم وضح النهار.

أما (التركيب) أو تركيب الجمل (Syntactic Structure) فيهتم في نظم الكلمات في وحدات لغوية مثل نسبة الجملة والجملة، ويمكن مقابلة لغة بأخرى من حيث تركيب البنية النحوية ويهتم أيضاً بدراسة طريقة نظم الكلمات لتكوين الجمل والقواعد التي تخضع لها هذه الجمل مثل التصريف وترتيب الكلمات.

الثاني: اتجاه يختص بأصول النحو، التي تشبه أصول، الفقه، ويحاول أن يبرز مفاهيم مقولات من نحو: السماع، والقياس، والعلة، والعوامل، والحدود، والمصطلحات النحوية.

الثالث: اتجاه يبحث في الأسس المنهجية للتحليل النحوي ويمثل هذا الاتجاه ابن السراج (ت. 316هـ) في كتابه (أصول النحو) وابن مضاء القرطبي في كتابه (الرد على النحاة).

وفي عصور متأخرة تتجه الدراسات النحوية واللغوية اتجاهات مختلفة وتفرز لنا مئات المصنفات في موضوعات نحوية شتى منها نذكر:

- تأليف المنظومات والمختصرات النحوية.
- كثرة كتب الشروح والمطولات.
- التأليف في الألغاز والأحاجي النحوية.
- التأليف في الحدود، والاحتمالات الإعرابية وغير ذلك[1].

وقد اكتملت دراسة المستويات اللغوية الثلاثة (الصوتية، والصرفية، والنحوية) قبل نهاية القرن الثاني للهجرة.

---

(1) حققه: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، وطبع مرات.

رابعاً: الدرس الصرفي:

ويختص بدراسة قوانين الألفاظ المفردة أبنيتها وأوزانها، والمشتق والجامد، والمجرد والمزيد، والصحيح والمعتل والمذكر والمؤنث، والمفرد والمثنى والجمع، والمنسوب، والمصغر منها، وغير ذلك مما يهتم به علم قوانين الألفاظ المفردة من حذف، وزيادة، وإبدال، وإعلال، وإدغام.

وقد ظهر هذا الدرس متوازياً تاريخياً مع علم النحو، إذ جاءت الدراسات الصرفية الأولى ضمن الكتب النحوية، وقد استمر هذا إلى أن جاء أبو عثمان المازني (ت. 249هـ) الذي حاول أن يستقل بدراسته الصرف في كتاب خاص، ينظم مواده، ويصوغها صياغة علمية، فوضع كتاب الموسوم بـ(التصريف) الذي قام بشرحه فيما بعد ابن جني في كتاب سماه (المنصف في شرح التصريف)[1]. وقد اعتمد بعض اللغويين فيما طرحوه من مسائل الصرف منهجاً تحليلياً وصفياً، لاسيما في حديثهم عن (توجه الصيغ الصرفية) بوصفها طائفة من المباني تمثل طائفة من العلاقات التي تمثل بدورها مجموعة معرفية دلالية.

فقد قام هؤلاء اللغويون بتقسيم الأبنية الصرفية تقسيماً تحليلياً وصفياً فهناك الآتي:

1- ما يدل على أن هذه الأبنية على معاني التقسيم نفسه كصيغة الاسم إذ تعبر عن الاسمية وهو يمثل البعد الرأسي.

2- المباني التصريفية التي يتم التصريف على أساسها كالمتكلم وفرعيه والمفرد ونوعيه والمعرفة وأنواعها وهذه أبواب الكلام، أعني أقسام الكلام.

3- معنى الحديث الكلامي أعنى العلاقة بين جرس البنية (صيغتها الصرفية) ودلالتها.

وقد وضح من خلال هذا المنهج كيفية اختلاف العلماء وخاصة علماء التفسير في توجيه بعض الصيغ الصرفية، ومن ثم الاختلاف في الدلالة المرادة من النص كله.

---

[1] ينظر: مناهج الدراسات النحوية واللغوية في العالم العربي في القرنين السابع والثامن للهجرة، د. هادي نهر.

خامساً: علم الأشعار:

وقد اهتم هذا العلم بالشعر خاصة وذلك بفحصه لتثبيت أوزانه البسيطة، والمركبة، وحصرها، وتصنيفها، وبيان أقسام تفاعيلها، ووحداتها من:.أسباب، وأوتاد، وفواصل ودراسة قوافيها وأنواعها من التراكيب: متراكب، ومتواتر، ومترادف، ومتدارك، وحروفها من: روي، ووصل، وردف وخروج؛ وحركاتها من: إشباع، ورس، وتوجيه، ومجرى؛ وعيوبها: من إقواء، وإبطاء، وتضمين، وإسناد، بأنواعه[1].

ونذكّر هنا بصنيع الفراهيدي في ابتكار علم العروض العربي وثعلب في (قواعد الشعر)، و(القوافي) للأخفش، و(القوافي وما اشتقت ألقابها منه) للمبرد، والكافي في العروض والقوافي للخطيب القزويني، وغيرها كثير.

وبعلم الأشعار والقوافي وصنعة الشعر تكتمل أو تكاد تكتمل الدراسات اللغوية ويتشكل ما يسمى بـ(علوم العربية) التي نص أبو البركات الأنباري (ت. 577هـ) على استقلاليتها مسمياً إياها (علوم الأدب)، وهي عنده:

(اللغة، والنحو، والتصريف، والعروض،، والقوافي، وصنعة الشعر، وأخبار العرب وأنسابهم) وزاد عليها هو (علم الجدل) في النحو، وعلم أصول النحو.

سادساً: فقه اللغة:

ظهرت مباحث (فقه اللغة) عند العرب منذ فترة مبكرة على هيئة دراسات جزئية تعالج ناحية معينة من نواحي اللغة، ككتب الصفات، والمعاني، والنوادر، والمجازات، والاشتقاق. وتستكمل هذه المباحث أبعادها الموضوعية في كتب عربية كثيرة من أشهرهاا كتاب الخصائص لابن جني الذي استطاع في كتابه أن يفتح في العربية أبواباً لم يتسن فتحها من قبل لسواه، وعالج موضوعات لغوية لم يسبقه إليها أحد فتحدث في مفهوم اللغة، وأصلها وخصائص العربية واشتقاقها، وأقيستها، ومترادفها، ومشتركها، ومجازاتها، وتركيب

---

[1] ينظر: موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، د. عبد الرضا علي.

اللغات وتداخلها، واختلاف لغاتها ولهجاتها، وغيرها من البحوث التي تدخل في صلب فقه اللغة، وتؤكد م لابن جني من أفكار واضحة محددة في علم اللغة بـالمعنى المعـروف اليـوم في الدراسات الحديثة.

وفي القرن الرابع أيضاً يشارك ابن جني في البحوث التي تدخل في ميدان (فقه اللغة) ابن فارس (أحمد أبو الحسنين القزويني) (ت. 390هـ) صاحب كتاب (الصاحبي في فقه اللغة وسنن كلامها) الذي احتوى بحوثاً قيمة تدخل في إطار علم اللغـة بمفهومـه الحـديث أيـضاً. ومن بعد ابن فارس ينشئ الثعالبي (أبو منصور) (ت. 429هـ) كتابه الموسوم بــ(فقـه اللغـة وسر العربية) وينشئ ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت. 458هـ) كتابـه الشهير (المخصص) الذي يمثل جهود المغاربة في فقه اللغة.

سابعاً: علوم البلاغة:

وقد ابتدأ البحث في علوم البلاغة في القـرن الثالـث[1] حيـث يطـل علينـا الجـاحظ (255هـ) في كتابه (البيان والتبيين) الذي استطاع أن يضع فيه يده على أمـرين خطيريـن في تشكيل النص الأدبي هما (الفهم، والتذوق). والمـبرد (ت. 285هــ) في: الكامـل في اللغـة والأدب، وابن المعتز (ت. 296هـ) في: البديع وابن طباطبا (ت. 322هـ) في: عيار الـشعر، والآمدي (ت. 370هـ) في: الموازنة، وأبو هلال العسكري (395هـ) في: الـصناعتين، وابـن سنان الخفاجي في: سر الفصاحة، والباقلاني (ت. 403هـ) في: إعجـاز القـرآن، والـشريف الرضي في: تلخيص البيان في مجاز القرآن، والقاضي عبد الجبار في: المغني. وتتوج الدراسات البلاغية في صنيع الأمـام عبـد القـاهر بـن عبـد الـرحمن الجرجـاني (ت. 471هــ) وقيـل: (474هـ) في كتابيه: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، ويبدو عبـد القـاهر الجرجـاني رجـل أدب في (أسرار البلاغة) وكلامياً في (دلائل الإعجاز)، وقد صاحب (نظرية النظم)، والأمـر

(1) كان سيبويه قد تحدث أول الأمر عن شيء في علم البلاغة استنبطه من النحو وذلك حين تحـدث عـن بـاب الاستقامة في الكلام، والإحالة، فالكلام عنده: مستقيم، حسن، ومحال، ومستقيم كذبن ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. ينظر: الكتاب: 1/ 8 ط بولاق.

عندنا ليس كذلك فقد سبقه في الحديث عن هذه النظرية المزعومة كثير من الأدباء وعلى رأسهم الجاحظ في: (البيان والتبيين) ولم يقف الدرس البلاغي عند حدود البيان والبديع والمعاني وإنما نجد في كتب البلاغة مستويات كثيرة من الدرس، فعلى مستوى المعاني نجد قضايا لغوية متعددة فهناك: المستوى الدلالي، والصرف، والنحو، والبلاغي وهناك دراسات في علم النص العربي لاسيما عند البلاغيين والفقهاء والأصوليين ممن حاولوا استنباط القواعد الشرعية من النص القرآني.

وصار للبلاغة فلسفة خاصة لها سماتها وركائزها، إذ وقف البلاغيون عند (المقام) فكانت مقولة الجاحظ المشهورة (لكل مقام مقال) مؤكدة دور السياق في بيان الدلالة، وكان لمسائل الإيجاز والإطناب والمساواة مكان مستفيض في الدرس البلاغي، زد على ذلك اختصاص كل علم من علوم البلاغة بزاوية أدبية محددة، فعلم المعاني خاص بمعالجة (المعنى) وهنا يأتي البلاغيون على (ثنائية اللفظ والمعنى)، وعلم البيان إنما يعالج (الصور)، والبديع وقف على موسيقى اللفظ وزخرفة القول، وهذه العلوم كلها تعالج (الأسلوب) شكلاً ومعنى على نحو يقترب مما يسمى اليوم (علم النص) (Text Science)، وقد اتجهت الدراسات اللغوية منذ ظهورها اتجاهات متعددة واستندت إلى مناهج متعددة كان من أبرزها المنهجان (المعياري) وقد طغى على الدرس اللغوي في (الصرف، والنحو، والبلاغة، وعلم العروض)؛ لأن هدف هذه العلوم منذ وجودها الأول كان تقنين قواعد، وإيجاد قوانين، وخلق نظام علمي لهذه العلوم، وهذا المنهج المعياري لم يستطع تغييب الجانب الوصفي في دراسته تلك العلوم.

أما (المنهج الوصفي) فقد استند اللغويون إليه في الدراسات (الصوتية، والدلالية، وعلوم فقه اللغة العربية).

المبحث الثاني

الدراسات الأدبية والنقدية

كان الشعر ديوان العرب، ومستودع أيامهم، وأفكارهم، وحياتهم، وأخلاقهم، وشمائلهم، ودياناتهم، وحروبهم، وكان الشعراء من أرقى الطبقات عقلاً، ومن أوسعها خيالاً، ومن أكثرها افتتاناً بالقول وكانت الرواية لنشره وذيوعه بين الأمصار العربية، وكانت طبقة الشعراء تحترف الرواية احترافاً، بحيث كان من يريد أن ينظم الشعر، وصوغه يلزم شاعراً يروي عنده شعره، وقد تسلسلت مدرسة هؤلاء الشعراء الرواة في حلقات، وطبقات تأخذ كل طبقة عن سابقتها، وتسلم إلى لاحقتها، ولم يعتن الرواة في عصر ما قبل الإسلام برواية الشعر فحسب، وإنما اعتنوا برواية الأمثال والخطب المشهورة[1]، والقصص التي تحكي أيامهم البسوس وداحس والغبراء، ويوم ذي قار والقصص التي عرفوها عن اليونانيين، والفرس، والرومان[2].

و"ليس بين أيدينا أي دليل مادي على أن العرب قبل الإسلام اتخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم، وخطبهم، وأمثالهم، وقصصهم، وربما كتبوا بعض ذلك، ولكنهم لم يتحولوا إلى استخدامها في نقل دواوينهم إلى الأجيال التالية"[3]. وقد كثر عدد الرواة في عصر الإسلام والعصر الأموي وكثر عدد الرواة في عصر الإسلام والعصر الأموي وكثر معه اهتمام العرب بجمع أشعارهم وأمثالهم ليستعينوا بها على إدراك ما غمض عليهم من ألفاظ الذكر الحكيم، ولهذا كان ابن عباس- رضي الله عنهما- يقول: "إذا ما قرأتم شيئاً من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه، من أشعار العرب، لأن الشعر ديوان العرب"، ولم تخمد جذوة الشعر في نفوس العرب في الإسلام، وإن كان قد قل شأنها، فالرسول الكريم- صلى الله عليه

---

(1) ينظر: تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي- د. شوقي ضيف، ط19، ص 141- 143.

(2) ينظر: فجر الإسلام، احمد امين، ط10، ص 60.

(3) ينظر: تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي_ ص 14 "بتصرف".

وعلى اله وسلم- حرض: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحه على الوقوف بوجه شعراء المشتركين، وكان الخليفة أبو بكر ﷺ رواية للشعر، وكذلك الخليفة عمر ﷺ من المهتمين بالشعر[1]، زد على ذلك أن حلقات العلم قد أدت دوراً بارزاً في رواية الشعر، وإنعاشها على الرغم من انكباب المسلمين على القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعلوم الدين، وقد قيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أتقول الشعر مع النسك والفضل، والفقه؟ قال: لا بد للصدر أن ينفث"[2] وظلت رواية الشعر شفوية حتى العصر الأموي، إذ بدأت حركة لجمع الشعر، بلغت ذروتها على أيدي العلماء في العصر العباسي.

بيد أن معنى التحري في وثوق الرواية، والتدقيق في النقل كان أمراً غريباً على أصحاب ذلك العصر، إذ نجد أن الرواة قد غيروا بعض أشعار ما قبل الإسلام عمداً، ونسبوا بعضها إلى شعراء من الجاهلية الأولى، وانتحوا بعضها بما يخدم مصالح القبيلة المعينة، أو يمجدها لكن الحسن في الأمر أن هذه الحركة في جمع شعر العرب قد استوعبت كل لغة الشعر العربي بخصائصها وسماتها اللغوية القديمة التي لم تضارعها لغة نسبها جزيري (السامي) من حيث مرونتها، ودقتها في التعبير بما استمدته من مادة لغوية هي نتاج تراكمي لجميع محصول اللغات واللهجات بما استمدته من مادة لغوية هي نتاج تراكمي لجميع محصول اللغات واللهجات المتعددة والمختلفة التي كان لها ارتباط وثيق بأهالي تلك اللغات واللهجات[3].

وقد ابتدأت كتب الشعر بالظهور منذ أواخر القرن الثاني، ومطلع القرن الثالث الهجريين، وكانت الأشهر رواة الشعر واللغة آنذاك من أمثال أبي زيد القرشي (ت. 171هـ)، والنضر بن شميل (ت. 204هـ)، وقطرب (محمد بن المستنير) (ت. 206هـ)، وغيرهم، ومن أشهر الكتب مما بين أيدينا اليوم نذكر:

---

(1) ينظر: تاريخ الأدب العربي، بروكلمان 1/ 42.

(2) حققها د. محمد علي الهاشمي، دار القلم- دمشق/ 1406هـ. وفي سنة وفاة القرشي خلاف فقيل أنه توفي سنة (171هـ) وقيل غير ذلك.

(3) ينظر: تاريخ النقد عند العرب، د. عبد العزيز عتيق، ص 278.

- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام. لأبي زيد محمد بن أوس القرشي[1]. وقد جعل الشعراء عل طبقات، وكل طبقة أعلى من أختها، وفي كل طبقة أعلى أدنى، وهي موزعة على سبعة أقسام في كل قسم سبع قصائد، لسبعة شعراء، وعلى النحو الآتي: أصحاب السموط، أي (الفلائد)، وأصحاب الجمهرات أي (عالية الطبقة)، والمنتقيات، والمذهبات، والمراثي والمشوبات (التي شاب أصحابها الكفر)، والملحمات (ملحومة الشعر). وفي الجمهرة (49) قصيدة لـ(23) شاعراً جاهلياً، و(16) شاعراً مخضرماً، و(10) شعراء إسلاميين وتمتاز عن المفضليات، والأصمعيات بمقدمتها النقدية المسهبة، وتقسيمها المحكم الدقيق.
- المفضليات للمفضل بن محمد الضبي الكوفي (ت. 178هـ) في (130) قصيدة ومقطوعة لـ(67) شاعراً، أكثرهم مات قبل الإسلام، وليس فيهم إلا قلة من المخضرمين فهناك (47) شاعراً قبل الإسلام، و(14) مخضرماً و (6) إسلاميين.
- الأصمعيات لأبي سعد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت. 216هـ)، وفيه (92) قصيدة ومقطعة لـ(71) شاعراً، منهم (44) شاعراً قبل الإسلام، و(6) إسلاميين، و(14) شاعراً مخضرماً، و(7) شعراء مجهولين.
- طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي البصري (ت. 233هـ) وهو في شعراء ما قبل الإسلام، والشعراء الإسلاميين. وقد وضع ابن سلام في كل طبقة أربعين من الشعراء، منهم أربعة رهط متكافئون ومتعادلون، وأقحم بين الطبقتين طبقات أخرى أطلق عل كل طبقة وصفاً معيناً، فهناك طبقات الشعراء الجاهلين وطبقة شعراء المراثي. فشعراء القرى العربية (مكة، والطائف، والحجاز، والبحرين) فطبقات الشعراء الإسلاميين، وشعراء اليهود.

---

[1] ينظر: طبقات الشعراء، ابن سلام، ص 3- 13.

والملفت في منهج ابن سلام في كتابه هذا جملة من الأمور منها:

1- إفراده شعراء المراثي في طبقة واحدة مستقلة على عكس من سبقوه ممن اشترطوا على الشاعر الجودة في أغراض الشعر كلها.

2- تخصيصه (شعراء اليهود) بطبقة مستقلة بما يشير إلى أنه من أوائل الذين انتبهوا إلى أن اختلاف النسيج الشعري لدى الشعراء تكمن وراءه- فيما تكمن- طبيعة الرصيد الثقافي والاجتماعي لديهم.

3- حديث ابن سلام عن فكرة (الانتحال) أي: الشعر المصنوع.

4- وحديثه في ثقافة الناقد، وجعلها انعكاس لمعايشة الأدب، وكثرة مدارسه.

5- حديثه في نشأة الشعر وتنقله في القبائل[1].

- وزيادة على دواوين الشعراء المفردة، وجدنا في القرن الرابع دواوين القبائل مروية عن علماء اللغة والرواية المشهورين[2]، من ذلك نذكر كتاب (الفهرست) لابن النديم (ت. 385هـ)، وكتاب (المؤتلف والمختلف) للآمدي (ت. 370هـ)[3].

- كتاب الاختيارين للأخفش الصغير (ت. 315هـ) وهو الكتاب الجامع بين المفضليات والأصمعيات، إذ قام الأخفش الصغير بالتعليق عليها شرحاً، للألفاظ الغريبة، وتوضيحاً للمعاني البعيدة.

ومنذ القرن الثاني للهجرة يبدأ النقد الأدبي تطوراً واضحاً، إذ اتسعت مجالاته، وتنوعت صوره واتجاهاته، وتعددت مقاييسه، بعد أن كان في عصر ما قبل الإسلام نقداً انطباعياً محضاً قائماً على الذوق الفطري لا الفكري التحليلي.

---

(1) ينظر: طبقات الشعراء، ابن سلام، ص 3- 13.

(2) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، ط7 مصر/ 1988، ص 485 وما بعدها.

(3) ذكر الآمدي في المؤتلف والمختلف ستين ديواناً من دواوين القبائل.

ينظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص 543 وما بعدها.

وقد تناول النقاد في القرن الثالث أكثر من قضية نقدية من ذلك نذكر منها:

- الحكم على جودة الشعر باعتبارات محددة.
- أوجه المفاضلة بين الشعراء.
- التفات النقاد إلى شيء من عيوب الشعر كالخطأ العروضي، واللغوي، والنحوي، وغموض المعنى، والسرقات الشعرية، زد على ذلك ما قدمه ابن قتيبة (ت. 276هـ) في كتابه (الشعر والشعراء).

وتبدو في أواخر القرن الثالث الهجري ملامح (نقد تأثيري) لا موضوعي خالص على يد (ابن المعتز) (ت. 296هـ) الذي رأى أن أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه[1].

وفي العصر الأموي وضعت رسوم لفن الكتابة على يد (عبد الحميد الكاتب)، ويتم ترجمة بعض الروائع الأدبية غير العربية كرائعة الهند (كليلة ودمنة) التي ترجمت من الفارسية.

وفي هذا العصر كثرت الخطابة السياسية، وكثر الرجازون، وابتدأ فن (السيرة) يأخذ له مكاناً بارزاً في الحركة الأدبية "فسيرة ابن اسحق التي هذبها ابن هشام تجمع بين القرآن، والحديث، والخطابة، والشعر، والحوار، والرسالة، وكذلك فيها عنصر قصصي وبخاصة السرد والحوار والوصف". ومع الفتوحات الإسلامية واطلاع العرب على التراث الحضاري للفرس والروم تتطور أساليب التعبير، ويغلب المضمون الفكري، وينضج الإحساس الوجداني، وتظهر أنواع جديدة من الأدب كفن المقامة، وأدب المناظرات في البيئة العقلية عموماً، والدينية والكلامية بوجه أخص، وينفذ التيار الفلسفي إلى الأدب شعره ونثره، مما يدعو ابن قتيبة (276هـ) إلى أن يشكو في مقدمة كتابه (أدب الكاتب) غلبة التيار العقلي الفلسفي على فن الكتابة.

---

(1) ينظر: الشعر والشعراء: ابن قتيبة ص 28.

ويبدأ (فن الرسالة) بالظهور على يد (ابن أبي داود) وابن الزيات وينضج هذا الفن أيما نضوج على يد الجاحظ (255هـ) الذي جعل من الرسالة فن مقالة تتنوع بتنوع أغراض الشعر، وعلى يده برز فن القصص كما هو واضح في كتابه (البخلاء)[1].

ويتحقق في النص الأدبي في عصر العباسيين السيادة للعبارة العربية، ولكن ثمة مزيج ظاهر أو خفي من ثقافات الفرس، واليونان، والهنود، كما هو واضح في نصوص للجاحظ، والثعالبي[2]. وفي العصر العباسي تبدو أمامنا الظواهر الأدبية الآتية جليلة واضحة:

1- مطولات شعرية مثلما الحال عند أبان اللاحقي الذي نظم (كليلة ودمنة) شعراً، ومطولات ابن الرومي.

2- شيوع بعض المضامين الشعرية العابثة، والهابطة.

3- احتدام الجدل بين القدماء والمحدثين حول قضايا أدبية كبرى، ووسائل التعبير، والشكل والمضمون، وثنائية الغنائية والخطابة كما هو الحال في شعر المتنبي، وثنائية المضمون الفكري والموسيقي الملتزمة كما هو الأمر في شعر أبي العلاء المعري وقضية السرقات الشعرية، نذكر منها (سرقات الشعراء) لابن السكيت (ت. 243هـ)، وكتاب (إغارة كثير على الشعراء) للزبير بن كبا (ت. 256هـ) وسرقات البحتري، وابن تمام، وسرقات الشعراء لأحمد بن أبي طاهر طيغور (ت. 280هـ).

4- ومنذ منتصف القرن الثالث الهجري يعكف (الجاحظ) على مناقشة قضية اللفظ والمعنى، فالبلاغة مزاوجة بينهما، ويعكف أيضاً على دراسة السرقات الشعرية وفصاحة الكلمة، وفصاحة الكلام، وقضايا البيان والبديع، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال[3].

---

(1) ينظر: المعاني علم الأسلوب، د. مصطفى الصاوي الجويني، س 100.

(2) ينظر: نفسه 101.

(3) ينظر: البيان والتبيين، وكتاب الحيوان.

5- وتتضح قضية البناء الفني في القصيدة على يد ابن قتيبة (276هـ) في الشعر والشعراء، الذي حاول فيه تناول قضية اللفظ والمعنى، وثنائية الطبع والتكلف، وأثر الحالة النفسية في الشعر وأن يضع خصائص محددة للنص الشعري المقبول، منبهاً في كتابه (أدب الكاتب) إلى خطر التيار الفلسفي في فن الكتابة.

6- وفي الرابع الهجري يحاول قدامة بن جعفر (337هـ)، في كتابه (نقد الشعر) تطبيق مقاييس بلاغية يونانية على النص العربي.

7- يستأثر المتنبي باهتمام النقاد وأبرز شراح الدواوين العرب فيتناول هؤلاء شعره بالنقد والشرح.

8- في القرن الثالث الهجري يقف النقاد العرب كثيراً عند مفهوم (الإيجاز) بوصفه (منهج أسلوب) فبنى الجاحظ فكرته على الخلوص للمعنى هو الذي يحدد أسلوبه اختصاراً أو غير ذلك، وأن المهم أن يعقد صلة بين (النص الموجز وتأثيره النفسي) على المتلقي، ويحاول عبد القاهر الجرجاني (471هـ) فيما بعد أن يطور من خلال (نظرية النظم) أن يؤكد هذه الحقيقة، وتتوالى سلسلة الأدباء والنقاد والبلاغيين العرب من أمثال ابن سنان الخفاجي، وابن أبي الإصبع، وابن الأثير، أن تتأمل مقولات الجاحظ ونقداته وتتبعها بالنقد، والتحليل، والتوسيع.

9- تلون بعض الأدب بلون ديني كما هو واضح في (زهديات) أبي العتاهية، وفي أدب الصوفية عموماً.

10- ظهور روائع نثرية خالدة كرسالة الغفران لأبي العلاء المعري التي تعد في منظور المعاصرين حاملة "بذور الرواية الأدبية، وفي منظور آخرين من هؤلاء المعاصرين فيها بذور ملحمية مسرحية"[1].

11- وفي الأندلس يظهر في الشعر تنويع موسيقي، وصياغة دقيقة تكشف عن طبيعة البيئة الأندلسية الجميلة، فكانت (الموشحات).

---

(1) نفسه: 103.

12- وينشط في هذا العصر العلماء في شرح الشعر، كما ألفناه من قبل عند الأصمعي في: الأصمعيات، والوحشيات، والمفضل الضبي في المفضليات، وأبو عبيدة معمر بن المثنى في شرحه للنقائض إذ ينبري لهذه المهمة من جديد لغويون ونحاة من أمثال النحاس المصري في شرحه للمعلقات، وكذلك فعل ابن الأنباري، والزوزني، وغيرهم ممن غلب على شروحهم الاهتمام بالمفرادات اللغوية، والقواعد النحوية، والأوجه البلاغية. ويستحوذ المتنبي على اهتمام اللغويين فينبري لديوانه شرحاً أكثر من عالم من أمثال (الواحدي)، و(العكبري) وابن جني. في حين يعكف أبو العلاء المعري على شرح مستفيض لشعره.

13- ثم تظهر كتب الأمالي والمحاضرات بعد أن استأثر شرح القرآن منذ مطلع القرن الثالث الهجري باهتمام العلماء كما هو الحال في تفسير التستري من علماء القرن الثالث، وهو في القرن الرابع (جرير الطبري) (ت. 310هـ) وغيرها كثير. أما كتب الأمالي والمحاضرات فقد احتوت على شروح للشعر يتخللها نقاش لغوي، ونحوي، وتاريخي، وأدبي نقدي، ولم يقف الأمر عند كتب شروح الشعر، إنما تعدى ذلك إلى تصنيف كتب في شرح النثر، كما في شروح (المقامات) من نحو شرح (الشريشي) لمقامات الحريري.

14- وفي عصور متأخرة تظهر المؤلفات الأدبية على أساس جغرافي كـ(الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)، ونفح الطيب، والمطرب، ومنهاج البلغاء وغيرها كثير.

وقد اعتمدت في هذه الدراسات الأدبية والنقدية مناهج متعددة منها ما هو:

1- منهج ذو نزعة ذوقية، تكشف عن ثقافة أصحابها وأذواقهم كما هو الحال في صنيع الأصمعي في الأصمعيات والوحشيات والمفضل الضبي في المفضليات. وكتب الحماسة، كحماسة أبي تمام، وحماسة البحتري.

2- منهج ذو طابع قائم على تحليل جمالي مختلط بطابع منطقي كلامي كما هو عند الجاحظ، وعبد القاهر الجرجاني.

3- ومنها ما هو منهج تطبيقي كما هو واضح عند الإمام عبد القاهر وابن الأثير.

4- ومنها منهج يزاوج بين النقد والبلاغة كما هو واضح عند ابن أبي الإصبع.

الفصل الثالث

مناهج البحث اللغوي

المبحث الأول

مناهج البحث اللغوي عامة

تعددت مناهج البحث اللغوي بتعدد المدارس اللغوية التي ظهرت على مدى التاريخ الطويل الذي قطعته الدراسات اللغوية منذ نشأة البحث اللغوي في الحضارات الإنسانية قبل الميلاد حيث الهنود القدماء[1] والإغريق[2]، وتلاميذهم الرومان[3]، مروراً بالعرب الذين كان لهم منذ القرن الأول للهجرة درس لغوي مرموق[4]، على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية كافةً مما سنلفت إليه النظر بتوسع لاحقاً.

وخلال هذه المسيرة الطويلة من البحث اللغوي ظهرت مدارس واتجاهات ومناهج لغوية كثيرة لا يزال أكثرها معتمداً في البحث والدراسة ومن أشهر هذه المناهج نذكر الآتي:

---

(1) كان للهنود القدماء وعي لغوي معمق على المستويات اللغوية كافة لاسيما المستوى الصوتي، وقد تولد عندهم منذ عهد مبكر شعور مستفيض بضرورة الحفاظ على النصوص الدينية الشفهية لديهم، وقد مثل كتاب (الفيدا) للغويهم المشهور (بانيني) الذي ظهر حوالي عام (1200- 1000ق.م) أبرز اهتماماتهم اللغوية، والصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية.

ينظر: Bloomfild, Language,p 10.

وتاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين: جورج مونان ص 64. وموجز تاريخ علم اللغة عند العرب، ر.50 روبيتر 231.

والمدارس اللسانية المعاصرة. د. نعمان بوقرة 34 وما بعدها.

(2) لليونانيين القدماء نظرية لغوية تكاد تكون متكاملة منذ القرن الرابع قبل الميلاد حيث سقراط والبلاغيين الأوائل، وحيث المدرسة الرواقية باتجاهها الفلسفي في القرن الثالث قبل الميلاد وقد بنى أصحاب هذه المدرسة منهجهم الجدلي على اللغة أساساً نشأتها، وعلاقة الدال بالمدلول. ون ثم (ارسطو) في نظريته التوفيقية في نشأة الألفاظ اللغوية، وأفلاطون في سعيه للتمييز بين الصوائت والصوامت، وغير ذلك.

ينظر: المدارس اللسانية المعاصرة، 40 وما بعدها.

(3) في تطبيقهم المقولات اللغوية ألفوا عدية الموروثة عن الإغريق تطبيقاً دقيقاً في وصف اللغة اللاتينية. وتمكنهم من هضم الآراء التي طرحها الإسكندرية والمدرسة الرواقية.

ينظر: البنيوية في اللسانيات، د. محمد الحناش، ص 62.

(4) نذكر هنا بجهود الإمام علي (ع) وأبي أسود الدؤلي (ت. 27هـ) ويحيى بن عمر (ت. 19هـ)، وابن عباس (رض)، ونصر بن عاصم الليثي (89هـ).

أولاً: المنهج المعياري Standard Theory:

إن من أبرز سمات هذا المنهج الآتي:

- التركيز على المقولات النظرية، وتقنين القواعد، وسن القوانين والضوابط التي تحكم الظواهر اللغوية. ولذلك طغى نحو (المقولات والأبواب) على (نحو الجمل) في الدرس اللغوي عند المتقدمين.
- الأخذ بالأقيسة والعلل التعليمية، ومن ثم العلل الجدلية والمنطقية.
- بروز مبدأ (الإلزام) و(المنع) و(الجواز) في سن القواعد والقوانين اللغوية.
- الأخذ بأوصاف (الشائع، والنادر، والقليل، والشاذ، والحسن، والقبيح) ونحوها في وصف المستويات اللغوية.

ثانياً: المنهج الوصفي التحليلي Descriptive Analysis:

هذا المنهج بأشكاله الوصفية، والتحليلية، والنظرية، والمنطقية والفلسفية والمسحية الميدانية أكثر المناهج مرونة واعتماداً في الدراسات الإنسانية على اختلاف موضوعاتها لشموله على أسس كافة المناهج تقريباً ما عدا المنهجين (التاريخي والتجريبي)، لأن التحليل، واستيفاء الوصف عنصر أساس في أي بحث دائماً ويستند هذا المنهج على ركائز محددة أبرزها الآتي:

1- يتناول بالدراسة والبحث لغة واحدة، أو إحدى ظواهرها أو لهجة واحدة، أو ظاهرة أدبية معينة، في زمن بعينه، أو مكان بعينة، محاولاً الكشف عن خصائص الشيء الموصوف كما هو موجود بالفعل "من غير التعرض للمفاضلة بين ما يجوز وما لا يجوز، وبين المقبول منه والمردود"[1].

2- لا بد للباحث المعتمد هذا المنهج من تحديد طبيعة الظاهرة اللغوية، أو الأدبية أو غير ذلك، ورصد اتجاهاتها، وبيان سماتها، ومدياتها وعلاقاتها مع غيرها من الظواهر.

---

[1] مزالق في طريق البحث اللغوي والأدبي وتوثيق النصوص، أ.د عبد المجيد عابدين، ص 46.

3- محاولة الوصول إلى الأسباب التي يكمن وراء الظاهرة المعينة، أو العوامل التي أدت إلى بروزها، واطرادها.

4- ليس من مهمات هذا المنهج سن القوانين بالافتراض، والتخمين، والتحليل في زمان ومكان معينين.

5- يستند أصحاب هذا المنهج إلى أسس متعددة كالتجريد (Abstraction)، والتعميم (Generalization)، والاهتمام بالتقسيمات، وتحليل المكونات والمضامين (Content Analyses) واستيفاء الوصف (Descriptive Adequacy).

6- تختص منهجية الوصف نفسها ببعض السمات العامة التي تحدد طبيعتها الظاهرة المدروسة كأن تكون دراسة المقاطع الصوتية في لهجة ما، أو أبنية الأفعال في ديوان معين، أو الجملة في ديوان معين، أو الزمن النحوي والزمن الصرفي، أو الألفاظ الدالة على المرأة في القرآن الكريم أو (صورة المرأة في الرواية اليمنية)، أو (شعر البرد وني دراسة بلاغية أسلوبية) أو غير ذلك. إذ لا بُدّ من الآتي:

- تحديد عينة البحث، وبنيتها.

- الشمول والاستقصاء في الوصف إذ أن هذا الاستقصاء الوصفي الشامل مجال للاختيار والانتقاء، فعند وصف الجملة الاسمية مثلاً لابد من التعرض لكل ما يتعلق بها انطلاقاً من (أصل الوضع) في هذه الجملة أعني: مبتدأ اسم، معرفة+ خبر.

ومن أصل الوضع هذا يتم وصف أي تصرف أفقي في النظام فقد يكون المبتدأ (مصدراً مؤولاً)، وقد يكون نكرة، وقد يتقدم الخبر هكذا.

- الائتلاف والاختلاط، إذ تقوم عملية وصف الجملة فيما تقوم على إيراد وصف أوجه التشابه والاختلاف بموازاتها مع ما يقابلها من الجمل، كالجمل الفعلية، أو الجمل الكبرى.

- ولا بد من الوضوح والطرافة في الوصف وذلك بالسعي إلى التعميم والتوحيد بين الملامح والأوصاف التي تلحظ، بما يضع المسألة المدروسة في جدل مع قضايا اخرى تمت لها بصلة معينة.

ثالثاً: منهج التحليل التاريخي: (Historical Analysis):

وهذا المنهج حركي تطوري. يستند إلى ركائز معينة نذكر منها الآتي:

1- استناده إلى التاريخ في تلمس حقيقة الظواهر، والأحداث، والوقائع باللجوء إلى العرض، والتحليل الزمني والموضوعي في رصد تسلسل الأحداث والوقائع، متتبعاً جذورها عبر حقبة زمنية محددة، أو حقبات متعددة، ناظراً أي تغيير حاصل على مدى الزمن، ابتداءً من نشأة الظاهرة مروراً بنموها، وتطورها، واكتمالها ثم تحديد سماتها في كل مرحلة من مراحلها.

2- محاولة الربط بين الظاهرة المدروسة والظواهر، والأحداث، والأبعاد السياسية، والثقافية، والاجتماعية، والدينية التي نشأت في كنفها، مع التركيز على السياق الموضوعي الإنساني المرتبط بها.

3- محاولة التحقق الدقيق من مصداقية البيانات، والمقولات وشرعيتها، وفي ظل هذا المنهج يمكن دراسة موضوعات لغوية من نحو:

- صيغ الجموع في العربية: أبنيتها وتطورها الدلالي.

- ألفاظ الحياة الاجتماعية في العصر العباسي: تأصيل ودلالة.

- التطور الدلالي في صيغتي: فعال وفعلان.

رابعاً: منهج التحليل المقارن (Comparative Analysis Method):

على الرغم من أن هذا المنهج يحمل طابعاً تاريخياً في أهدافه إذ أنه يكشف الجوانب التاريخية للغات التي تخضع للبحث المقارن لتحديد الأصل القديم ورصد أوجه التشابه[1]. إلا أنه يختلف عن المنهج التاريخي لكونه لا يرصد الظاهرة المعينة في حدود لغة، أو أدب معين بل يتجاوزها إلى مجموعة من اللغات التي تنتمي إليها اللغة المدروسة، متخذاً من الظاهرة اللغوية، أو الأدبية المعينة أساساً للبحث كأن تكون أصواتاً، أو أبنية، أو تراكيب.

ومن أمثلة البحوث التي يمكن أن تعتمد هذا المنهج نذكر:

- التقابل بين العربية والسريانية.
- أصوات الجهر والهمس في اللغات الجزيرية.
- نظام الجملة الاسمية بين العربية والعبرية.
- التعبير عن العدد بين العربية والعبرية.

خامساً: منهج التحليل التقابلي(2): (Contrastive Analysis):

يستدعي هذا المنهج وجود لغتين، أو مستويين، أو نظامين لغويين، أو أكثر مختلفي الانتماء اللغوي للتعرف على أوجه التشابه والاختلاف في المستويات الصوتية، أو البنائية، أو التركيبية، أو الدلالية، الكائنة بين لغة ما من أرومة أو أسرة معينة، ولغة أخرى من أسرة لغوية مختلفة.

وهذا المنهج تطبيقي محض يعتمد في تعليم اللغات[3] لتناوله تحليل الأخطاء، والتداخل اللغوي بين اللغة الأم، وما يراد تعليمه من لغة أخرى.

---

(1) ينظر: معجم اللسانيات الحديثة، د. سامي عياد، ص 30.

(2) ينظر: علم اللغة التقابلي: د. أحمد سليمان ياقوت.

(3) ينظر: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، د. محمود فهمي حجازي، ص 2.

ويمكن من خلال هذا المنهج التنبؤ بالصعوبات التي تواجه المتعلم من خلال التحليل التقابلي للنظامين اللغويين الخاصين بلغة المتعلم واللغة المراد تعليمها له.

ونعتمد دراسة مستويين لغويين في لغة واحدة كالفصحى والعامية في العربية مثلاً دراسة تقابلية، ومن أمثلة الدراسات التقابلية نقترح:

- دراسة الأصوات الانفجارية بين العربية والإنكليزية.
- أو أنماط الاستفهام بين العربية والفرنسية.
- أو أنظمة الربط النحوي بين العربية والإنكليزية.
- أو وسائل التعريف بين العربية والفارسية.

المبحث الثاني

المنهج البنيوي أو (البنائي): (Structuralism)

لا شك إن أصول البنائية قديمة ربما تعود ملامحها الأولى إلى الدرس الصوتي الذي تقدم به الهنود القدماء في دراستهم اللغة السنسكريتية القديمة، ومن بعدهم اليونانيون والرومانيون القدماء، ومن ثم اللغويون العرب الذين يمكن أن يكون الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. 175هـ) أحد رواد البنائية بوصفها منهجاً للبحث، وهو يقدم لنا (علم العروض العربي) الموزع على البحور الخمسة عشر المعروفة، أو في بنائه معجمه الشهير (العين) القائم على منهج صوتي، كمي تقلبي. ولم يجانب الفكر الفرنسي (جان بيرك) عندما قال "إن الابتكار العظيم الذي: نقول عنه اليوم البنيوية هو نظام الخليل في وزن أشعار ما قبل الإسلام واشعار العهد الأموي".

وعلى الرغم من قدم البنائية فإنها ضد المناهج التقليدية من تاريخية واستردادية، وتطورية، وجدلية على الرغم من أن البنائية مرت على هذه المناهج، واحتكت بها، بل اصطدمت إلى أن خرجت من هذا التصادم منهجاً قائماً بذاته تنضوي تحت ظله مدارس لغوية حديثة تبدأ بسوسير وتنتهي بجومسكي، بل أن جومسكي نفسه قد عد بنائياً إذ أطلق (جان بياجيه) على نظرية جومسكي اسم (البنيوية التحويلية) (Transformational Structurlism) مؤكداً "أن اهتمام جومسكي بالجملة وحدها، أو بالطابع الإبداعي للغة لا ينفي عن نظريته الصفة البنيوية العامة"[1].

لقد صار للبنائية مع بداية الثورة الصناعية والثورة العلمية التقنية فيما بعد تأثيرها البالغ على مجمل المفاهيم التقليدية ذات المرتكزات الفلسفية، والمنهجية، والمفهومة للمعرفة العلمية، وقد بدأت الدراسات الإنسانية تتأثر بتطور العلوم بما نقل المفاهيم المستعملة في العلوم الطبيعية إلا الدراسات الإنسانية مستعيرة في ذلك بعض الطرق الدلالية، والرياضية،

---

(1) العربية وعلم اللغة البنيوي، د. حلمي خليل، ص 7.

والبحث عن الصرامة العلمية عن طريق الرموز والبرمجة، والحاسبات الدلالية...الخ من الطرق القياسية لجعل سلوك الإنسان عبارة عن قياسات ومعايير محددة تفقد إنسانية الإنسان باستهدافها آليات سلوكه فقط، وفي هذا الإطار تطورت المناهج الوضعية للعلوم الإنسانية ومن بينها المنهج البنائي الذي يرتكز على "تحليل البناء"[1].

ويبدو لنا أن هذا المنهج قد استعار مفهوم (البنية) حديثاً من مشارب شتى كـ(علم الاجتماع) في إطار سعي هذا العلم إلى دراسة مماثلة بين هيكل جسم الإنسان والبناء الاجتماعي ومن (الهيجلية) و(الماركسية) وغيرها، بما يجعل تحديد المصطلح مسألة صعبة خارج إطار نظري. ومما يزيد الأمر صعوبة اعتماد البنائية على مناهج وطرائق كثيرة لتحقيق منهجها المستقل الذي صار له تأثيره البالغ في الدراسات اللغوية، والأدبية، والنقدية، والتاريخية، والاقتصادية، وعلم النفس، والاجتماع والإعلام...الخ، ولذلك يبقى مفهوم البناء مفهوماً محدداً بنوعية مجالات تطبيقاته المعرفية.

ولكن ما مفهوم البناء؟

يحدد (جان بياجيه) مفهوم البناء بأنه "مجموعة من العناصر المجتمعة في شمولية تمثل بعض الخاصيات في قالب عمومي، إذا كانت خاصيات هذه العناصر تابعة كلياً، أو جزئياً لميزات هذا القالب العمومي" مما دفع بـ(ليفي ستراوس) أن يوجز القول فيرى "أن مفهوم البناء هو في حد ذاته البناء"[2].

هذا البناء الذي نظر إليه من خلال منظورين أساسيين ساعدا على بلورة مفهوم قار للبنائية:

الأول منهما: منظور شكلي يمثله (بارث) و(ليفي ستراوس). يرى أن البنية ساكنة غير متحركة في الزمان والمكان. وهذه هي النظرية (الاستاتيكية) في المعرفة التي تعزل الظاهرة الأدبية، أو اللغوية، عن السياق التاريخي، والاجتماعي الذي نشأت فيه. فهي تبحث عن بنى دون أن تفرض وجوداً معيناً لها، فيتم وصفها على هذا الأساس من غير الالتفات إلى معناها

---

(1) مدخل إلى الإطار المعرفي للمنهج البنيوي، سكينة زواوي، ص 6.

(2) نفسه: ص 6.

الوظيفي، وعلى هذا دأب الاتجاه الشكلاني في دراسة اللغة، السيمولوجيا في النقد الأدبي، ويمثل هذا الاتجاه (دوسوسير) و(جان بوسون).

والثاني: منظور بنائي تكويني (Component) الذي ينصب اهتمام أصحابه على دراسة كيفية تشكل البنى وقد ارتبطت بالممارسة الإنسانية في توازن منظور بين الفاعل وفعله، أو بين الأشخاص والأشياء.

ولقد استطاعت البنائية في النصف الثاني من القرن العشرين من البحث أن تنتقل إلى ميادين معرفية متعددة كالأدب، فكان لـ(غولدمان) نظريته في الأدب، والتاريخ على يد (ميشال فوكو)، والثقافية الشعبية على يد (ر.بارت) الذي حاول تقديم البنائية بوصفها منهجاً للنشاط الفكري الخيالي، أكثر منه مذهباً فلسفياً، لأن الإنسان هو الذي يجزئ الواقع ويقوم بإعادة تراكيبه، وفي الربع الأخير من القرن العشرين عمت البنائية جميع العلوم والمعارف من غير استثناء.

وصار من تقنيات هذا المنهج تجزئة الظواهر، أو الأحداث، أو البنى إلى وحدات أصغر، فأصغر ثم إعادة تركيبها. مما جعل البنائية مهتمة بالشكل أكثر من الاهتمام بالمضمون، من غير أن ينضج تماماً تحديد بين الكل من الشكل، والمضمون.

وقد استطاع (غولد مان) أن يتبنى منهجاً بنائياً سوسولوجياً للمعرفة في عملية تحليل النصوص الأدبية بالاستناد إلى نظرة كلية، وتعني: تفوق شامل للكل على الجزء، ومن خلال التنقل بين الكل وأجزائه المكونة، والربط بين التوصيف، والتفسير العلميين يتم الحكم على الظاهرة المعينة، ويتم أيضاً معرفة ما هو جزئي، وما هو كلي، وما هو نوعي خاص بالظاهرة قيد البحث، وما هو عام، حيث يبدو أن لكل شيء داخل البناء دوراً وظيفياً في المقام الأول، وليس منطقياً مجرداً.

وإذا ما أردنا تلمس الأسس المنهجية التي قامت عليها المدارس البنائية في العصر الحديث نجد أنفسنا أمام الآتي:

- **أولاً:**

مدرسة جنيف. ورائدها السويسري (فردينان دوسوسير) (1857- 1913)، الذي يعود إليه الفضل في إرساء أسس الدراسات اللغوية الحديثة على دعائم محددة المعالم، وذلك من خلال محاضراته في (الألسنية العامة) التي ألقاها على طلبته ما بين الأعوام (1906- 1911)، والتي انبرى لنشرها بعد رحيله اثنان من تلاميذه البررة عام (1916) بعنوان: (دروس في الألسنية العامة)، وقد كان لهذه المدرسة الأثر الكبير في ظهور المدارس البنائية المعاصرة فيما بعد.

ويتحدد المنهج البنائي عند سوسير بدعوته إلى جملة من المفاهيم والأفكار التي يمكن إيجازها بالآتي:

1- تحديد هدف الدراسات اللغوية في عمل اللغة، وليس في تطورها، علماً بأن سوسير لم يقصد بهذا الهدف الحط من قيمة الدراسات اللغوية التاريخية، لكنه عد هذه الدراسات ثانوية قياساً إلى الدراسات (الوصفية).

2- أن اللغة تنظيم من الإشارات الإنسانية المغايرة ذات سياق خطي.

3- أن اللغة المنطوقة والمكتوبة مادة البحث اللغوي.

4- أن اللغة الإنسانية قائمة على نظم لغوية ثنائية متقابلة لا تسمح بأية نزعة جزئية، انفصالية في دراسة اللغة. وأهم هذه الثنائيات المتقابلة نذكر:

- ثنائية اللغة والكلام.
- ثنائية الصوت والمعنى. (الدال والمدلول).
- ثنائية: الدلالة والقيمة: فالدلالة توافق من الدليل اللغوي جانب المدلول المقترن بدال معين تجري دائماً في نطاق الدليل الواحد.

أما القيمة فهي أدق من الدلالة إذ هي تحصل عن علاقة الوحدة اللغوية (الدليل) بغيرها من الوحدات الأخرى. وهو أمر يتجاوز نطاق الوحدة الواحدة، ولا يمكن إدراكه إلا في مستوى النظام، ولا يتصور خارجه.

- ثنائية النموذج السياقي والقياس. ففي السياق تتحدد قيمة كل عنصر لغوي بالاعتماد على ما قبله وما بعده من العناصر.
- ثنائية الدراسات اللغوية التاريخية، والدراسات اللغوية الوصفية.
- ثنائية البعد اللغوي الداخلي، والبعد اللغوي الركني.
- ثنائية اللغة المنطوقة والسيمولوجيا بأنواعها.

- **ثانياً:**

ما بعد سوسير) وقد تمثل في:مدرسة ذات اتجاه شكلي (فونولجي) صرف، جاءت بعد مدرسة جنيف بعقد من الزمن وذلك باندماج (حلقة موسكو اللغوية) التي أقامها طلبة الدراسات العليا بجامعة موسكو عام (1925) وجمعية (دراسة اللغة الشعرية) التي أسسها جمع من علماء اللغة، ونقاد الأدب عام (1915)، وعلى رأس هؤلاء (رومان جاكبسون) الذي كان له دور بارز في تأسيس (حلقة براغ الألسنية) [1].

ولجاكبسون يعود الفضل أيضاً في بلورة الأفكار المنهجية عن الشعرية (لغة الشعر)، وأسلوب دراستها. ولعل أبرز المبادئ المنهجية الأساسية التي قامت عليها هذه المدرسة الآتي:

1- أنها أول مدرسة حاول أصحابها تحليل العلاقات بين العناصر اللغوية المختلفة في لغة ما حيث يتم تصورها على أنها كل شامل تنظمه مستويات محددة منها السمعية والكلية في مجال (الفونولوجيا)، ومنها المستويات (السيكو- ألسنية).

---

(1) تأسست حلقة براغ أول الأمر في تشيكوسلوفاكيا عام (1928) من لغويين ونقاد من روسيا، وفرنسا، وإنكلترا، وألمانيا، وهولندا، وتقدمت بنصوصها الأساسية إلى المؤتمر اللغوي الذي عقد في لاهاي عام (1928)، وفي عام (1930) ظهرت أول مدرسة منهجية في تاريخ (الأصوات اللغوية) قام بإعدادها جاكبسون وقد شاركه في ذلك (نيكولاي تروبتسكوي) صاحب كتاب: (مبادئ الفونولوجيا) في مجمل المستويات اللغوية: الصوتية، والصرفية، والمعجمية ومن المشاركين في (حلقة براغ) نذكر (أندريه مارتيني) الذي تمحورت آراؤه في وظيفة اللغة، والتلفظ المزدوج، ومفهوم الملائمة، والاقتصاد اللغوي في مجال التطور اللغوي.

2- التركيز على وظائف اللغة وقد جعلها جاكبسون[1]:

- الوظـائف التعبيريـة (الانفعاليـة) (Passive Function): الخاصـة بالمرسـل وترمي إلى تحديد جملة العلائق المبنية بين المرسل والرسالة.
- الوظيفة الشعرية (الجماليـة) (Poetry Function): وليـست مقـصورة علـى الشعر وحسب وإنما تشتمل كل آفاق العمل الفني الخلاق للغة. وفي ضـوء هـذه الوظيفة الإنشائية يمكن وصف نسيج العلاقات والمقابلات في (الـنص الأدبـي)، فنسيج هذه العلاقات، واختبار المقابلات التي يفرزهـا الـنص الأدبـي هـي الـتي تكون مشغل الناقد الأدبي ووظيفته وخلالها يمكن الحكم على (الدرجة الأدبيـة) للنص.
- الوظيفة الأمرية (Imperative Function): وتخص المـستقبل، وهـي وظيفـة انطباعية، هدفها تحديد العلاقات بين الرسـالة والمـستقبل، إذ أن هـدف الرسـالة المبدئي يكمن في حفز ردود فعل المتلقي ذاته، وأثرها فيه.
- الوظيفة الإرجاعية (Discoursal Function): وهي وظيفة معرفية أو تعيينية هي أساس كل التواصل لكونها تحدد العلاقات بين الرسالة والشيء أو الغـرض الذي ترجع إليه.
- الوظيفة الشارحة (Metalanguage Function): إذ تستخدم اللغة لوصـف اللغة التي نستعملها للتواصل، وتحليلها بما نتج عنه اليوم مـا يـسمى باللـسانيات الشارحة (Metalingaistics)[2].
- الوظيفة الاتصالية (communicative Function): وتعني بالعلامـات الـتي تستخدم أصلاً لإقامة التواصل ولإطالته، أو لقطعه، فضلاً عن التحقق من عمل دارة الاتصال (القنال).

---

(1) ينظر: مدخل إلى الألسنية، د. يوسف غازي، ص 52 وما بعدها والمدارس اللسانية المعاصرة: 99- 100.

(2) ينظر: معجم اللسانيات الحديثة، ص 87.

وزاد بعضهم: اللعبية إذ يمكن استخدام اللسان أحجية وتسلية، ففي اللغة وسائل كثيرة للتحايل على المبنى، أو على المعنى، أو على الاثنين معاً. وفي الشعر العربي أمثلة لا تحصى لمثل هذا التحايل، فالمجازات، والكنايات، والتورية، والسجع، والجناس، والترادف، قد تكون بعضاً من وسائل هذا التحايل.

3- وفي مجال الدراسات الأدبية أصر الشكليون على استقلال العمل الأدبي عن العناصر الخارجية عنه، فما العمل الأدبي عندهم إلا تواتر قائم بين القول العادي والإجراءات الفنية التي تخرجه. أو تنزاح به عن مواقعه، وذلك بتغير صوره العادية، ولا وجود لما يسمى بـ(الخيال) أو (الحدس) أو (التطهير)، وغير ذلك من المسميات التي تخص مبدع العمل الأدبي.

ومن هنا فالشكل ليس (إناء) يصب فيه المضمون، ولكنه (كيفية)، وبهذا اكتسب مفهوم الشكل بعداً جديداً، وصار لا يشكل غلافاً، بل يمثل تكاملاً ديناميكياً للعمل الأدبي.

4- وقد كان جاكبسون من الذين أصروا على أن لغة الشعر تمثل بنية وظيفية لا تفهم عناصرها خارج نظامها المتكامل[1].

5- وقد أولى جاكبسون اهتماماً كبيراً بدراسة (الحقول الدلالية) مركزاً على المكونات الداخلية في العلاقات المجازية، وبين أن تشبيه (الشجاع) بالأسد، و(الأبله) بالحمار، و(الرجل السياسي) بالثعلب، إنما هو من قبيل التشابه الموجود بين المكونات للمفردات اللسانية، لأن الحقل الدلالي للأسد يحتوي على الوحدة الصغرى "شجاعة"، والحقل الدلالي للحمار على "بلاهة"، والحقل الدلالي للثعلب على "مكر"[2].

رفض الشكليون ثنائيات سوسير لاسيما ثنائية (الثابت والمتطور) (الدايكروني والسايكروني) ورأوا أن الدراسات التاريخية لا تستبعد فكرتي: النظام والوظيفة، ولا يمكن لها أن تلغي فكرة الوصف الآني، وكذلك لا يمكن لها أن تعرض عن فكرة التطور.

---

(1) ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، ص 221.

(2) مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور، ص 308.

- ثالثاً: مدرسة كوبنهاجن:

وهذه مدرسة ذات اتجاه شكلاني متطرف يدعو للعودة إلى الأطروحة السويسرية حول كون اللغة شكلاً، وليس مادة، وقد طمح أصحاب هذه المدرسة إلى "استخلاص كل النتائج التي تمكنهم من تفسير إمكانية وجود اللغة والكتابة بوصفها تعبيرين متلازمين للغة الواحدة نفسها".

ولهذه المدرسة جناحان:

الأول: يمثله (بروندال) (ت. 1942) الذي حاول كشف المبادئ المنطقية في اللغة، وذلك بتحديد عدد المقولات اللغوية وتعريفاتها.

واعتمد منهجاً وظيفياً قائماً على التمييز بين ثنائيات لغوية معينة كثنائية (الإيجاب والسلب)، و(المفرد والجمع)، و(الماضي والحاضر)، ورأى أن دراسة المتوافقات القائمة بين هذه الثنائيات هي سبيل للوصل إلى فكرة الترتيب.

والثاني: يمثله (لويس هيلميسلف) (1899- 1965) الذي يعد من أوائل البنائيين الذين اهتموا بصورة واضحة بالتجريد، والنزعة المنطقية الرياضية، وبالمنهجية العلمية في دراسة اللغة، وحاول عبر ذلك أن يضع نظرية لسانية كلية استناداً إلى تمكنه من معرفة لغات كثيرة قديمة، وحديثة.

وأبرز ما قدمه نظريته المعروفة بـ(التعليقية) (Commenting Theory)[1]. التي حاول بها العودة إلى فكرة قديمة ترى أن الوقائع الإنسانية تختلف عن الوقائع الطبيعية من حيث لا يمكن دراستها بمناهج دقيقة، فهي كيان صوري، شكل أكثر من كونها مادة، وهذا الشكل أو الكيان الصوري المجرد يخضع لنسق من العلاقات الداخلية يمكن دراستها من خلال نوع من المعادلات الجبرية اللغوية مستقلة عن المعاني والأصوات، وهما الجانبان اللذان أخرجهما هيلميسلف من البحث والتحليل[2].

---

(1) للجرجاني حديث معمق في (التعليق)، وقصد به تعليق الكم بعضها ببعض، فليس النظم عنده "سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض" وعنده أن "لا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها ببعض، ويجعل هذا بسبب ذلك" ومن الواضح أن (التعليق) عند الجرجاني غير (التعليقية) التي نحن بصددها.

(2) ينظر: دلائل الإعجاز، ص 376، 44.

وقد استند هيلميسلف في بعض طروحاته إلى جملة من مبادئ سوسير محاولاً إعطاءها مفاهيم جديدة، ومن ذلك وقوفه على (الإشارة والرمز)، ومستويات التعبير والمحتوى، وقد خرج بأن اللغة (شكل)، وليس جوهراً، والأول مستقل عن الثاني. وقد اختص هيلميسلف بمنهج في التحليل اللغوي قائم على[1] التحليل والاستنتاج. بحيث تقسم كل وحدة لغوية (تحلل) إلى وحداتها الصغرى التي تتكون منها، ومن ثم يحصل في كل درجة من درجات الاستنتاج، أولاً على وحدات صغيرة، ونقل ثانياً الموجودات أو القوائم الجدولية. إن تحليل المستوى التعبيري مثلاً ينتج:

- نصوصاً كثيرة لا نهاية لها.
- جملاً كثيرة غير محددة.
- أجزاء من جمل غير محددة.
- كلمات كثيرة لا نهاية لها من الناحية النظرية، وإن كانت محدودة في المعاجم.

وفي مجال تحليل المضمون يمكننا استبعاد بعض الوحدات اللغوية من التحليل لكونها تعرف من خلالها ارتباطها بوحدات لغوية أخرى، فمثلاً لو أنتج تحليل المضمون لثروة الكلمات في لغة ما الوحدات الآتية:

كبش- نعجة.

ولد- بنت.

خروف.

طفل.

حصان.

هو...هي.

فإنه يمكن استبعاد الوحدات اللغوية في الأسطر الثلاثة الأولى لأنها تتضح ارتباطياً Relational من خلال علاقتها بوحدات أخرى هي التي جاءت في الأسطر التالية:

ينظر: علم لغة النص: د. سعيد البحيري، ص 270.

(1) ينظر: المدارس اللسانية المعاصرة، ص 121- 122.

ولا تعني الصور الأدلة اللسانية، بل إن تركيب الصور بجانبها (التعبير والمضمون) ينتج الأدلة. أما الوحدات الصغيرة سواء في الجانب التعبيري وهي العلامات الفونولوجية فإنه تعامل على أساس صفات للأصوات، أو في جانب المضمون وإذا لا توجد علامات دلالية صغيرة يمكن تناولها فإنها تسمى عنده (غلوسيم) Glossemes وقصد بها أصغر الوحدات اللسانية.

- **رابعاً: المدرسة البنائية الأمريكية، وقد انشعبت إلى تيارات متعددة:**

التيار الأول: (سلوكي) (Behavorism) يمثله (أدوار سابير) (1884- 1939).

وأهم ما يؤثر عن هذا الرجل مما تناوله في كتاب (اللغة) الذي صدر عام (1921) الآتي:

1- أن اللغة ليست غريزية وإنما ثقافية مكتسبة، وهي لذلك مكون من مكونات الثقافة.

2- دراسة المستوى (المورفو- فونولوجي)، وقد رأى من خلال ذلك أن النموذج التصويتي الذي يحدد عدد العناصر الصوتية في لغة ما، وعملها وعلاقتها ببعضها قد يثبت بلا تغير ولا تبدل زمناً طويلاً حتى لو تحول معنى المحتوى الصوتي، مما يشير إلى قدرة كل لغة على تقطيع مادة مشتركة واحدة بين لغات متعددة[1].

3- الفرضية المشهورة بـ(فرضية ورف- سابير)[2] أو (النسبية الألسنية) التي ترى أن اللغة هي التي تفرض على المتكلمين وتحدد رؤيتهم للعالم، وعلى هذا فإن الفوارق بين لغات العالم على اختلافها هي التي تجعل أبناء لغات مختلفة ينظرون إلى العالم ويفكرون فيه بطرائق مختلفة، وبكلمة أخرى أن لكل لغة تحديد طريقة ورؤية خاصة للعالم[3].

---

(1) ينظر: نفسه: ص 280.

(2) هو: بنيامين لي روف (1897- 1941).

(3) مدخل إلى الألسنية ص 280 بتصرف.

والتيار الثاني: (توزيعي) (Districution) ويمثله ليونرد بلومفيلد (1887- 1949) صاحب كتاب: (مدخل إلى اللغة) الذي أصدره عام (1933)، والذي يعد أهم دراسة منهجية للغة في القرن العشرين، وقد تمحورت جهود ميفيلد في النقاط البارزة الآتية:

1- محاولة وضع منهج متماسك يحتوي على مبادئ لوصف اللغات بصورة عامة. وقد أقام هذا المنهج على الأسس الآتية:

- ارتباط الصوت بالدلالة.
- الأشكال اللغوية، والمؤلفات المباشرة- النظرية اللغوية الآلية، التي أكد عليها (هاريس) بوصفه منظر التوزيعية الأكثر دقة وصراحة وتقوم هذه الآلية على طريقة شكلية لتقطيع السلسلة الكلامية إلى وحدات تمييزية صوتية أو بنائية أو تركيبية تحددها العلاقات التي تقيمها هذه الوحدات في محيطها اللغوي. بما يؤكد طبيعة الخلق والإبداع اللغوي المنطلق أساساً من عدد قليل من الأصوات القادرة على خلق آلاف البنيات القادرة بدورها على التعبير عن آلاف الأفكار والمعاني.

والتيار الثالث: (توليدي تحويلي) (Transformational)[1] ويمثله اللغوي الشهير (نوام تشومسكي) (1928-) الذي يعد نقطة افتراق بين المدارس البنائية كلها، وما طرحه جومسكي عبر (النظرية التوليدية التحويلية) التي تعد اليوم من أشهر النظريات

---

(1) يقوم النحو التوليدي (Generative Grammar) على أن القواعد النحوية هي القادرة على توليد (generate) عدد غير محدد من الجمل بوساطة عدد غير محدد من القواعد، فالجمل تقوم عن طريق سلسلة من الاختيارات من اليمين إلى اليسار في العربية، فعندما يتم اختيار العنصر الأول يحتم اختيار العنصر الثاني. فعندما نقول (نجح) لا بد من أن يكون العنصر الثاني اسماً عاقلاً أو ما في معناه نقول: نجح فيتوم على جملة من القواعد التحويلية كقواعد بنية العبارة (Phrase Structure) التي يتم بها تغير العلاقات النحوية لأساس الجملة كما في تحويل المبني للمعلوم إلى المجهول.

وقواعد التحويل (Transfonnational Rules) التي يتم بها تحويل جملة مركبة من جملة بسيطة. من نحو: قرأ الطالب الكتاب الذي ألفه الأستاذ. من جملتي: قرأ الطالب الكتاب، وألف الأستاذ الكتاب. وقد أدخل جومسكي فيما بعد على هذا النحو مفهوم البنية العميقة (Deep Structure)، والبنية السطحية (Surfact Structure).

ينظر: معجم المصطلحات اللسانية: ص 52- 143.

اللغوية انتشاراً في أمريكا وأوروبا. وتقوم هذه النظرية على جملة من المفاهيم الأساسية، فزيادة عل ما لفتنا النظر إليه عن النحو التوليدي، والنحو التحويلي، نذكر من هذه المفاهيم الآتي:

الدعوة إلى الأصول العقلانية في الدرس اللغوي بعيداً عن المناهج البنائية بأنواعها، واتجاهاتها.

البحث عن جوهر اللغة في عملية القول، لا من خلال عناصر القول وتشكيلاته، وإنما من خلال ما يمكن فيه، وذلك ما يمثل وظيفة اللغة.

إن اللغة عملية إنتاج وتوليد، ويقوم المتكلم دائماً بإنتاج اللغة لكونه يمتلك (قدرة فطرية) (Innate Competence) على اكتساب اللغة منذ طفولته الأولى، وتمكنه من التعبير عن نفسه، والإتيان بعدد لا نهائي من الجمل التي لم يكن قد سمعها من قبل، زد على ذلك أن القواعد الصرفية والنحوية أو ما أطلق عليه جومسكي (القواعد التوليدية التحويلية) تعد من أهم مقومات هذا التمكن اللغوي، لأنها هي التي تمكنه من التفرقة بين التراكيب التي تشكل جملة مفهومة في لغة ما والتراكيب غير المقبولة، وهذا التمكن هو الذي يخلق المتكلم المستمع المثالي (Ideal Speaker Hearer) الذي تحقق فيه (المقدرة اللغوية) (Compentence)، وإن هناك فرقاً بين هذه المقدرة اللغوية وما أطلق عليه جومسكي (الأداء) (Performance) أي استعمال الفرد الفعلي للغته ولما كان هذا الأداء يرتكز على العناصر الصوتية التي تتركب منها الكلمات فالجمل، وهي جميعاً تخضع لقواعد وقوانين محددة، يصبح الأداء هو العنصر المتحكم في التفريق بين قدرة المتكلمين على إنتاج اللغة، وهو في ذات الوقت الطريق الأول للتطور اللغوي. وكان سوسير قد فرق بين اللغة والكلام (Language, Parole)، فاللغة قانون والكلام تطبيق لهذا القانون، أو تحقيق له:

والكلام سلوك فردي، واللغة قواعد هذا السلوك. زد على ذلك أن اللغة نتاج اجتماعي، والكلام فردي "وبهذا نجد أن ثنائية (اللغة والكلام) التي قال بها سوسير، قد أخذت صورة متطورة في ثنائية جومسكي (القدرة اللغوية، والأداء"[1].

---

(1) ينظر: المصدر السابق: ص 27.

مفهوم البنية العميقة، والبنية السطحية، فالدراسات اللغوية التي سبقت جومسكي قائمة على دراسة البنية السطحية (Surface Structure) أي الجملة أو التركيب النحوي المنطوق المسموع، أو المكتوب المقروء كجملة: أعلنت الحرب فجأة. فهذه الجملة في صورتها الظاهرة تمثل (البنية السطحية) أما بنيتها العميقة (Deep Structure) فهي أكثر تجريداً، وهي موجودة في ذهن المتكلم، أو الكاتب متكونة من:

(شخص في الزمن الماضي)/ يعلن الحرب فجأة (صيغة المفعول).

وهذه العناصر الموجودة بين قواسين ليست مفردات وردت في نص الجملة، ولكنها في الذهن عبارة عن مفاهيم نحوية تشكل على أساسها النية السطحية للجملة. والقواعد التي تصف البنية العميقة موجودة في الجزء الأول من النحو (العنصر الأساس)، والقواعد التي تحول هذه التراكيب (القواعد التحويلية) موجودة في الجزء الثاني من النحو (العناصر التحويلية) [1].

ويمكن الاستناد إلى النحو التوليدي في بيان الكيفية التي يتم بها التعبير عن المعنى الواحد بجمل متعددة مختلفة السبك والتراكيب. ففي التعبير عن بنية عميقة هي (النهي عن الكذب) يمكن أن تقول:

- لا تكذب.
- الكذب.
- إياك الكذبَ.
- إياكَ من الكذب.
- إياكَ والكذبَ.
- إياك من أن تكذب.

ولكننا بحكم (القواعد) لا نستطيع أن نقول:

من الكذب إياك، أو أن تكذب إياك.

---

(1) نفسه، ص 34.

لأن قواعد اللغة العربية لا تسمح بهذه البنى السطحية المخطوءة. إن البنية العميقة هي الأولى بالدرس والاهتمام عند جومسكي لكونها تمثل شبكة من العلاقات النحوية يقوم عليها علم معاني القول ودلالته، في حين تعتمد البنية السطحية على المستوى الصوتي والعمليات التصنيفية المقتصرة على المعالم السطحية في البنى، والتراكيب اللغوية.

علم الدلالة البنائي:

يعد علم الدلالة (Semantics)، من العلوم اللغوية القديمة حيث طرح اللغويون، والمفكرون، والفلاسفة منذ عهد قديم سؤالين كبيرين:

أولهما: عن نشأة اللغة، وثانيهما: عن العلاقة بين الصوت اللغوي ودلالاته (الدال والمدلول). وقد تمخضت جهود أولئك القدماء الأوائل من عرب وأعاجم في هذا الميدان وغيره مما يدخل في علم الدلالة عن دراسات لغوية دلالية هي أقرب ما تكون إلى الحقل التاريخي التطوري، على الرغم من أننا كثيراً ما نلمح دراسات دلالية وصفية ولاسيما في لدراسات المعجمية، و(المجالات الدلالية)[1] (Semantic Field)، و(السمات الدلالية)[2] (Semantic Features).

---

(1) تمثل فكرة المجال الدلالية نظرية دلالية وصفية تهدف إلى وضع تحديد وصفي بنائي للمعنى، وهذا المصطلح حديث، ولكن مفهومه والدراسات التي أجريت حوله قديمة فالبحث عن معنى الكلمة على الكلمة على أساس علاقاتها المتقاربة التي تمتلك علاقة تركيبية مثل كلمات القرابة، أو الألوان، أو الحلي، أو الصفات، أو غيرها مما لا يفهم جيداً إلا من خلال علاقة بنائية، أو تركيبية معروفة عند اللغويين العرب ولاسيما مصنفو معاجم المجالات الدلالية من أمثال أبو عبيد معمر بن المثنى (ت. 224هـ) في: غريب المصنف، والثعالبي (430هـ) في: فقه اللغة، وابن سيده (459هـ) في: المخصص، وابن فارس (392هـ) في معجمه (المقاييس) الذي حاول فيه ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.

وقد استند المحدثون إلى الفكرة المنطقية التي تقول إن المعاني لا توجد منعزلة في الذهن وإنما تدرك من خلال ارتباط كل معنى منها بمعنى آخر فلفظ (إنسان) الذي نعده مطلقاً لا يمكن أن يفهم إلا بالإضافة إلى لفظ حيوان، وهكذا في (رجل) في مقابل (امرأة)، و(حار) في مقابل (بارد)، بمعنى أن الكلمة لا معنى لها وحدها. وإنما تكتسب معناها من خلال علاقتها بكلمات أخرى هي الأقرب إليها في إطار مجموعة واحدة.

(2) يعني هذا المصطلح أن كل كلمة تحمل صفات تركيبية تميزها عن غيرها من الكلمات وطبقاً لهذا التصور فإن كل كلمة تقبل التحليل إلى سمات (Features) دلالية تحدد المعنى الدقيق لكل كلمة، وبناء على هذا التصور يمكن للمحلل اللغوي تحديد معنى كل كلمة بعدد من المكونات (Components) أو السمات التي تميزها عن غيرها من الكلمات. كتحديد (كرسي) بالمكونات: جماد+ مصنوع+ ذو أرجل+ ذو مسند+ مخصص للجلوس وتحديد مكونات طفل بـ: إنسان+ حي+ غير بالغ + صغير+ ذكر..

ينظر: معجم المصطلحات اللسانية الحديثة: ص 124- 125.

والحقـول الدلاليـة[1]: (Semantic Field)، وقـد هيـا هـذا كلـه أمـام اللغـويين المعاصرين مادة لغوية دلالية مكنـتهم مـن استقـصاء قـضايا دقيقـة، ومعقـدة في مجـال علـم الدلالة، إذ لم يعد هذا العلم ميداناً لبيان العلاقة بين الكلمة بوصفها بناء لغويـاً مفـرداً، ومـا تجدل عليه، بل انصب اهتمام علماء الدلالة على تحديد دلالة الكلمة من خلال ما تـرد فيـه

---

(1) مصطلح حديث بمفهومه اللغوي. والحقل الدلالي مجموعة من مفردات اللغة تربطها علاقات دلالية، وتـشترك جميعهـا في التعبير عن معنى عام بعد قاسماً مشتركاً بينهما جميعاً مثل الكلمات الدالة على الألـوان، أو ألفـاظ القرابـة، أو الفلاحـة أو النبات، أو الأفكار، أو التصورات، أو الشراب...ألخ، وتقول هذه النظرية أنه لكي تفهم معنى كلمة يجب ان نفهم كـذلك مجموعة الكلمات المتصلة دلالياً. ويتفق أصحاب هذه النظرية على مجموعة من المبادئ منها:

لا وحدة معجمية (Lexeme) عضو في أكثر من حقل.

لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.

لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.

استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.

ولدراسة الحقول الدلالية منهجان:

الأول:

يقوم على الانطلاق من العلامة اللغوية بحثاً عما تدل عليه، أي ينطلق من (الدال إلى المدلول). فكلمة من نحـو: (زخـرف) تعني:

الذهب: كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ (الإسراء/ 93).

التخت والمتكا: كقوله تعالى: ﴿وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝ وَزُخْرُفًا﴾ (الزخرف/ 34- 35).

الزينة: كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ (يونـس/ 24).

مزوقات الكلام: كقوله تعالى: ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ (الإنعام/ 112).

والثاني:

يقوم على الانطلاق من المفهوم بحثاً عن العلامات،، أي: الكلمات التي تعبر عنه وليكن مفهـوم (الهيمنـة) إذ نجـد كلمـات من نحو: السلطة، النفوذ، السطوة، التأثير، السلطان، البأس، القوة، الأثرة، السيطرة، السيادة، القـدرة، التفـوق، الطغيـان، التسلط...الخ.

وفي ظل المنهج الأول تتم دراسـة العلاقـات الدلاليـة الكامنـة وراء الكلمـات ونعـني بـذلك: وحدانيـة المعنـى، والمـشترك اللفظي، والتضاد، وفي ظل المنهج الثاني تتم دراسة الترادف.

ينظر: علم الدلالة: د. فريد عوض حيدر، ص 175.

بصائر ذوي التمييز: 3/ 125.

مدخل إلى الألسنية: ص 194 وما بعدها.

من سياق (Context)[1]. فليس للكلمات دلالات، وإنما لها استعمالات، فكلمة من نحو: (الريح) ترد في القرآن الكريم على سبعة أوجه لكل وجه دلالاته على وفق السياق الذي ترد فيه الكلمة[2].

فهي بمعنى: (القوة والدولة) في قوله تعالى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال/ 46).

- وبمعنى: (العذاب في العقوبة: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأحقاف/ 24)، و﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾، و﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ (فصلت/ 16).
- وبمعنى: (مسخرات المراكب في البحار لمنافع السفار والتجار)، كقوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (يونس/ 22).
- وبمعنى: (رياح النصر)، كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (الأحزاب/ 9).
- وبمعنى: (ريح الضر والعذاب)، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ (الروم/ 51).

---

(1) نظرية السياق: (Context Theory) وتعني- ببساطة- أن الدلالات الدقيقة للكلمة تتضح من خلال تسييقها أي وضعها في تراكيب مختلفة، واستعمال الكلمة داخل التراكيب يحكمه أمران:
أولهما:
سياق لغوي يرصد معنى الكلمة من خلال علاقتها بالكلمات الأخرى داخل التراكيب.
وثانيهما:
سياق موقف (مقام) ويراعى فيه:
- شخصية المتكلم والسامع، ومن يشهد الكلام.
- العوامل والأوضاع الاجتماعية، والثقافية، والمكانية، والزمانية التي تحكم سياق الحدث الكلامي.
- أثر الحدث الكلامي وغايته، كالإقناع، أو التحفيز، التأنيب، أو الفرح...الخ.

(2) بصائر ذوي التمييز: 3/ 108- 109.

ومن هنا يرفض علماء الدلالة اليوم الإشارة إلى معاني مستقلة عن السياقات، وقد أكد (سوسير) في حديثه عما سماه بـ(الروابط التشاركية) الكائنة بين الوحدات الهيكلية المجال الدلالي من حيث تتوزع الكلمات على نمط خطي متسلسلة صعوداً، أو نزولاً مكونة علاقات: ترادفية، أو شبه ترادفية،أو تقابلية، أو تضادية[1]. وقد عمد بعض اللغويين المحدثين على النماذج والتصورات الذهنية، إذ أن معنى الكلمة عندهم ليس محتوى ذهنياً نظرياً، وإنما هو محصلة (توزيعية بنائية)، يتحدد معنى الكلمة على أساس علاقاتها المتقاربة مع غيرها، ويعد الأمريكي (بلوميفلد) مؤسس هذا الاتجاه الشكلي في تحديد المعنى؛ غير أن التحليلات التوزيعية المجردة لم تلبث أن اصطدمت ببعض المسائل والقضايا الدلالية، وأفرزت أمام المنهج الدلالي البنائي مشكلات معقدة منها مشكلة (المعنى الذهني)، أو المعنى الإيحائي، أو المعنى الإيحائي (EVOCATIVE MEANING/ CONNOTATION)[2].

ويرتبط بالمعنى الإيحائي، لكلمات ذات الإيحاء الصوتي (ONOMATOPOEIC WORD) من نحو: خرير الماء، وهديل الحمام، وزقزقة العصافير، وقرع الطبول، وهزيم الريح. وفي ظل المعنى الإيحائي يمكن دراسة المحضورات اللغوية (TABOOS) مما استدعى ظهور منهج جديد في علم الدلالة هو (المنهج التركيبي التوليدي) الذي اعتمد الاستنتاج، والعقل، والنزعة الذهنية في محاولة الوصول إلى ما يسمى بـ(أنظمة المعنى أو الدلالة)، وقد قدم علماء الأصوات مفاهيم صوتية جديدة عززت مكانة علم الدلالة، فالدال (الصوت) عند هؤلاء إنما يشكل حزمة صوتية قائمة بدورها من تشكل حزمة صوتية أخرى، وهذا يدعو إلى أن يكون المعنى حزمة من العناصر الأولية، حيث تصير كل كلمة رمزاً لدلالات متعددة، فكلمة (رجل) حزمة دلالية لها أبعادها المتعددة فهي: حيوان + عامل+ ذكر+ بالغ+ عامل....الخ. وكل بعد منها يمثل عنصر دلالي.

---

(1) ينظر: مفاتيح الألسنية: جورج مونين، تر: الطيب البكوش- تونس ص 127.

(2) يقصد بالمعنى الذهني، أو الإيحائي أن بعض الكلمات تثير في أذهان أبناء اللغة دلالات إيحائية مختلفة، فكلمة: أم تثير في أذهاننا معنى: الحنان، والحب، أو الوطن. وكلمة (طفل) تثير في أذهاننا معنى: البراءة، أو الجذل، أو السلام، وكلمة (امرأة) تثير في أذهاننا معنى: الرقة، والمودة...الخ.

كلمة أخيرة في البنائية:

إن هذا المنهج ليس فكرة تجريدية، ولكنه موضوع للدراسة مستخلص من الوقائع القريبة المعقدة، يحاول بالتحليل الداخلي الكشف عن العناصر والمكونات، والعلاقات الكامنة في بناء كلي ما، ووصفها وبيان النظام الذي تسلكه وتتخذه، واكتشاف عمليات التواصل داخل هذا النظام. وإذا ما أردنا تلمس سمات هذا المنهج وخصائصه نذكر الآتي:

أولاً: أن البنائية منهج، وليس مدرسة مذهبية، أنها منهج شمولي يقابل المنهج الجزئي، الذي يعزل العناصر، وينظر إلى تجمعها بوصفه تجمعاً تراكمياً من مجموعات ذوات صفات كلية خارج النظام اللغوي، في حين يركز المنهج البنائي على هذا النظام الذي تتشكل فيه البنى، والعناصر، ليكشف كل منها عن حدوده ووضعه الداخلي، ووظائفه داخل النظام الكلي.

ثانياً: إنه منهج يتناول الواقع، ويفكه، ويحلله ثم يقوم بتركيبه مرة أخرى، وهذا التفكيك، والتحليل، والتركيب هو الذي يتيح أمامنا منهجاً جديداً لدراسة الأشياء، والواقع، والظاهر.

ثالثاً: إنه منهج قائم على القيم الخلافية، أي الاعتراف بالفوارق الكامنة في المجموعات المنتظمة، فالعناصر المكونة وإن كانت كلاً واحداً في نظام معين، ولكنها تمثل تنويعات مختلفة، ومؤتلفة في آن واحد.

رابعاً: إنه منهج يركز على دراسة (العالم الداخلي)، أي العناصر المكونة للموضوع، أو للظاهرة المعينة، وطريقة قيامها بوظائفها. أما (العالم الخارجي)، وظروفه المتشابكة مع ظواهر أخرى اجتماعية، أو دينية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو غير ذلك فتترك دراستها لمناهج علمية أخرى.

خامساً: إنه منهج يركز على العناصر المناسبة التي تزودنا بالمعلومات، وهذا يقتضي الاستناد إلى مبدأ التوغل في (العمق) لا في (العرض)، وهذا التوغل المعمق هو القادر على الاستنتاج أكثر من الاستقراء.

سادساً: إن البنائية منهج وليس مذهباً، ولا حركة فكرية، ولا يجوز حصرها في نطاق نزعة علمية بحتة، إنها نشاط منهجي تتابعي، منتظم الأبعاد، يركز في عملياته العقلية الدقيقة التي تتناول الواقع، وظواهره، وأحواله على أدوات للتحليل تفتح أمام الباحث الطريق للوصول إلى نتائج نظرية.

الفصل الرابع

المدارس والمناهج الأدبية والنقدية

المبحث الأول

المدارس والمناهج الأدبية والنقدية

تعددت المدارس الأدبية والنقدية، وتعددت تبعاً لذلك المناهج التي استندت إليه في البحث وتحصيل المعرفة، والمفاهيم، والطروحات التي طرحتها تلك المدارس، ودعت إليها، ومن هذه المدارس نذكر بإيجاز الآتي:

أولاً: المدرسة التاريخية[1]:

وقامت على توزيع الأدب العربي على حقبات زمنية محددة، مع إغفالها عنصر المكان، وهي:

- حقبة ما قبل الإسلام، إلى 622م.
- حقبة عصر الإسلام، من 622م إلى 661م.
- حقبة العصر الأموي، من 661م إلى 750م.
- حقبة العصر العباسي، من 750م إلى 1258م. (ويدخل ضمن هذه الحقبة العصر الأندلسي الذي يمتد من 711م إلى 1492م.
- حقبة عصر النهضة من دخول نابليون مصر (1258- 1798) ومن أبرز سمات هذه المدرسة نذكر الآتي:

1- ربطها بين الأدب والسياسة بحيث جعلت الأدب تابعاً للسياسة، في حين أن للأدب أثراً واضحاً في الحياة السياسية، والفكرية، والثقافية، فالأدب الحقيقي خلق، وإيجاد، وليس سياسة.

---

(1) من رواد هذه المدرسة: جورج زيدان، وأحمد أمين، ومحمد حسن المصرفي، وطه حسين، وأحمد حسن الزيات. وكان رينان (Renan) من الأجانب أشد إغراقاً في التاريخ، فلا قيمة للعمل الأدبي عنده إلا في نطاق عصره، وكذلك الشان عند (تين) (Taine).

ينظر: التركيب اللغوي للأدب: د. لطفي عبد البديع، ص 97- 98.

2- خلطها الأدب المشرقي والمغربي في إطار واحد، وعزلها أدب ما قبل الإسلام عن غيره.

3- أنها أغفلت النوازع الفردية لدى الشعراء، فكان للأدب طابع واحد ناتج عن افتراض وحدة ا لعصر، فإن وقفت عند بعض الأفراد، فإن وقوفها لا يتعدى عتبات العمالقة، والقمم الأدبية.

ثانياً: مدرسة الفنون الأدبية:

القائمة على (منهج) يصنف الأدب على فنون، وأنواع أدبية، فهناك شعر (غزل)، و(حماسة)، و(وصف) إلى غير ذلك من أغراض الشعر التي يحاول الدارسون، والنقاد بيان خصائصها، وأساليبها، وقيمها الفنية، وطوابعها اللفظية والدلالية، وتتبع تطورها.

وهذا المنهج يبيح لنا التعرف الطبيعي على أثر العامل الإقليمي في الأدب، وفي ضوئه يمكن الوقوف على الفوارق الكامنة في شعر الغزل مثلاً عند المشارقة، أو المغاربة، وكذلك الفوارق بين شعر الغزل ما قبل الإسلام، وشعر الغزل في العصر الأموي، وما هذه الفوارق إلا بسبب اختلاف العوامل الإقليمية الخاصة بكل إقليم. ومن سمات هذا المنهج أيضاً اتصاله بالنص، وتأمله البيت الشعري الواحد، فهو منهج استقرائي في المقام الأول، ينصب اهتمامه على الشعراء، والأدباء الكبار وغيرهم.

ومن خصائصه بروز عنصر الموازنة للظاهرة الأدبية المعينة عند شاعرين، أو أكثر، فيمكن في ضوئه تلمس (خصائص الفخر عند المتنبي) موازنة بخصائص الفخر عند (أبي العلاء المعري)، فالفخر عند الأول صاخب، خاطف، يغتصب الأشياء، وتكمن وراءه نفس تحرك هذه الأشياء. والفخر عند الثاني متأن، ومستند إلى نظرة مستأنيه، تعمق الأشياء، ونفس تتسرب، متغلغلة داخل الأشياء. وهناك لغة عند المتنبي فيها جبلة، وصخب، تقابل عند أبي العلاء لغة وراءها صدى ناعم، منساب. ومن أبرز ما يسجل هذا المنهج أنه يوزع إنتاج الشعراء، ويهمل سيرتهم؛ ومن عوائقه أن أكثر الشعر العربي لم يبن على وحدة الموضوع، مثلما بني على وحدة البيت، أو توازن التفاعيل.

ثالثاً: مدرسة النوع، أو الجنس:

وينهج أصحابها في دراسة الأدب من خلال النظر إلى جنس الأديب، و انتمائه القومي، أو الديني، ولهذا كانت معطيات هذه المدرسة قليلة[1]، وهذا المنهج يحمل عناصر انهياره لأسباب كثيرة منها:

أ- أن القيمة الفنية هي المقياس السليم في الحكم على الأدب، ومن غير المقبول الحكم على النتاج الأدبي من خلال تفسيره وراثياً، عرقياً، فالثقافة، والجنس، والعرق وحدها لا تصوغ الأدب.

ب- أن الأدب العربي عموماً لا يشعرنا بفروق واضحة بين الأجناس ليستوحي منها الدارسون منهجاً، لأن هذا الأدب صار بفضل الإسلام عاملاً من عوامل توحيد الأمم، وهو لم يكن كله أدب العرب وحدهم، وإنما اشترك في صنعه أدباء أمم أخرى كالفرس، والروم، والترك، والبرابرة.

ت- أن العوامل السياسية غير المتصلة بالعرق، والجنس هي التي دفعت إلى هذا المنهج، ولذلك نجد أنها إذا ظفرت بشيء فخمته بحيث يطغى على العوامل الأخرى.

ث- استناداً إلى مبدأ التعميم، فإذا نجحت في تفسير شيء من أدب عبد الحميد الكاتب مثلاً لا يجوز لها تعميم ذلك على غيره دائماً.

ج- اختلف أصحاب هذا المنهج أحياناً في التثبيت من انساب بعض الشعراء، فقد جعل المتنبي العربي (قرمطياً) عند بعضهم، وأبو تمام عربياً صليبية، وابن الرومي رومياً، والجاحظ أعجمياً.

---

(1) نذكر هنا دراسة عباس محمود العقاد من ابن الرومي.

رابعاً: المدرسة الإقليمية[1]:

وقد ربط أصحابها بين طبيعة الإقليم المعين، والأدب الذي ظهر فيه، ومثل هذا المنهج يخرج الأدب عن حقيقته، ويجعله كله ثمرة من ثمرات الطبيعة. وليس الأمر كذلك فللعناصر الفردية نفسية وثقافية دور في تمايز الأدباء، ولهذا لا يمكن في ضوء هذا المنهج تفسير زهد أبي العتاهية، أو خمرياته مثلاً تفسيراً مقنعاً.

خامساً: المنهج الفني:

وفي ظل هذا المنهج يحاول الدارسون الوقوف على الخصائص المشتركة بين الأدباء، بالانتقال من النطاق الفردي إلى العام، مع الجمع بين الأدب والنقد من جهة، وبين الأدب والعلم من جهة أخرى، وبذلك يتم تصنيف الأدباء والشعراء عل وفق خصائصهم الفنية، بحيث تمثل كل مجموعة من الأدباء، أو الشعراء اتجاهاً فنياً يتميز بدوره بجملة من الخصائص الفنية والموضوعية، فهناك: اتجاه كلاسيكي، وآخر رومانسي، وثالث واقعي، وهكذا. أما البعد الزماني، أو المكاني (الإقليمي)، أو (الثقافي) العرقي، فلا يلتفت إليه.

سادساً: المنهج الطبيعي:

وقد حاول أصحابه تطبيق قوانين الطبيعة على الأدباء والشعراء بما جعلهم كائنات بيولوجية يمكن تصنيفها على فصائل تتشكل بحسب ما يقع عليها من مؤثرات خارجية زمانية، أو مكانية، أو عرقية.

ولعل أبرز ما يوجه لهذا المنهج تنكره لمبدأ (التذوق الشخصي) أعني كل ما يتصل بالذوق، أحكامه؛ زد على ذلك أنه يسقط العناصر الفردية الخاصة بكل أديب، أو شاعر.

---

(1) من أقطاب هذا المنهج نذكر: أحمد الإسكندري، وأحمد حسن الزيات، وأحمد ضيف، وبعض ما كتبه طه حسين، وجورج زيدان.

سابعاً: المنهج الاجتماعي:

وقد حاول أصحابه الزج بين الدراسات الأدبية، والدراسات الاجتماعية، إذ لا يجوز عندهم دراسة الأدب بمعزل عن دراسة المجتمع، وقد أدى هذا المنهج في النظر إلى طبيعة الأدب إلى ظهور مقياس جديد أخذ من النقاد والباحثين جهداً كبيراً، ولا يزال يأخذ، حيث وجدنا أنفسنا أمام قضية (الالتزام واللاالتزام) في الأدب التي أثارت خلافاً حاداً بين النقاد في كون الفن، أو الأدب للأدب، أو للمجتمع.

ثامناً: المنهج النفسي:

وهو منهج غربي نشأ مع (سيغموند فرويد) (1856- 1939)، الذي حاول عبر تفسير الأدب تفسيراً جنسياً بوصفه عند فرويد ومريديه تنفيساً عن كبت (Pepression)، أو عقد جنسية، ولهذا يقتضي لدراسة الأدب أن يدرس (اللاشعور) الذي منه ينبع العمل. فالكبت عند فرويد هو الدال على رقابة العقل الواعي على اللاواعي، ومن هنا يرى النقاد الذين نهجوا هذا المنهج الفرويدي أن الأدب والفن يشاركان الأحلام في الهروب من رقابة العقل الواعي، وهذا يتعارض مع مذهب قصر الأدب على تصوير الواقع. وقد توسع بعض النقاد الغربيين في بعض المفاهيم التي طرحها (فرويد) في تفسيره لرمزية الحلم من نحو: (التكثيف والإحلال) أو (الإزاحة) (Condensation And Displacement) التي رأى فرويد من خلالها أن (الإحلال، أو الإزاحة) والتكثيف في الأحلام هما العاملان اللذان يتحكمان في الشكل الذي يكتسبه كل حلم، وقد طبق بعض النقاد المحدثين هذين العاملين على الصور الشعرية، ومن ثم الدعوة إلى تغيير النظر للأدب بوصفه نشاطاً قادراً على (إحلال) الإنسان في أزمة وأمكنة مختلفة، ونزوحه عن وطنه، وزمانه من خلال (الخيال) (Imagine)[1].

---

(1) ينظر: المصطلحات الحديثة، د. محمد عنابي، ص 12، 22، 92.

تاسعاً: المنهج الجمالي:

ويحاول أصحابه التعبير عن إدراكهم الجمال، وأحكامه، والأسباب التي تقف وراء ما يثير فينا الجمال، والدهشة عندما نباشر بعض النصوص الأدبية، وكذلك يحاول أصحابه الكشف عن مصادر الإبداع الأدبي، ومعاييره.

عاشراً: المنهج الذاتي:

ويحكم على الأدب من خلال تصوير إحساسنا نحوه، وانفعالاتنا به، وإقبالنا أو إعراضنا عنه، وتحليله لغوياً، وتركيبياً، وبلاغياً، استناداً إلى (تذوق شخصي) من غير الالتفات إلى أية حيثيات، أو أسس اجتماعية، أو ذاتية خاصة بمبدع النص الأدبي.

ومن نافلة القول التأكيد على إننا لا نستطيع في أغلب الأحيان إقامة دراسة لأديب، أو لظاهرة أدبية، أو نصوص أدبية استناداً إلى منهج واحد، يمكن اعتماده من أول خطوة للبحث إلى نهايته، إذ نجد أنفسنا في أكثر الأحيان مضطرين إلى المزاوجة بين أكثر من منهج.

نظرية الأجناس، أو الأنواع الأدبية:

يقوم أصحاب هذه النظرية بتقسيم الشعر الأممي كله انطلاقاً من منهج تاريخي يخالطه منهج وصفي على أنواع وأجناس كثيرة فهناك:

- الشعر الغنائي الموسوم على زعمهم بـ(الذاتية)، ومنه الشعر العربي.
- الشعر الملحمي.
- الشعر التمثيلي والقصصي.

وهكذا تتوزع فنون النثر إلى: قصة، ورواية، ومسرحية وما يتفرع منها من مصطلحات ومفاهيم، كالدراما، والمأساة، والملهاة.

وعلى الرغم من أن أثر هذه النظرية لا يزال قائماً في الدرس الأدبي تاريخاً، ونقداً، إلا أنها جوبهت ببعض النقود التي تضعف من كيانها، وتجعلنا نحترس كثيراً في قبولها، ومن هذه النقود نذكر الآتي[1]:

1- أن في نظرية الأجناس الأدبية- لاسيما في الشعر- نفساً عنصرياً ينتقص من الشعر العربي، ومن الساميين جميعاً، في كونهم خلافاً للآراميين، لا يملكون (ملاحم شعرية)، لعجزهم عما تقتضيه هذه الملاحم من تركيب، وموضوعية.

2- القول بذاتية الشعر الغنائي قول مردود، إذ لا يتصور أن يكون هناك شعر، أو قصيدة من غير أن تقوم على موضوع، أو موضوعات. فعالم الشعر أحد عوالم الموضوعية.

3- عدم التفات هذه النظرية إلى ما في الشعر العربي القديم من مطولات كالمعلقات، والمشوبات، والملحمات، والمراثي، زد على ذلك ما للنثر العربي من روايات اكتسبت حد الملاحم، وما قدمه الشعراء العرب المعاصرين من مطولات شعرية.

4- ما قدمه المفكرون الأعاجم من نقد لهذه النظرية، من أمثال (كروتشه)، و(كارل فوسلر) ومن تبعهما، إذ يرى الأول إن أكبر انتصار لضلال دعاة الذهنية هو نظرية الأجناس الفنية والأدبية التي لا تزال سائدة في مطولات الأدب، تشوش نقاد الفن ومؤرخيه، فمنها تتفرع أساليب مغلوطة في الحكم والنقد"[2].

إن العمل الأدبي على رأي (كروتشه) و(فوسلر) "متفرد في جوهره، وقائم بذاته، لا يسوغ إدراجه تحت غيره من وجوه التصنيف التي تمحو استقلاله، وتفضي به إلى التعميم دون التخصيص"[3].

5- إمكان الفصل بين الشعر الغنائي، والملحمي، والدرامي لا على أساس (الذاتية)، أو (الموضوعية)، وإنما على أساس البنية الداخلية والخارجية معاً لهذه الأنواع، فالشعر الدرامي الذي يقابل الشعر الغنائي والملحمي، إنما يقوم على جملة من المتكلمين الذين

---

(1) ينظر: التركيب اللغوي للأدب، د. لطفي عبد البديع، ص 164.

(2) نفسه، 162.

(3) نفسه، ص 164.

لا يتفاوتون فيما بينهم، وأقوالهم في جوهرها (براجما طيقية)، لا تمثيلية كما في الفن القصصي، ولا تعبيرية كما في الشعر "إن الأدب من هذه الجهة أسلوب يضع الإنسان عن طريق التخيل بإزاء الإمكانات الجوهرية لوجوده، فيعرف الماضي بروايته الملحمية، ويمضي بين الناس في الدراما، ويحس وجوده في الشعر الغنائي"[1].

الكلاسيكية، والرومانسية، والواقعية[2]:

تؤمن الكلاسيكية فيما تؤمن بأن الإنسان محدود القدرات[3]. في حين يرى الرومانسيون أن الإنسان غير محدود القدرات وأنه يستطيع تحقيق كل شيء عن طريق الخيال (Imagination) ويتجلى الفرق الجوهري بين النفس الشعري الكلاسيكي والرومانسي في اقتراب الكلاسيكي من حدود الأرض.

والشعر حل وسط لتقديم لغة الحدس التي تعطينا الأحاسيس مجسمة، وأنه يستولي علينا، ويجعلنا نحس على الدوام بشيء مادي، يمنعنا من التحليق من خلال عملية تجريدية، بمعنى "أن الشعر يمنحنا معرفة أنفسنا في علاقتها بعالم التجربة، إذا تحددت نظرتنا إليه بالإهداف والقيم، وليس بالحساب العقلي، فالشعر مثله مثل جميع الفنون يتضمن نوعاً من المعرفة التجريبية، ونحن نفقد قيمة الشعر إذا ظننا أن نوع المعرفة الخاص به يحتوي رسائل وبيانات وشذرات العقيدة، فلا يمكن أن نحصل على المعرفة التي يقدمها الشعر لنا إلا إذا استسلمنا للأثر الكلي الدقيق للقصيدة بوصفها كلاً متكاملاً"[4]. فالشعر يرسل (معنى)، ولكن هذا المعنى ليس (رسالة) أو (بياناً) أو (عقيدة) معينة، وإنما هو جماع ما تحتوي عليه القصيدة بوصفها بناء محدداً، جسماً، حيا، مستقلاً له مكوناته الخاصة به التي تجعل له أثراً كلياً"[5].

---

(1) نفسه، ص 169.

(2) ليس غرضنا التعريف بأصول هذه المدارس ومفاهيمها جميعاً وإنما غايتنا لفت النظر إلى بعض أفكارها المنهجية البارزة،

(3) هذا ما طرحه (ت. أهيوم) في مطلع القرن العشرين في كتابه (التأملات) Speculations فهو مشدود إلى نهاية ما، إذ كل شيء عنده محدود، في حين نجد صور الهروب، والتحليق في عوالم ليست أرضية عن الرومانسيين.

(4) النقد الموضوعي، سمير سرحان/ مكتبة الأنجو/ القاهرة- ص 11.

(5) نفسه: ص 11.

ولكون الرومانسية ترحب بشطحات التأمل الفلسفية وتعلي شأن الخيـال، والقـدرة علـى الغـوص في أعمـاق الحقيقـة (Truth)، أو الواقـع (Reality)، أو الـنفس البـشرية (The Human psyche)[1].

استناداً إلى الحدس (Intution) وحده فقد أفرزت لنا نسقاً آخر، يقابله هو (النسق الصوفي)، الموغل بالارتحال الـدائم والمتحـد بـالوجود ومبـدع الوجـود، في سـبيل الكـشف والتبصر بحقيقة الإنسان، وعذاباته، وماله. أما النسق الواقعي الذي بدا بداية النصف الثـاني من القرن الماضي، فقد جاء رداً على الاتجاه الرومانسي الحـالم، داعيـاً إلى اسـتنهاض الـذات المحطمة، وإلى التركيز على البعـد الاجتمـاعي، والـنفس الـشعبي ولغـة الفولكلـور لمخاطبـة الجماهير[2].

---

(1) ينظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، ص 78- 79.

(2) ينظر: البينات الأسلوبية، ص 106 وما بعدها.

المبحث الثاني

منهجية الدراسات الأسلوبية

تعد الأسلوبية[1] من أبرز ما قدمته الدراسات اللغوية الحديثة إلى عالم الأدب والنقد ليباشر في ضوئها النظر في النص الأدبي على أسس منهجية، وموضوعية، علمية، محددة، بعيداً عن الاعتباط والذات. ومثلما كانت البلاغة القديمة أقرب إلى الدرس اللغوي بوصفها (نحواً عالياً)، جاءت الأسلوبية أقرب إلى الدرس اللساني، بل نتاج عنه.

وبين الأسلوبية والبلاغة نقاط التقاء، وافتراق، فالبلاغة أسلوبية القدماء، والأسلوبية بلاغة المحدثين، ثم إن موضوع العلمين واحد، وإن اختلفت الرؤية فكلاهما يجعل من فن الكتابة والتركيب، والكلام، والأدب موضوعاً له. إن الأسلوبية امتداد لعلم البلاغة، وتطور عنها، وهي أعني: الأسلوبية وإن أخذت من اهتمام اللغويين، والنقاد،

---

(1) حين نذكر الأسلوبية نذكر الأسلوب، أو علم الأسلوب (Style) ويعرف الأسلوب بأنه طريقة التعبير المميز لكاتب معين، أو لخطيب، أو متحدث، أو لجماعة أدبية، أو حقبة أدبية. ويقصد بطريقة التعبير: مديات الوضوح، والفعالية، والجمال، وما إلى ذلك.

وقد تطورت دراسة الأسلوب في القرن الماضي حتى صارت مبحثاً علمياً يقع على الحدود بين دراسة اللغة، ودراسة الأدب، وإن كان التحليل الأسلوبي لا يقتصر على النصوص الأدبية، فهو مهم لدارسي الأدب بسبب المصطلحات والمفاهيم اللغوية التي أدخلها إلى النقد الأدبي.

ومما يتناوله دارس الأسلوب نذكر:

- مقصد الكاتب (كقولنا: أسلوب فكاهي، أو أسلوب حماسي...).
- تقييم المتلقي.
- السياق.
- القضايا الجمالية والفنية.
- المستوى اللغوي (الفصيح، والعامي).
- الطبقات الاجتماعية.
- التحليل الإحصائي للتراكيب، والألفاظ، والنحو.
- وغير ذلك من المعايير والطرائق التي تؤكد صحة الانطباعات النقدية.
- ينظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، ص 106- 107.

والأدباء في العصر الحديث جهداً كبيراً، إلا أنها لم تستطع أن تقضي على البلاغة قضاء حاسماً، فلا تزال البلاغة وستبقى علماً حياً تؤلف فيه الكتب، والبحوث، والدراسات في الشرق والغرب، وستبقى علماً يدرس في جامعات العالم.

أما أوجه الافتراق بين البلاغة والأسلوبية فيمكن تحديده بالنقاط الآتية:

1- من حيث البعد التاريخي: نجد أن البلاغة أقدم في التاريخ من الأسلوبية.

2- ومن حيث (المنهج): نجد البلاغة (معيارية) في حين تتوجه (الوصفية)، "ومن القاعدة إلى فضاءات الظاهرة المتعددة في التعامل مع نظام النص على أساس ثنائية القاعدة والاستعمال والمثالية، والعادية مع الاحتفاظ بالجوهر القاعدي، والسماح للعدول والانزياح (Deviation) بالتحرك داخل النص لأن الطاقة الإبداعية تتعلق بشكل مكثف بمساحة الانزياح"[1].

3- ومن حيث الغرض والوظيفة: نجد أن غرض البلاغة في المقام الأول (البيان وحسنه) أي: أنها تعلمنا (صناعة) كيف نكتب، وغرض الأسلوبية (البيان) فحسب، أي: تعلمنا ماذا نكتب.

4- ومن حيث الموضوع: نجد أن البلاغة وموضوعها مختلطان بينهما كمال الاتصال، والأسلوبية وموضوعها لا يختلطان. فإذا كان الأسلوب موضوع الأسلوبية فمعنى ذلك أن الأسلوب شيء، والأسلوبية شيء آخر؛ وهذا لا يعني أن الأثر الأدبي في الأسلوبية وحدات متفرقة، بل العكس هو الصحيح، فالأثر الأدبي في الأسلوبية كل لا يتجزأ "مركزه ورح الخالق الذي يعد مبدأ التماسك الداخلي، وهذه الروح تشبه أن تكون نظاماً شمسياً تنجذب نحوه سائر الأشياء، وما اللغة، والعقدة، وغيرها إلا كواكب تسير في فلكها. أما مبدأ التماسك الداخلي فإنه ينزل منزلة المؤثر المشترك، تتداعى إليه سائر التفاصيل التي يضمها الأثر الأدبي، ولا يتأتى تفسيرها إلا به"[2].

---

(1) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص 15.

(2) التركيب اللغوي للأدب، ص 109.

5- ومن حيث اللغة الشعرية نجد أن، هذه اللغة عند الأسلوبيين من خلق الشاعر، وليست من قبيل المعاني الثانوية التي تطرأ على المعاني الأول، أو الأفكار التي تهبط على الألفاظ كما تهبط الروح على الجسد. وإذا كان القول بالمعاني الأول، والمعاني الثواني مواده عند البلاغيين وجود طبقتين: الأولى قائمة منهما وموجودة قبل أن تلحق بها الثانية، ولا دخل للشاعر، أو الأديب فيها؛ فإن الأسلوبية تقتضي غير ذلك، إذ لا وجود فيها لهذه الطبقية، وما تستجوبه من تدرج، بل إن أبعاد اللغة الشعرية جميعها من خلق الإنسان المبدع، يستلزمها تصوره للأشياء، والكائنات، وتتعلق بمعرفته الفطرية.

إن اللغة في الأسلوبية تؤول إلى المبدع أولاً وأخيراً، بحيث تبطل، القسمة إلى معان أول، ومعان ثوان. أما البلاغة فتشبه أن تكون كالماهية، لها وجود في حد ذاتها، بقطع النظر عن الشاعر، أو الكاتب، وما يساق في قضية اللفظ والمعنى مبناه على هذا التصور الذي يستوي فيه من ينسب إليهم القول بتفضيل اللفظ كالجاحظ، ومن يعزى إليهم إيثار المعنى كعبد القاهر الجرجاني، فمآل الأمر في القولين واحد، وهو التسليم باللفظ الموضوعي في اللغة قبل أن يطرأ عليه ما يغير جهته من تشبيه أو استعارة، أو كناية، أو غير ذلك من فنون اللغة[1].

6- ومن حيث الدال والمدلول: نجد أن البلاغة تفصل بين الحدث الأسلوبي دالاً، ومدلولاً، فهي تدرس كلاً من الصور الأسلوبية، وما تضمنته تلك الصور من معان على حده.

أما الأسلوبية فهي تعد دال الصورة ومدلولها كوجه الورقة وقفاها، فالدلالة هما معاً، أو لاتكون. ومع وجود هذه الفوارق يمكن القول أن البلاغيين العرب المتقدمين من أمثل عبد القاهر الجرجاني قد أدركوا الكثير من جوانب هذا التوجه الأسلوبي فالجرجاني حيث صنف في النحو أو لنقل (فلسفة النحو) إنما كان يثبت دعائم لمنطقية

[1] نفسه، ص 92 بتصرف.

التراكيب النحوية من حيث مبدأ الخطأ والصواب، ومن حيث استشراف جوانب الجمال والإبداع التي توحي بها طبيعة (النظم) ونسيج اللغة المسبوك على نحو خاص.

مسارات الأسلوبية ومناهجها:

تجري الأسلوبية في ثلاثة مسارات أو عناصر تلتقي كلها في النص الأدبي المدروس وهي:

العنصر الأول: لغوي صرف. إذ أن الأسلوبية تعالج نصوصاً أنتجتها ووضعت شفراتها، ورموزها اللغة، فكل نص أدبي يمثل كتلة لغوية يمكن إخضاعها للتحليل.

والعنصر الثاني: نفعي (Use Value) إذ تدخل الأسلوبية في حساباتها مقولات غير لغوية مثل: المؤلف، والقارئ والموقف التاريخي، وهدف الرسالة وكل حيثيات (السياق) ومكوناته.

والعنصر الثالث: جمالي إذ هدف الأسلوبية الكشف عن مديات تأثير النص الأدبي في المتلقي، وعن التفسير، والتقويم الأدبيين له. وبعبارة أوضح يمكن للأسلوبية الكشف عن أية ظاهرة لغوية لها دور حاسم في إبراز عناصر الجمال في النص، فكل ظاهرة لغوية لها مثل هذا الدور هي ظاهرة (أسلوبية) أي: أنها من صلب البناء الفني للنص، ومن غير هذا الدور تكون المادة اللغوية مجرد (مادة) ليس لها أي دور في بناء النص.

وقد استخدم الباحثون في تحليل الأساليب عدداً من المناهج يقوم أكثرها على الربط بين النص الأدبي ومبدعه، انطلاقاً من النسيج اللغوي للنص، بما يزيل اللثام عن أعماق الذات المبدعة، ويضيء جوانبها المستترة، وهنا يمكن أن تستحضر مقولة (بيفون) "الرجل هو الأسلوب" وقد استند أصحاب هذه المناهج على اختلاف مساراتهم إلى نماذج تجريبية في اختبار المتغيرات اللغوية تمثل بعض الخطوات المنهجية التنظيمية في دراسة بلاغة الخطاب من منظور تجريبي، وذلك باختيار عدد من النصوص وإجراء قراءات جدولية عليها طبقاً للخطوات الآتية[1]:

---

(1) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، ص 24.

1- انتقاء نماذج أدبية للظروف التاريخية، والأدبية المتجانسة.

2- التعرف على المتغيرات البلاغية والأسلوبية التي يراد اختيارها.

3- التحليل الجدولي بقراءة أفقية، وراسية للنماذج المختارة وإحصاء حالاتها.

4- تأويل النتائج بمنظور شامل ويفسرها وظيفياً، وجمالياً.

ومن هذه النماذج التجريبية الكثيرة نذكر على سبيل المثال:

أ- أنموذج الدائرة الفونولوجية (Phonology):

بمفهومها القديم[1] الذي يهدف إلى تحليل الكلام إلى أجزاء متميزة وممن اعتمد هذا الأنموذج (سبتزر) صاحب الأسلوبية الجديدة (New Stylistics)، أو النقد الأسلوبي (Stylistics Criticism)، وقيدر، وكلوديل، وباريوس وغيرهم.

وقد اعتمد هؤلاء عنصر الدوران أو الدائرة الذي يتحرك من ثلاث مراحل: من محيط الدائرة، إلى المركز، ثم يعود إلى المحيط. إذ يبدأ الباحث بقراءة النص مرات للعثور على سمة أسلوبية معينة، محاولاً اكتشاف الخاصية السيكولوجية التي تفسر هذه السمة، ثم يقوم بالعودة إلى محيط الدائرة لينقب عن مظاهر أخرى لبعض الخصائص العقلية، وفي هذه المرحلة الثالثة قد يتحقق التوافق التام بين المستويات الثلاثة: المزاج، والفلسفة، والأسلوب ومما يوجه إلى أصحاب هذا النموذج قيام نموذجهم على طبيعة حدسية محضة بما يضعف أي استنباط أو نتيجة قائمة عليه، فالدليل اللغوي قد لا يكون حاسماً في الكشف عن الخاصية النفسية دائماً، لاسيما أن بعض خصائص الأسلوب اللغوي قد تكون مجرد عادات شخصية ليس وراءها خلفية سيكولوجية.

---

(1) هناك الفونولوجيا التوليدية (Generativ Phonology) التي تعني وصف قدرة المتكلم على إنتاج النظام الصوتي وفهمه للغته، ووضع قواعد للربط بين بناء الجملة النحوية، وشكلها الصوتي في ضوء نظرية النحو التوليدية عند جومسكي.

ب- التصنيف النوعي للأسلوب على أسس سيكولوجية محضة:

إذ يولي أصحاب هذا التصنيف جهداً في البحث عن الصور المجازية، والصور الحسية، والصور الجامدة، وتصنيف الاستعارات وفقاً للعناصر المستمدة منها (التراب، الماء، الهواء، النار) مستلهمين في ذلك بعضاً من أفكار (فرويد)، وغيره.

ج- دلالة الكلمات المفاتيح:

لـ(سانت بيف) أحد رواد النقد الفرنسي، و(بودلير) ويولي أصحاب هذا الاتجاه (الكلمات) ذات الثقل التكراري والتوزيعي الكامنة في النص، بشكل يفتح مغاليقه، ويبدو غموضه. يقول في ذلك بودلير: "لقد قرأت عند ناقد أنه لكي تكتشف عقلية شاعر على الأقل نكشف ما يشغل فكره أساساً، دعنا نفتش عن الكلمة، أو الكلمات التي تتردد عنده كثيراً فسوف تعبر هذه الكلمة عما يستحوذ على تفكيره"[1].

ومن هنا فقد أسرف أصحاب هذا الاتجاه في تحديد نسبة الظواهر اللغوية من فعلية، أو اسمية، أو وصفية واتخذوا من معادلة (بوزيمان) مقياساً إحصائياً، ويمثل هذا المقياس في قياس نسبة الأفعال مثلاً إلى نسبة الصفات الموجودة في النص، وهو ما يرمز إليه بالحروف:

ن= نسبة.

ف= فعل.

ص= صفة.

ولا بد من الاحتراس من أن مجرد البحث عن (الكلمات المفاتيح) ذات الثقل التكراري والتوزيعي، وإحصائها من غير استنباط ظواهر فنية إيقاعية، وأسلوبية، ودلالية قد يضفي على العمل نوعاً من الدقة الزائفة، ويبعدنا عن الالتفات إلى دور السياق في العملية الإبداعية، ولهذا لا بد من التمعن في اختيار (الكلمات المفاتيح)، أو (التراكيب المفاتيح) من استعارات وتشبيهات، وكنايات، ومجازات، بحيث نتوصل من خلالها هذا الاختيار الدقيق إلى

---

[1] ينظر: الأسلوب: سعد مصلوح ص 171.

طبيعة الأثر الذي تركه النص الأدبي في نفس المتلقي، وما صلة هذا النص بأشكال التعابير الجمالية الأخرى، وكيف صور هذا النص عالمه. بمعنى آخر ستكون أكثر نجاحاً في اعتماد هذا المنهج إذا استطعنا البحث في أشكال النص الأدبي، وفرزنا أهم الظاهرة اللغوية التي انبنى عليها ومن ثم إبراز القيم الجمالية الجديدة في النص المعين، ومحاولة تفسيرها، وتأويلها داخل الثقافة المنتجة لها.

وعلى سبيل المثال نفترض باحثاً، أو ناقداً بإزاء نص أدبي، يبحث فيه عن (الكلمات، أو حروفاً وبنيات) ذات الثقل التكراري. فعلى هذا الباحث ألا يقف في حدود الأسماء، أو الأفعال، أو الصفات فحسب، وإنما يغوص في النص ليستنبط الأوجه اللغوية التي لها فعلها في حركة النص، وقيمه الجمالية، والإيقاعية، والدلالية، فهناك أكثر من وجه للتكرار نذكر من ذلك[1]:

1- **التكرار الحر**: ويشمل تكرار بعض الأصوات أو الكلمات، بما يحدد نسق البنية اللغوية، ويكشف عن تجلياتها الشعرية، أو بلاغتها الإيقاعية. وتكرار الأصوات على أية صورة، وإن كان حراً، لكنه محدود، تبعاً لمحدودية الأصوات اللغوية نفسها.

2- **التكرار النسقي**: ويكون داخل الكلمة ذاتها، في علاقتها بسوابقها ولواحقها من كلمات الجملة الشعرية. وقد تم تصنيف بنيات القصيدة المعاصرة في أربعة أنماط من هذا التكرار النسقي هي:

- تكرار استهلالي، أي مفتتح القصائد. وطبيعة بناء المطلع في القصائد- العمودية خاصة- بحاجة إلى دراسات مستفيضة زيادة على ما كتب في ذلك، فمطلع القصائد ذو علاقة وطيدة ببنية القصيدة كلها سواء البنية المعجمية أم التركيبية، أم الإيقاعية، أم السردية، وللمطلع أيضاً علاقة بعنوان القصيدة (السيموطيقا والعنونه).
- وتكرار يحاكي الأصوات كـ: قهقه، كركر، طنين، حفيف، غرغر، زغرد، دندن.
- تكرار يحاكي الطبيعة.

---

[1] ينظر: في النية الإيقاعية للشعر العربي: كمال أبو ديب، والبنيات الأسلوبية، د. مصطفى السعدني.

3- **التكرار البنائي**: ويختص تكرار بعض الأبنية الصرفية دون غيرها. أو تكرار أبنية الفعل اللازم وشيوعها على حساب أبنية الفعل المتعدي، أو على العكس. أو دراسة تكرار أبنية المضارع على حساب أبنية الماضي أو على العكس. أو دراسة صور المضارع نفسه على وفق أحرفه الأولى (أنيت). أو دراسة صيغ الجموع وأنواعها، من جموع تكسير، ومذكر سالم، ومؤنث سالم، وغيرها من أنواع الجموع.

4- **التكرار التركيبي**: ويختص برصد التشبيهات، والمجازات، تكرارها ودلالاتها، وما تنتجه من صور. أو رصد أوجه: التقديم والتأخير، والفعل والوصل، والذكر والحذف، والإثبات والنفي، والتقابل والتضاد، والإضمار والإظهار، وغير ذلك من المقاييس التركيبية التي يكون لها دور ملحوظ في السياق الموسيقي للجملة وتنغيمها ومن ثم دلالاتها. إذ أن في "تقديم ما يضاهي أول الحدث، وفي تأخير ما يضاهي آخره، وتوسط ما يضاهي أوسطه سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب"[1].

وعند رصد هذه الظواهر اللغوية بفصها أو كلها، قد يجد الباحث نفسه وسط تكاثرها، وتزاحمها عليه، مما لا يمكن النظر فيه جميعه، مما يضطره إلى حصر دراسته في ظاهرة أسلوبية محددة، كأن يختار (تكرار الأصوات) أو، (تكرار الأبنية الفعلية) أو (الأبنية الاسمية)، أو (الألفاظ المتقابلة) أو (المترادفة) أو بعض (الحقول الدلالية)، أو وجهاً من الوجوه التركيبية، أو غير ذلك مما تتحدد به الظاهرة المعينة بكل أبعادها. ومع وجود هذا التحديد تبقى أمام دارس النص مشكلات موضوعية منهجية لا بد من معالجتها، بتحديد طبيعة ما يمكن تناوله من الظواهر اللغوية بالدراسة والبحث، وما يمكن طرحه، والاستغناء عنه، فمن خلال نجاح الباحث في تشخيص الظاهرة، أو الظاهرة اللغوية المعينة بإتقان، وحذر، لتحديد وظائفها داخل النص الأدبي الذي ترد فيه، يتوقف المنهج السليم في الدراسات الأسلوبية، وطريقنا إلى تحديد (الظاهرة اللغوية) المعينة يتوقف على جملة من الركائز المسماة، وهي[2]:

---

(1) الخصائص: ابن جني 1/ 555.

(2) ينظر: في منهجية الدراسة الأسلوبية، عبد الهادي الطرابلسي ص 243.

1- الوظيفية:

على أساس أن وظيفة الأسلوبية معالجة الكلام المكتوب معالجة نقدية، ولذلك تشترط مثل هذه المعالجة ثقافة مزدوجة: لغوية، وأدبية ذوقية، ومن هنا كانت الأسلوبية هي الضرب الوحيد من الدراسات التي يستحسن أن يكون الدارس فيها من أهل اللغة التي يدرسها.

وفي ظل الوظيفية يمكن البحث عن الطاقة الإيحائية للكلمات، والتراكيب بعيداً عن أي انطباع ذاتي.

2- الصلاحية:

إذ أن أمام دارس النص سبل كثيرة ليس سليماً إلا بفصها، ولابد من توافر عامل موضوعي صالح لتفسير بعض ما في النص من قيم إبداعية، وجمالية مؤثرة. فإذا باشرنا النص بالقراءة التأملية المتأنية تشخص أمامنا:

أ- مظاهر أسلوبية متوافرة في النص، لها صلة بانطباعات حاصلة في النفس.

ب- ومظاهر أسلوبية متوافرة في النص، ولم يحصل لها صدى في النفس، ولكنها بعد البحث تفرز هذا الصدى.

ت- ومظاهر أسلوبية متوافرة في النص، ولم يحصل لها صدى في النفس، وبقيت لازمة لم تفرز أي انطباع في النفس.

ث- وانطباعات حاصلة في النفس، وليس لها أساس في ظاهر النص، لكنها بعد البحث يمكن كشفها، والوقوف عليها. وليس قابلاً للدرس من هذه المظاهر الثالث منها.

3- التمييزية:

صاحب النص الأدبي يختار ليخلق، أو يبدع، ودارس النص يختار ليفسر عملية الخلق، والاختيار عند الأول فعل واعي أو غير واع، وعند الثاني واع تماماً ولهذا كان منزع عملية الاختيار في دراسة النص منزعاً علمياً. وفي ضوئها يمكن لدارس الأسلوب وقد انفتح أمامه أكثر من باب، أو عنت له أكثر من ظاهرة أسلوبية في وقت واحد، ومن خلال عينة

شعرية، أو نثرية واحدة، أن يختار ما هو مميز لأنه: وظيفي، أو لأنه صالح للتفسير، أو لأنه موضوعي.

4- الموضوعية:

وبها نتقي خطر الاعتباطية المفضوحة، وذلك بأن تتم الموازنة بين (الوظيفية) و(الصلاحية) أي (الإحصاء، والانطباع)، فلا تقبل إحصاء بلا موضوعية ولا نقبل انطباعاً بلا إحصاء. لأن الإحصاء يجهز حيثيات، والانطباع وحده يجهز أحكاماً. الأول منفرداً إطار بلا مضمون، والثاني منفرداً مضمون بلا إطار. وبالمزاوجة بين الإحصاء، والانطباع نقضي على جانب الشكلية في الإحصاء، وجانب الاعتباطية في الانطباع. ومن الجدير بالذكر القول إنه لم يعد غريباً اليوم أن نقرأ، ونسمع عن الدور الذي بدأت تشغله مناهج، ودراسات، ونظريات قد تبدو بعيدة عن مجالات الأسلوبية، والأدب، كالنظريات الإعلامية، والهندسية، والبيولوجية، والذكاء الاصطناعي، والنظريات السيموطيقية (Semiology) المتأسسة على سند نظري، منطقي، ورياضي في معالجة المعطيات النصية، وحضور هذا الركام من النظريات، والمفاهيم أصبح وارداً لرفد هذا المنحى التطوري القائم على تجاوز الوصفية، والتجريبية المتحكمة في الابستمولوجيا المعاصرة، إلى ابستمولوجيا مبنية على معطاء متطورة، وقادرة على التفاعل مع النظريات الأخرى، محطمة الحدود بين العلوم الإنسانية والعلوم البحتة[1].

ولا بد للباحث الأدبي شأنه في ذلك شأن أي باحث آخر من الوقوف على مصطلحات الموضوع الذي يبحث فيه، وما ينطوي عليه كل مصطلح من مفهوم، أو مفاهيم محددة، فليس من المعقول أن تقع بين أيدينا رسائل جامعية يتحدث فيها أصحاب عن (الصورة الشعرية)، أو (الخيال)، أو (الانزياح)، أو (التناص)، أو (الإحالة) أو (الموقف الدلالي)، أو (المحور الدلالي)، أو غير ذلك من المصطلحات من غير أن يوحي حديثهم بتمكنهم من فهم المفاهيم، أو المضامين أو الأفكار التي تنطوي عليها هذه المصطلحات وغيرها كثير.

---

[1] ينظر: الشكل والخطاب، محمد الماكري، ص 76.

المبحث الثالث

علم لغة النص (والعمل الأدبي) (Text And Work)

- ما النص؟
- وما لغويات النص؟
- وما العلاقة بين النص، والخطاب (Discourse)؟
- وما العلاقة بين النص، والعمل الأدبي؟
- وما العلاقة بين النص، والتناص (Intertextuality)؟

هذه أسئلة جوهرية، لا بد للباحث في اللغويات والأدب أن يكون واعياً بإجابتها، كي لا تختلط أمامه الأشياء، فتخرجه إلى سبل لا يعيها، أو طرق ليس من مهمته سلوكها.

لقد أدى التداخل الشديد بين البحوث اللغوية، والبلاغية، والأسلوبية إلى صعوبة التمييز ما هو نصي، وما هو غير نصي من جهة، وصعوبة الموازنة بين (علم النص) و(البلاغة) و(الأسلوبية) بل (علم اللغة بمفهومه العام) من جهة أخرى. إذ أنها كلها تعني بالمضمون، وإن كانت تتواصل إليه بطرق مختلفة، وتبعاً لهذا التداخل، تداخلت الأدوات المنهجية لتلك البحوث اللغوية، والبلاغية، والأسلوبية، بحيث صار الربط بين مستويات اللغة المختلفة، صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية سمة مشتركة، وإن زيد عليها المستوى التداولي[1]، الذي هو جزء أصيل منها، بعد أن نحي عنها زمناً طويلاً[2]. زد على ذلك تعدد

---

[1] التداولية في أبسط مفاهيمها تعني دراسة الألفاظ اللغوية في السياقات المختلفة التي ترد فيها.
والتداول لغة هو تناقل الأيدي، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ من سورة آل عمران/ 140. وقال تعالى: ﴿لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ من سورة الحشر/ 7.

[2] ينظر: علم النص: المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، ص 12- 13.

المدارس البنائية، وتشعبها، ومن ثم ظهور المدارس التحويلية التي حاول بعضها الوقوف عند العناصر التي تشكل النص الأدبي، وتحدد جوهره، ومحتواه، ودلالاته، وفرز ما هو بنية، وما هو مادة، ما هو لغوي له أثر في النص، وما هو لغوي لا أثر له في النص. وقد ظل الأمر محصوراً في حدود الجملة عند جومسكي، ثم زيد على ذلك نمط من أنماط الدراسات النصية حاول أصحابه عبره الربط بين استعمال فكرة الزمن، وأنماط نصية محدودة، تفسر على أنها تعبير عن أفعال كلامية محددة، وقد دافع عن فكرة مفادها أن علم اللغة لا يمكن إلا أن يكون علم لغة نصي، بمعنى أن كل بحث لغوي نصي يجب أن يبدأ به بوصفه إطاراً للوصف، وانتهى هؤلاء إلى أن النص: تكوين تحدد أجزاؤه بعضها بعضاً، إذ أنها ثابتة، متضافرة في آن واحد، وقد حرص هؤلاء أيضاً على إدخال المكون الدلالي في التحليل ومن هنا تعددت تعريفات النص فمن قائل أنه: "مجموعة من الرموز اللغوية المعبرة، لها وظيفة الجماعي"، ومن قائل أنه: "قطعة ما ذات دلالة، وذات وظيفة، ومن ثم هي قطعة مثمرة من الكلام"، أو أنه: "علامة لغوية بنائية تركيبية تبرز الجانب الاتصال والسيمائي"[1].

ومن الثابت لدينا أن الحديث في تماسك النص بوصفه مجموعة من الأجزاء التي يحدد بعضها بعضاً في التراث العربي عند اللغويين والمفسرين والبلاغيين العرب قديم، فقد ألمح الجاحظ إلى شيء منه، وكذلك فعل الرماني (ت. 386هـ) في (النكت في إعجاز القرآن)، والخطابي (ت. 388هـ)[2]، وأغلب المفسرين.

ومن هنا فإن (لغويات النص) أو لنقل (علم النص) علم أعم وأشمل من تحليل الخطاب، أو الكلام، فهو يركز على دراسة النصوص في ذاتها، وأشكالها وقواعدها، ووظائفها، وتأثيراتها المتباينة. وهو بذلك يتضمن فيما يتضمن بعض عناصر الأسلوب (Stylistics) وعلم السرد (Narratology)، ويتداخل مع الشعر، والأدب، والبلاغة، وعلم الاجتماع، والنفس، وغيرها، ويتأثر دون شك بالدوافع، ووجهات النظر، والمناهج، والمقولات التي تقوم عليها هذه العلوم[3].

---

(1) تنظر: هذه التعريفات وغيرها في: علم النص، ص 102- 108.

(2) ينظر: البيان والتبيين 1/ 67، والنكت: ص 96، وبيان إعجاز القرآن، ص 36.

(3) ينظر: علم النص، ص 10، ،المصطلحات الأدبية الحديثة، ص 116.

ولأن (علم النص) علم متداخل الاختصاص مع علوم أخرى، أمكن تمييزه عن (الخطاب) بوصف الخطاب تواصلاً لغوياً بين الباث والمستقبل، وهدفه الاجتماعي هو الذي يحدد شكله. أما النص فهو التوصيل اللغوي، سواء كان منطوقاً، أو مكتوباً، وبوصفه رسالة[1] فحسب تتخذ صورة شفرات محددة في صورتها المسموعة، أو المقروءة، وهذا يوحي بأن الحديث عن النص معناه التركيز على اللغة وكيف يتأتى لها أن تحمل الرسالة التي تريد.

وإذا كان النص يمثل مجالاً منهجياً، فإن العمل الأدبي على ما يقول (رولان بارت): شيء مكتمل، شيء يقبل العد والحساب (Computable)، شيء يشغل حيزاً مادياً، أن العمل الأدبي هو ما يوجد أيدينا، والنص هو ما يوجد في اللغة، إنه مقصور عليها وحدها من ألفه إلى يائه، وبعبارة أخرى إننا لا نستطيع أن نشعر بوجود النص إلا في الإنتاج، وهو المغزى[2]. ولهذا أصبح النص هو المصطلح المفضل عند الإشارة إلى نص أدبي، أو غير أدبي.

وللنص- أي نص- مكونات محددة، بها ينماز عن (الخطاب، أو الكلام، وهي[3]:

- أنه (تعبير) توحي به علاقات محددة، ومجسدة داخل النص، أي أنه تتابع وحدات جملية.
- وأنه (تحديد) لاحتوائه على دلالة غير قابلة للتجزئة.
- وأنه (خاصية بنائية)، وهي شرط لتكوينه، وجعله نصاً وتتمثل هذه الخاصية البنائية في أدوات ربط نحوية، ونحو النص (Text Grammar)، أو ما يسمى بـ(النصية). فالربط النحوي معيار أول، والتماسك الدلالي معيار ثان.
- وهناك معايير قصدية، تحدد (هدف النص).

---

(1) المصطلحات الأدبية الحديثة، ص 116.

(2) نفسه: ص 115.

(3) سواء كان نصاً مفتوحاً (Open Text) يوجهه صاحبة إلى قارئ معين، وله معنى آني محدد، ولكنه يقبل تفسيرات جديدة متتابعة، ومن ثم فهو (مفتوح)، أم نصاً مغلقاً (Closed)، مما ليس له معنى محدد، ولا يقبل إلا تفسيراً واحداً، فهو مغلق، وقد أدى الاستعمال العكسي للمصطلحين بلبلة كبيرة.
ينظر: المصطلحات الأدبية ص 65- 66.
ينظر: علم النص: ص 145- 146.

- ومقبولية خاصة بالمتلقي.
- و(إخبارية) تتعلق بتحديج جدة النص.
- و(موقفية) تتعلق بمناسبة النص.
- و(التناص) (Intertextuality) ويختص بالتعبير عن تبعية النص لنصوص أخرى أو اصداؤها وتداخله معها. وإذا كان التناص لا يقتصر على الآثار، أو الأصداء، أو التضمين، بل يمثل تمازجاً كبيراً بين النص المدروس، ونصوص أخرى أطلق على مثل هذه الظاهرة (عبر النصية) (Transtextuality)، وتم فرز النص المتأثر (Hyper text) ومن النص المؤثر (Hypo Text).

ومن النقاد من ينكر تأثير كاتب في كاتب، ومصادرة عمل أحد على حساب آخر، وغاية الأمر عنده أن الأمر لا يتعدى تبادل مواقع نظم العلامات فيما بين النصوص، أي إحلال نهج أسلوبي محل نهج آخر[1].

ومن الجدير بالذكر أن اهتمام النقاد بالتناص إنما كان يصب في (الرواية) أول الأمر، ففيها يمكن أن تتدخل العقد، والشخوص، وأساليب السرد والحوار، واللغة بما يمكن رصده بوضوح، ومن ثم توسع مفهوم التناص ليشمل أي نص أدبي.

مناهج النظر في النص الأدبي:

لما كان (النص) وجوداً لغوياً، يخلق ويكون وجوداً جمالياً فقد اعتمد أكثر النقاد والدارسين منهجاً قائماً على مقاربة النص الأدبي مقاربة داخلية، أي التركيز عليه بوصفه كياناً ذا مواصفات خاصة يمكن قياسها وحسابها، وهذا الموقف نفسه قد تمثل في مجموعة من التيارات النقدية لغوية، أو شكلية، أو بنائية، أو جمالية، وكلها تعمل في صميم النص، وما

---

[1] ينظر: المصطلحات الأدبية، ص 46- 47.

يفرق تياراً عن آخر هو القدرة على التعامل مع النص بعيداً عن ضغوط الواقع من جهة، ومقدار إحالته إلى الواقع الذي أفرز هذا النص من جهة أخرى.

المنهج اللغوي:

يحاول أن يتعمق في لغة النص الأدبي باعتبار أن الألفاظ حوامل للمعاني، ومن هنا كان الاهتمام بتخير الألفاظ، والاعتناء الكبير به، وبطبيعة تراكيبه، أي المظاهر الخارجية للغة (Exteriority) ومما يوجّه لأصحاب هذا المنهج نظرتهم إلى اللغة بوصفها وسيلة مجردة أو قدرة ذهنية يمكن فصلها عن سياقها الاجتماعي، والثقافي، والتاريخي، والنفسي، واحتمالاتها، وإنهم يستندون إلى ظواهر المعاني في التفسيرات والتأويلات المختلفة دون الالتفات إلى السياق الخارجي الذي اتبع فيه النص.

إذ يعتقد المعترضون على هذا المنهج اللغوي إن هناك خارج النص، أو خارج اللغة سياق ذو أحوال مختلفة تعمل مجتمعة على بناء النص ودلالاته، ولا بد من ملاحظتها، وإدخالها عنصراً من عناصر التحليل[1]، ويعد هذا الاتهام تشويهاً للمنهج اللغوي[2] سببه بعض المنطوين تحت ظلال الأسلوبية ممن استهواهم هذا المنهج فراحوا يسطرون الخرائط،

---

(1) تقترب هذه الدعوة مما يسمى (الإحالة) (Logo Centrism) إلى معنى خارج النص، أو خارج اللغة.
ينظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، ص 51.
ونذكر أيضاً بما يطلق عليه اليوم مصطلح التداولية (Pragmatics) التي تعني بدراسة استخدام اللغة في شتى السياقات الواقعية، أي تداولها علمياً، وعلاقة ذلك بمن يستخدمها، تفريقاً لها عن مذهب العلاقات الداخلية بين الألفاظ (Syantactics)، وعلاقة الألفاظ بالعالم الخارجي، أو دلالاتها (Semantics) ومما ينادي به أصحاب (التداولية) أن تفسير النص الأدبي لا يكتمل إلا بتفسير استعماله لوسائل التواصل المتاحة كلها. ومثل هذه الدعوة تعيد الاعتبار للرابطة القديمة بين البلاغة، وفن الشعر. بمعنى أنه يجب الجمع بين الحركة نحو الخارج، والحركة نحو الداخل، أي الانطلاق إلى داخل التص للتمييز، أو تحديد الوسائل الفنية التداولية كالإضمار، والافتراض المسبق، والإقناع، ثم إلى خارج النص لإقامة العلاقة اللازمة بين هذه العناصر والقوى الموجودة خارج النص في عالم الكاتب، وعالم القارئ، مثل علاقات القوة، أو السلطة، والتقاليد الثقافية، ونظم النشر والتوزيع، والرقابة، وكل مظاهر الروابط والتفاعلات التداولية.
وينظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، ص 77.

(2) يعد الدكتور لطفي عبد البديع في كتابه (التركيب اللغوي للأدب) من أوائل النقاد الذين مارسوا هذا اللون من النقد بمهارة، واقتدار.

والتخطيطات التي لا تخدم النص، وإحصاء تراتر بعض الألفاظ، أو تعدد بعض الأفعال من غير البحث في وظيفة هذه الظواهر اللفظية في حركة النص الأدبي، ودلالاته.

المنهج الجمالي:

اهتم بجمالية النص الأدبي وشعريته، بوصفه كياناً جمالياً بالدرجة الأولى، يلبي حاجات جمالية في المقام الأول، أما الوظائف الأخرى المنوطة به فهي لاحقة بجمالية النص، لا سابقة عليه. ومن هنا فقد استند أصحاب هذا المنهج على مناهج متعددة أخرى أفاد منها في تحصيل جماليات النص، ومن ذلك استناده إلى علم النفس، وعلم الجمال، زيادة على علم اللغة.

ومن الجدير بالذكر أن أصحاب هذا المنهج لا يكترثون بالأحكام[1] القيمية، أو الأخلاقية إلا إذا أفرزت وظائف جمالية.

المنهج البنائي الشكلي:

الذي ركز أصحابه على نظرية اللغة، ومقاربة النص الأدبي مقاربة داخلية، وذلك برصد الأنساق البنائية، والتركيبية، وتحليلها داخل النص الأدبي في المرحلة الأولى. وفي المرحلة الثانية يتجاوزون عملية رصد الأنساق اللغوية هذه إلى فعلها في الواقع النفسي، والاجتماعي، والتاريخي، مستندين في منهجهم هذا إلى المنطق، والرياضة، وغيرها من العلوم[2].

---

(1) تعزز هذا المنهج بكتاب د. عبد المنعم تليمه (مداخل إلى علم الجمال الأدبي، وفي الخصومة التي دارت بين محمد مندور، ورشاد رشدي الذي مثل الاتجاه أو المنهج الاجتماعي في دراسة النص الأدبي.

(2) يمكن اعتبار: كمال أبو ديب، وجمال الدين بن الشيخ، وعبد السلام المسدي، وعبد الكبير الخطيبي من أصحاب هذا المنهج.

المبحث الرابع

(وظيفة النقد الأدبي) نحو منهجية جديدة

تعددت المدارس والمناهج النقدية، وتكاثرت من انطباعية، وتأثيرية، وتاريخية، ورومانسية وراديكالية[1]، وغير ذلك من المناهج، وتكاثرت معها طرائق للبحث مساعدة، ووسائل مساندة، إلى أن دعا (ماثيو ارنولد) في القرن التاسع عشر للميلاد إلى الحاجة إلى (نقد موضوعي) (Impersonal Theory)، قادر على تحديد القيم الفعلية للأعمال الأدبية وقادر على تربية الذوق الأدبي وتنميته، وخلق القدرة على التمييز بين ما هو فني، وما هو غير فني، وإعانة القارئ على تلقي إحساس أكثر وضوحاً، ومتعة أكثر عمقاً.

إن النقد الأدبي على رأي ارنولد (جهاد موضوعي)، قائم على منهج تحليلي يباشر الأعمال الأدبية تفسيراً وشرحاً من داخلها بوصفها كائنات عضوية مستقلة عن أهواء الشاعر، وميوله الشخصية، أو الدينية، أو الفكرية.

---

(1) النقد الراديكالي (Radical Criticism) مصطلح شاع في بعض الأوساط الثقافية في العصر الحديث، وإن كان مفهومه معروفاً عند بعض الفلاسفة والمناطقة والفقهاء قديماً.

وهذا النقد عام لا يشمل الأدب فقط، ويقصد به صدور أصحاب النقد عن تشدد، وتعصب في مخالفة آراء الأخرين، فليس هناك حياد منطقي مفترض في الناقد، أو المباين. ومثل هذا النوع من النقد لا تتوافر فيه عناصر إنسانية عامة، بل هو صادر عن الذات المتشبثة بفرديتها، والهاتفة بـ(الأنا) الواحدة والمعتمدة منحى تعصبياً (Fanaticism)، تعبيراً عن انحيازها وتشددها في الرأي، أو العقيدة، أو المذهب ولهذا تكون تصادم (Clash) مع الأخرين، وعلى اختلاف (Difference) لفظي في معالجة المسائل التي هي مجال للحوار بين الناقد الراديكالي وخصمه، بما يلغي الآخر تماماً في حين أن من مهمات النقد محاولة تصحيح آراء الآخرين وليس إلغاؤها، أو التصادم معها والتعصب ضدها والانشقاق عليها ومعاندتها، أو التلاعب بالألفاظ، والمعاني، والنتائج وعدم الموازنة بين النقد وحرية الفكر، إذ أن حرية الفكر لا تعني أن يكون النقد مناقضاً (Contradictory) لطبيعة أفكار الآخرين، ولا بالخروج عن المألوف في الأفكار، ،والظن أن (الأنا) هي دائماً، والآخرين على خطا، وفي غياب عن أية أسس عقلية منطقية.

ينظر: إشكالية النقد الراديكالي، د. عبد الأمير الاعم، ص 91 وما بعدها.

أن النقاد في مباشرة أعمالهم النقدية على فريقين:

- فريق يعتمد مقياساً شخصياً. والذي يباشر الأعمال الأدبية بهذا المقياس، إنما يبحث عن نفسه، وما يتفق ومصلحته.
- وفريق يعتمد مقياساً حقيقياً، موضوعياً، وهذا هو الناقد الذي لا يأبه بالأهواء، ولا تضرب أفكاره ربح الميول الشخصية.

إننا قد نعجب بقصيدة، أو شاعر لأسباب شخصية تتعلق بنا، ولا تتعلق بالقصيدة، إذ قد يكون مرد هذا الإعجاب أنها أعني القصيدة تعكس شيئاً، أو ظروفاً قريبة منا وخاصة بنا، مما يجعلنا نخطئ تقدير قيمتها الفنية الحقيقية بوصفها شعراً، ونعلق عليها من الأهمية أكثر مما تستحق. والصحيح أن يتم تفسير العمل الأدبي بما يزيد استمتاعنا به، وإحساسنا بقيمته الحقيقية، والطريق إلى ذلك التسلح بثقافة واعية واسعة بالأعمال الأدبية الكبرى من عيون الشعر، وعيون القصائد، وبثقافة لغوية ذوقية وصينة معتمدين في ذلك على منهج قائم على التحليل والموازنة.

- بالتحليل نكشف علاقات النص الداخلية، ونسيجه، وتركيبه، وماذا ينطوي عليه من وسائل فنية استند إليها الشاعر، أو الكاتب لتحويل عاطفته إلى كيان موضوعي له كيانه المستقل، وحياته الخاصة به.
- وبالموازنة مع الأعمال الأخرى يمكن لنا:
  - التفريق بين لونين من الدراسة الأدبية: الدراسات المساعدة، والدراسات الأصلية، فكل الدراسات التي تقوم حول الإقليم وأثره، والجنس خصائصه، والثقافات واختلاطها، والترجمات، وانتشارها، والمذاهب وتشابكها دراسات مساعدة، تعين على تذوق الأشياء الفنية أحياناً.

أما دراسة الأدب لنفسه، والتعرف على حياته وتحليله، والتمرس به، والوقوف منه موقف الناقد الشارح، المعلل، المتذوق معاً، فلذلك ما يمكن عده درساً أدبياً نقدياً، وبالموازنة يمكن لنا أيضاً الانتقال من الفردي إلى العام، ومن الجزئي إلى الكلي، وبهذا الانتقال يمكن لنا

النظر إلى الأدب في كل أوضاعه، وألوانه، والإحاطة بكل مظاهره، وصوره، والتعمق في عوالمه الداخلية، ورصد أحاسيسه ونبتعد عن الوقوف على نماذج محددة، ونصد عما سواه وبذلك نخسر كثيراً من أدب ما يسمى خطأ (بالعصور المظلمة) التي تلت الدولةالعباسية (656هـ) ونسميها (العصور المظلومة) إذ فيها ظهرت كتب الشروح، والموسوعات كنهاية الأرب للنويري، وصبح الأعشى للقلقشندي، ومسالك الأبصار لابن الفضل العمري، وغيرها من الكتب الموسوعية إننا إذا تجاوزنا هذه الفترة قد لا نلتفت إلى مقدمة ابن خلدون.

ويفوتنا معرفة كيفية دخول لأدب إلى آفاق الفلسفة، والتاريخ، والأيديولوجيا، ويفوتنا ايضاً عدم أحكام الصلة بين الألوان الأدبية: الشعرية والنثرية. إننا إذا ما تأملنا وظائف النقد الأدبي بكل تجلياتها الوصفية، والتحليلية، والتفسيرية، ومن ثم الحكم عليها أمكننا استيعابها بنقاط محددة من أبرزها الآتي[1]:

أولاً: إنتاج معرفة بالنص الأدبي نفسه:

وهي الوظيفة الأولى والأسمى للنقد الأدبي فالنص الأدبي يمكن أن يدرس على وفق مناهج كثيرة، قد تتفق كلها، أو بعضها في نتائجها، وأحكامها على النص الأدبي الواحد، ومعنى هذا أن النقد الأدبي هو نص أدبي ثان، لكنه يختلف عن النص الأدبي المدروس في كونه يحاول أن يؤسس لعناصر المعرفة في هذا النص، وذلك بتركيزه على قضية، أو قضايا جوهرية في النص، وهذه القضية هي جزء من معرفة النص وإدراك عناصره في أوضاعها المختلفة.

إن النقد الأدبي الصحيح يمثل خطاباً أدبياً مؤسساً معرفة مستندة إلى ما في النص الأدبي المدروس من تجليات مضمونة، أو بنائية، أو لغوية، ومظاهر جمالية تكمن في النص، وتشكل حقلاً من حقول الممارسة النقدية.

---

[1] ينظر: إنتاج معرفة بالنص، حسين خمري (الحلقة السابعة).

إن هذه المعرفة لا تأتي دفعة واحدة، أو يمكن تلخيصها بكلمات قليلة، فيقال أن مضمون هذا النص يدور حول كذا، أو بنيته تتفق مع الجنس الأدبي كذا، أو أنه يمثل آية في الإبداع لأنه في رثاه كذا، أو وصف كذا، إلى غير ذلك من الأحكام الانفعالية، والانطباعية المتسرعة، وإنما تأسيس معرفة نقدية حقيقية بالنص على وفق مراحل محددة يتحكم فيها المنهج المتبع من الناقد الذي يحاول أن يتخطى كل الافتراضات الانطباعية الأولى (افتراضات النص) (Transgressive Strategy)[1] من مسلمات ومبادئ، وأعراف يقوم النص على أساسها وذلك بالرجوع- وباستمرار- إلى النص الذي بين يديه لتشذيب الطفيليات التي تنمو على حواشي النص، أو في داخله، ولتطوير العناصر النامية فيه، التي تشكل ظاهرة معرفية معينة، أو للتأكد على مستوى من المستويات، لكي لا تكون العملية النقدية انطباعية محضة، تصدر خلالها أحكاماً وهمية ليس لها وجود فعلي متحقق في النص، وإنما وجودها في ذهن الناقد الذي لا يولي لعمله كثيراً من العناية واهتمام القائمين على المعرفة، والثقافة.

إن الناقد الحقيقي هو القادر على القيام بعملية تحليل النص الأدبي من خلال (وصف كثيف) (Tick Descrition)[2] يأخذ باعتباره جميع الاحتمالات عند تفسير ظاهرة أو فعل ما[3].

ثانياً: النقد فعالية إنسانية، حضارية:

إن موضوع الأدب هو العلم، لأن الأدب والفن أخذ أوجه علاقة الإنسان بالإنسان، أو علاقة الإنسان بمحيطه الاجتماعي، والتاريخي، والموضوعي. والناقد في تناوله للنص الأدبي إنما يتناول تصوير هذا الإنسان داخل النص الأدبي، ولهذا يكون النقد الأدبي فعالية إنسانية حضارية يقوم بها إنسان له مواقف معينة من قضايا الإنسان، ومن الثقافة،

---

(1) ينظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، ص 121.

(2) ويقابله: الوصف المزيل المحدود (Thin Description).

(3) يرى أصحاب (التفكيكية) (Desconstrution) أن كل قراءة للنص بمثابة تفسير جديد له، واستحالة الوصول إلى معنى نهائي وكامل لأي نص، ولذلك لا بد من التحرر من اعتبار النص كائناً مغلقاً، ومستقلاً بعالمه.

مستعملاً في ذلك طرائق متعددة للتعبير عن هذا الموقف من أجل أن يزيد إلى رصيد المعرفة البشرية، ويغني عناصرها برؤى جديدة، ويسهم في قراءة التراث الإنساني، ويحاول أن يكشف عن بعض أسراره، وغوامضه التي لم يسبق أن أميط اللثام عنها. وأنه أيضاً يسهم في التعريف بالإنسان المبدع، وفي مقدرته على التعامل مع محيطه الإنساني، ويوضح العلاقات الاجتماعية داخل العمل الأدبي ويبين نوعيتها، ومكانة كل فرد ودوره داخل هذا البناء.

ولا بد للناقد من التعرض إلى تحليل نفسية الإنسان من خلال أعماله الأدبية سواء بتحليل نفسية الشاعر، أو الكاتب، ومن ثم تشخيص أمراضه، أو طريقة تعامله مع الواقع، أو الكشف عن أحاسيس الناس وبذلك يساعد على تعميق هذه الأحاسيس إن كانت إيجابية، أو يبين أوجه الخطأ فيها إن كانت سلبية.

ومن هذين الموقفين يتأكد لنا أن النقد الأدبي عملية إنسانية حضارية واعية. إننا سنظل نقرأ روائع شعر ما قبل الإسلام، وروائع المتنبي، أبي العلاء، والبحتري، والشريف الرضي، وغيره من القمم، وسنظل نقرأ الجاحظ، والجرجاني مثلما نقرأ أرسطو. لكي ندلّ على تواصلنا الإنساني والحضاري.

ثالثاً: النقد الأدبي نص إبداعي:

النقد الأدبي ليس نقداً أيديولوجياً، وليس عملية سهلة لا تحتاج إلى أي عنصر من عناصر الإبداع كما توحي أعمال بعض المتطفلين على النقد، ممن أفرزوا محاكمات، ومحاكاة (نزالية)، وتهويمات بعيدة كل البعد عن روح الأدب والنقد، وغير ذلك من الممارسات المحسوبة على النقد. إن النقد إبداع بالدرجة الأولى، ولا بد للعمل النقدي أن يحتوي على بعض العناصر الإبداعية القادرة على خلق فضاء جمالي يكون في مستوى الفضاء الشعري للنص الأدبي، وقد أحسن القدماء العرب صنيعاً حين التفت بعضهم إلى هذه الناحية حين قرروا أنما يعلم ذلك من اندفع في سلك طريق الشعر إلى مضايقه وانتهى إلى ضروراته" ولا يتم للناقد ذلك إلا بالاقتراب من مجال اهتمامه، فناقد الشعر عليه الوعي بالشعر، وناقد الرواية عليه الوعي بفن الرواية لأن هذا الوعي هو المدخل الأساس إلى عالم النص الأدبي، والمعين

على وصفه وتحليله تحليلاً فنياً وجمالياً إبداعياً، واكتشاف وظائف كل عنصر بنائي يقوم عليه النص، ومن ثم ربط العناصر المكونة للنص بإطارها الثقافي العام لتحديد مكانه، وقيمه الموضوعية، ومدى انتمائه إلى تراث الأمة الأدبي.

رابعاً: الدور الإيديولوجي للأدب والنقد:

تعد العلاقة بين الأدب والفكر، والسياسة، والثورة محل إشكال يحمل دلالات متعددة، ومرد هذا الإشكال اختلاف الآراء والمقولات التي حاولت تحديد العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا والتي وصلت في بعض طروحاتها إل حد التناقض والتقاطع، وظلت إلى اليوم صدى وترجيعاً لطروحات نظرية وفلسفية و جمالية، ولغوية عرفتها الثقافات الإنسانية عبر مراحل طويلة من تاريخها. فمن الباحثين من حاول تفكيك العلائق بين الأعمال الأدبية والأيديولجيا، فليس عنده ثمة علاقة مفترضة بين هذه الأعمال والفكر والسياسة والثورة، فلكل منها خصوصيته وعناصره وبنياته، مما دفع بأصحاب هذا الرأي إلى الدعوة إلى كتابات أدبية جمالية مبدعة بعيداً عن أي شعار أيديولوجي أو سياسي. ووقف آخرون عند تنظيرات (أدونيس) التي حاول عبرها إلغاء أي دور أيديولوجي للأدب، فالأدب شعره ونثره، وقل ثوريته، إنما تتحدد في المجال اللغوي وليس في الأطر أو العلائق التي تتموضع فيها تلك اللغة.

ويصرّ بعض الباحثين على اعتبار الأدب خطاباً سياسياً وأيديولوجياً مجرداً، ومن ثم يجب الاهتمام عند هؤلاء باللفظ والمضمون والموضوع، ولهذا صرفوا جهداً كبيراً في دراسة كيفيات القول والحوامل الفنية والجمالية والتقنية ودراسة العلائق بين النص الأدبي ومراجعه، والنص وعلاقته بالنصوص الأخرى مما أطلقوا عليه مصطلح (التناص) ودراسة النص وتاريخه، ولغته، وبيئته، وأخيراً النص وصاحبه. وقد حاول النقد الأمريكي أن يعدل من هذا المنطلق نحو مبدع النص حينما طرح (طيخليوس) مقاله الشهير (التقاليدي والنهوض) باعتبار أن المهم هو الأدب (الشعر) وليس الأديب (الشاعر)، وليس الأديب هو المرجع الأول والأخير لأدبه.

والراي عندنا أنه لا يمكن فهم العلائق بين الأدب والأيديولوجيا إلا بالعودة إلى قراءة متفحصة للتراث الإنساني بما يعين على تحديد تلك العلائق تحديداً شمولياً بعيداً عن المفاهيم والأحكام المبتورة والجزئية، وتحديد السياقات والمراجع التي تتبلور في كنفها الأعمال الأدبية الكبرى بما يربط المنطلقات التأسيسية لأوجه الثقافة والحضارة لأمة معينة بتراثها أولاً، ويوصل هذه الأوجه الثقافية والفكرية بما في الحضارات الإنسانية الأخرى ثانياً، وبهذا يمكن لنا أن نفرز بوعي وجدارة كل سياق نظري قبل بهذا الشأن لنتبين أوجه التناقض والاختلاف بين مجمل الطروحات والمفاهيم التي قيلت، ومن ثم يمكن اختيار الإجابة المناسبة لتحديد العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا، ولنا من تاريخنا العربي الإسلامي ما يعين على إنجاز هذا العمل الكبير، إذ زخر هذا التراث بأمثلة حية تؤكد أن لكل خطاب أدبي شعري أو نثري أيديولوجيته الخاصة به، مع التأكيد على أن هناك ارتباطاً بين الخطاب الأدبي والتاريخ باعتبار أن الأدب من مظاهر التاريخ ثقافياً، وحضارياً.

إن التركيز على فهم ما قبل النص، وما بعده هو الطريق الأمثل للوصول إلى السر الإبداعي الجمالي والإنساني الذي يزخر به عالم الأدب لاسيما إذا صاحب هذا الفهم وعي بمختلف المقاربات والاتجاهات النقدية والقرائية، ومنها البنائية، والتفكيكية، والسوسيولوجية، والسيكولوجية، وغيرها لأن مثل هذه القراءة منزع إلى تأكيد أن الأدب موهون بتاريخه، وجوهره الاجتماعي والفكري، وبانتمائه المبدع الخلاق إلى مجمل المحتوى الثقافي للأمة المعينة. إن قراءة متفحصة إبداعية شاملة للأدب زيادة على كونها تخلق مفهومها، وأدبيتها القرائية القادرة على القيام بعملية استنطاق خلاقة شاملة للأدب فأنها أيضاً تعين على بيان سر القيم الجمالية والفنية للأدب المعين نفسه.

إن الثورة المعرفية، والفكرية، والسياسية، والإعلامية صنو الأدب، ولا يمكن فصل الأديب شاعراً كان أم كاتباً عن هذه الثورة، ولذلك فالنص الأدبي دليل مبدعه، في وعيه، وفكره، وانتمائه، وطموحه، في الخروج من عالمه الداخلي إلى العالم الإنساني الأرحب.

الفصل الخامس

في طريق البحث

المبحث الأول

(المبادئ العلمية لإجراء البحث)

أولاً: اختيار البحث:

من الضروري أن يكون الطالب محور اختيار بحثه ومنطقه وليس الأستاذ، وللخروج من أزمة الاختيار على الباحث أن يدرك أنّ لا ملاذ للعقل إلا في ذاته، وعلى الطالب الباحث أن يجد في ذاته القوة، والإرادة في اختيار موضوعه بنفسه إذ أن "كل ما هو ممكن بالحرية هو عملي" على حد تعبير (كانط)[1]، هذا إذا فهمنا الحرية بوصفها موقفاً من الذات، والآخرين. أن كل شيء يكون مغلقاً، ومستعصياً أمام الباحث من غير مجازفة، وثقة بالنفس، ومن غير الذهاب إلى المواقع المتقدمة وهذا لا يعني غياب دور الأستاذ المشرف، فإن دور الأستاذ في عملية الاختيار، وتشذيب الموضوع، والتدقيق فيه، وتوجيه الطالب الوجهة الصحيحة في الوصول إلى حقائق الموضوع، وأبعاده وبعض مصادره. وقد يكون الأستاذ هو الفيصل في عملية الاختيار، فإن له من تجاربه وبحوثه وقراءاته مخزوناً علمياً كبيراً فيه نقاط مركزية بحاجة إلى أن يتصدى إليها بعض طلبته دراسة وبحثاً.

ولا بد أن يسبق اختيار موضوع البحث زيارات مكثفة يقوم بها الطالب للمكتبات للاطلاع الواسع على المصادر، والمراجع وما يتيسر من مجالات علمية محكمة، بما يتيح له أبواباً من الوعي، والتأمل، التدبير لما يريد اختياره من بحث، بعد أن يتم له إجراء مسح أولي لأدب الموضوع، والدراسات السابقة له في مجالها العام[2]، لتكوين انطباع موضوعي شبه كامل عن المحاور المركزية للموضوع المزمع اختياره بما يكفل للباحث- فيما بعد- الفصل

---

(1) العقل في القرن العشرين، برتران سرنان، ترجمة: د. فاطمة الجيوشي، ص 36.

(2) ينظر: دليل الرسائل والأطروحات الجامعية، أ.د. عبد الله زيد الكيلاني، ص 11.

بينهما تمايزياً (Differentiation) في الخطة التي سيعدها لبحثه بحيث يشعر الطالب بعد هذه القراءات المعمقة فيما يريد الكتابة فيه أنه على أمرين معاً:

الأول: قدرته على تقديم ورقة بحثية، أو حلقة درس (Seminar) أمام هيئة علمية، ومن يحضرها من أقرانه، في الموضوع الذي يريد الكتابة فيه، بحيث يقنع الهيئة بأهمية الموضوع، وفروضه، وفائدته له، وللناس، لاسيما في البحوث الكاملة (Complete Research) من نحو بحوث الماجستير والدكتوراه لأن هذه البحوث هي التي ستحدد مستقبل الطالب ومجال اختصاصه الدقيق، وستكون بدورها مصادر علمية للآخرين.

والثاني: قدرته على تقديم خطة بحثية أولية تحدد فروض البحث وتساؤلاته، والأهداف التي يريد الطالب تحقيقها من خلال بحثه، وتؤكد أن اختيار الطالب لموضوع بحثه ليس اختياراً عشوائياً. ولا نعتقد أي نجاح للطالب في بحثه إذا لم يكن اختياره لموضوع بحثه اختياراً قائماً على أسس علمية منطقية نذكر منها الآتي:

أ- الرغبة في الموضوع، والقدرة على البحث فيه.

ب- أن يكون الموضوع في حدود إمكانات الطالب، وقدراته العلمية، والثقافية، وما يتيسر له من زمن، ومال.

ج- وفرة مصادر الموضوع، ومن ثم وفرة مادته كما، كيفاً.

د- أن يكون الموضوع أصيلاً (Original)، وجديداً غير مطروق. والأصالة قد تتحدد في قدرة الباحث على الإتيان بشيء جديد ومحدود وغير هامشي (Marginal) زيادة على ما هو موجود، أو ترتيب لمتفرق، أو نقض لشيء أو تصحيح لمفهوم، أو غير ذلك من نتائج البحث العلمي وأهدافه التي حددها أحد أسلافنا بقوله: إن التأليف سبعة أقسام لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها، وهي:

- بما لم يسبق إليه فيخترعه.
- أو شيء ناقص فيتمه.
- أو شيء مغلق يشرحه.
- أو شيء طويل يختصره، دون أن يتحل بشيء من معانيه.

- أو شيء مفرق فيجمعه.
- أو شيء مختلط يرتبه.
- أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه"[1].

زد على ذلك أن من أهداف البحوث العلمية تطوير المعرفة الإنسانية، وتفسير الوقائع، والأحداث، والظواهر، وإشباع حاجة الإنسان الباحث في سعيه الدائم نحو معرفة أسرار الظواهر والوقائع واكتشاف سننها، وحقائقها.

هـ- أن يكون البحث المختار واضح المعالم والأفكار، محصوراً في زمان ومكان محددين، كان يكون في ظاهرة لغوية، أو أدبية، أو لغوي شهير، أو شاعر كبير، أو فن أدبي معين.

و- أن يكون الباحث واعياً بأبعاد المنهج الذي سيعتمده قادراً من خلال هذا المنهج على بناء بحثه على تصميمين أساسيين:

- الأول: تصميم كمي قائم على المنهجية الشمولية، والتوثيق الدقيق للمعلومات.
- والثاني تصميم نوعي وهذا الربط الجدلي بين التصميمين لا يقوم إلا من خلال الوعي بأبعاد المنهج، أو المناهج المستندة إليها في إجراء البحث من جهة، والوعي بأبعاد (المنهجية) أعني مجموع المعايير، والتقنيات، والوسائل الواجب اتباعها قبل البدء بالبحث، وفي أثنائه من جهة أخرى.

إن غياب المنهج في أي بحث يعني غياب مبدأ العلمية، وصفة الأصالة في البحث، وكل بحث من غير منهج واضح ومحدد إنما هو حديث في الموضوع، أو الظاهرة المدروسة، وليس بحثاً علمياً فيها.

ثانياً: اختيار عنون البحث:

اختيار عنون البحث مسألة خطيرة، ودقيقة جداً لكون عنون البحث أكثر تحديداً من موضع البحث نفسه، فالعنوان دالة مشرقة على الموضوع، بل إن العنوان "يكون أحياناً هو

---

(1) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، 1/ 35.

الموضوع نفسه"[1]، ولذلك يجب على الطالب أن يراعي في اختيار عنوان بحثه الأسس العلمية الآتية:

1- لا بد من صوغ العنوان بعبارة محددة ومختصرة وذات معنى واضح ودقيق، يوحي بأبعاد الموضوع النظرية، ومشكلاته وحيثياته، وتفصيلاته، ومتغيراته.
2- أن يكون العنوان خال من صيغ استفهامية، أو إشارة إلى النتائج أو إلى المنهج المتبع وذلك بتجنب عناوين فيها تعابير من نحو: (دراسة تحليلية وصفية)، أو (دراسة تحليلية تاريخية)، أو (دراسة تقابلية)[2].
3- أن يكون العنوان خالٍ من الغموض، ولا يحتمل أكثر من معنى، ولا يقبل شيئاً من التأويل الذي يضطر الطالب بسببه إلى تغييره أو تحويره بعد أن يصرف وقتاً طويلاً، وجهداً كبيراً.

إن أي تغيير في العنوان حتى على مستوى تغيير حرف واحد، كواو العطف، أو حرف الجر سبباً في أحداث تغيير جذري في خطة البحث وأهدافها كاملة، أن بحثاً بعنوان: "التعدد الإعرابي ودلالاته في كتب إعراب القرآن" يختلف عن بحث بعنوان: "التعدد الإعرابي ودلالاته في كتاب إعراب القرآن للنحاس"، وهما يختلفان عن بحث بعنوان: "التعدد الإعرابي في الأسماء ودلالاته في كتاب إعراب القرآن للنحاس"، والثلاثة تختلف عن بحث بعنوان: "التعدد الإعرابي في الأسماء المعربة ودلالاته في كتاب إعراب القرآن للنحاس".

الأول: عنوان شامل، مستفيض يصلح أن يكون له أكثر من بحث في أكثر من موضوع.

والثاني: مخصص أكثر في كتاب معين، ولكنه لا يزال يحمل عمومية واضحة.

---

(1) إعداد البحث العلمي، د. غازي حسن عناية، ص 43.

(2) ينظر: دليل الرسائل والأطاريح الجامعية، ص 25.

وينماز **الثالث** بتحديد واضح إذ أنه يختص بدراسة التعدد الإعرابي في الأسماء، وفي كتاب واحد. **والرابع** أكثر اختصاراً، ووضوحاً، وتحديداً لأنه يختص بدراسة التعدد الإعرابي في (الأسماء المعربة) حصراً.

- وموضوع بعنوان: (ألفاظ الغناء والموسيقى في لغة العرب) أكثر عمومية من موضوع بعنوان: (ألفاظ أدوات الغناء والموسيقى في لغة العرب قبل الإسلام).
- وموضوع من نحو: (التطور الدلالي في تاريخ الكلمات العربية أسبابه وتفسيره)، أكثر تشعباً من موضوع بعنوان: (التطور الدلالي لألفاظ الحياة الاجتماعية من خلال تهذيب اللغة للأزهري) وهما يختلفان عن موضوع بعنوان: (ظاهرة انحدار المعنى في تاريخ الكلمات العربية أسبابه وتفسيره).
- وموضوع بعنوان: (جموع التكسير في اللغات الجزرية)، أكثر تعميماً من موضوع بعنوان: (جموع التكسير بين العربية والبيرة) أو (السريانية).
- وموضوع بعنوان: (كتب التصويب اللغوي في التراث العربي) أكثر عموماً من موضوع بعنوان: (اللحن الصوتي بين تثقيف اللسان، للصقلي، ولحن العوام للزبيدي).
- وموضوع بعنوان: (البحث الدلالي بين اللغويين والأصوليين) يختلف عن: (المصطلح الدلالي بين اللغويين والأصوليين)، أو (البحث الدلالي عند ابن حزم في كتابه الأحكام).
- وموضوع بعنوان: (النسب والتصغير في شعر ما قبل الإسلام)، وغيره في (صيغ النسب في شعر ما قبل الإسلام)، أو (صيغ النسب والتصغير في شعر المتنبي).
- وموضوع بعنوان: (البنية اللغوية في شعر البردوني)، يختلف عن موضوع بعنوان: (الأبنية الصرفية في شعر البردوني)، ويختلف عن موضوع بعنوان: (الأبنية الصرفية الاسمية في شعر البردوني)، والثلاثة تختلف عن موضوع بعنوان: (التركيب النحوي في شعر البردوني).

- وموضوع بعنوان: (الإعراب والدلالة من خلال القراءات القرآنية)، يختلف عن موضوع بعنوان: (الإعراب والدلالة من خلال كتب القراءات القرآنية السبع، أو (الإعراب والدلالة في القراءات القرآنية في البحر المحيط).
- وموضوع من نحو: (الرتبة في النحو العربي) وأثرها الدلالي، غير "رتبة المفاعيل في النحو العربي)، أو (رتبة المرفوعات في النحو العربي)، أو (الرتبة في الجملة الشرطية).
- وموضوع بعنوان (التعليل اللغوي في كتاب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي) غير موضوع بعنوان: (بصائر ذوي التمييز دراسة لغوية عامة).
- وموضوع بعنوان: (الأساليب البيانية والبديعة في الشعر العباسي) يختلف عن موضوع بعنوان (الأساليب البيانية والبديعية في شعر الفخر في العصر العباسي)، وهذا يختلف عن موضوع بعنوان: (الأساليب البيانية والبديعية في شعر الطرد في القرن الرابع الهجري).
- وموضوع بعنوان: (النظرية البلاغية عند العرب) أعم من موضوع بعنوان: (النظرية البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني)، أو (ابن الأثير).
- وموضوع بعنوان: (الصور البلاغية عند شعراء القرن الرابع الهجري)، غير موضوع بعنوان: (الصور البلاغية في شعر المتنبي).
- وموضوع بعنوان: (التذوق الأدبي مفهومه، وتأسيسه وتنميته في التراث العربي)، أكثر شمولية من موضوع بعنوان: (التذوق الأدبي: مفهومه، وتأسيسه، وتنميته عند نقاد القرن الثالث وأدبائه)، أو: (التذوق الأدبي: مفهومه، وتأسيسه، وتنميته عند الجاحظ).
- وموضوع بعنوان: (المصطلح البلاغي في التراث العربي)، غير موضوع بعنوان: (المصطلح البلاغي عند ابن الأثير).
- وموضوع بعنوان: (الوصف في الشعر الأندلسي)، يختلف سعة وشمولية عن موضوع بعنوان: (الوصف في الشعر الأندلسي إلى نهاية عصر الطوائف).

- وموضوع بعنوان: (المناظرات الأدبية في الأندلس: دراسة فنية)، غير موضوع بعنوان: (المناظرات الأدبية في عصر ملوك الطائف).
- وموضوع بعنوان: (الشعراء السفراء في التراث الشعري العربي) يختلف عن موضوع بعنوان (الشعراء السفراء في عصر ما قبل الإسلام).
- وموضوع بعنوان: (شعر الحرب في أدب العرب عصر الحروف الصليبية) يختلف عن موضوع بعنوان (حطين في شعر الحروب الصليبية)، أو: (البطل في شعر الحروب الصليبية)، أو: (الطوابع الشعبية في شعر الحروب الصليبية).
- وموضوع بعنوان: (الصورة الفنية في الشعر اليمني الحديث)، غير موضوع بعنوان: (الصورة الفنية في شعر المقالح).
- وموضوع بعنوان: (التناص في الشعر اليمني الحديث)، يختلف عن موضوع بعنوان (التناص في شعر محمد حسين هيثم).
- وموضوع بعنوان: (المكان في الشعر العراقي)، يختلف عن موضوع بعنوان (المكان في شعر السياب).
- وموضوع بعنوان: (الرثاء في الشعر الأندلسي)، غير موضوع بعنوان (رثاء غير الإنسان في الشعر الأندلسي).

وهكذا نجد أن العنوان مسألة حاسمة في البحث العلمي، من حيث أنه علامة ودليل على حيثيات الموضوع وعناصره الأساسية، وكلما كان العنوان واضحاً، ودقيقاً، أمكن للباحث أن يستقي منه عناوين أبواب موضوعه، وفصوله، ومباحثه. إذ أن عناوين هذه الأبواب، والفصول، والمباحث يجب أن تكون لها علاقة جدلية بعنوان الموضوع.

ثالثاً: فروض البحث، وتساؤلاته:

فروض البحث جملة من الآراء والأفكار نضعها على سبيل الحوار والتخمين لتفسير علل الأشياء ومعلوماتها[1]، تمثل فروض البحث تفسيراً مؤقتاً، وإجابة أولية عن تساؤلات

---

[1] ينظر: المنطق التوجيهي، د. أبو العلا عفيفي، ص 92- 93.

فيها، وقد تكون الإجابة صحيحة، أو خاطئة، فليس المهم أن ندعي إننا على صواب دائماً، وإنما المهم أن نحاول أن نكون على صواب في أعمالنا جميعها، وفي تحديد الفروض، والتساؤلات بالاستناد إلى تنبؤ يدل على الفطنة، والدقة في الملاحظة، والثقافة الواعية بالأبعاد النظرية للموضوع الذي نريد البحث فيه، وهذا لا يتأتى لنا إلا بالاطلاع على جملة من المصادر، والمراجع، والدراسات السابقة، لكي نتمكن من صياغة الفروض، وطرح الأسئلة التي يشترط فيها الآتي:

1- أن تكون علمية، واضحة، بسيطة، معقولة. ليس مبنية على ملاحظات عابرة وسريعة.
2- وأن تكون مأخوذة من أدب الموضوع وعناصره الأساسية.
3- وأن تقدم مبررات مقنعة تدعو لدراسة الموضوع، وتدل على أهميته.
4- وأن تكون قابلة للاختيار (Test).
5- وأن تكون بعيدة عن القيم (Valus) التي يؤمن بها الباحث، والأهواء، والميول الذاتية المحضة.
6- وأن تكون خالية من أي تناقض.
7- ويستحسن أن تنطلق الأسئلة من (كيف)، والقليل ما أمكن من الأسئلة المبدوءة بـ(لماذا)، مما يلقي بنا إلى الوصف المجرد للظاهرة المدروسة من غير تحديد لعناصرها البنائية المكونة، تشخيص ما يقف وراءها من أسباب، وعلاقات تربطها بغيرها من الظواهر.

رابعاً: خطة البحث:

ذكرنا فيما سبق من صفحات أن خطة البحث إنما توضح (أبواباً، وفصولاً، ومباحث) قبل البدء بعملية البحث، وأما منهج البحث فتقرره المادة المتحصلة بعد انتهاء عملية القراءة، وجمع المادة التي ستخضع للتحليل والدراسة.

وتوزع الخطة البحثية بحسب طبيعة الموضوع إما إلى فصول، موزع كل على مباحث، ويشترط في هذا كله الآتي:

1- يتقدم الأبواب، أو الفصول، والمباحث مقدمة، وتمهيد، وقد لا تدعونا طبيعة بعض الموضوعات إلى كتابة تمهيد، وإنما تكتفي بالمقدمة فقط.

2- أن تكون أبواب البحث معنونة، ثم ينقسم كل باب إلى فصلين أو أكثر كل فصل منها معنون، وينقسم كل فصل إلى مبحثين أو أكثر يحمل كل مبحث عنواناً فرعياً.

3- يجب أن تكون عنوانات الأبواب والفصول انعكاس طبيعي لعنوان البحث نفسه.

4- أن يكون هناك تناسب في توزيع الفصول على الأبواب إذا اخترنا مبدأ الأبواب، بحيث ينقسم كل باب على فصلين أو ثلاثة فصول، أو أكثر، ولا يجوز أن يكون للباب الأول مثلاً أربعة فصول، وللباب الثاني فصلان، أو ستة فصول. وكذا الأمر إذا اخترنا مبدأ توزيع البحث على (فصول) إذ يراعى حينئذ عدد مباحث كل فصل.

5- وأن لا يكون هناك تفاوت كبير في عدد صفحات كل باب، أو فصل، أو مبحث، وبحيث لا يتجاوز الفرق بين عدد صفحات الفصل والفصل الآخر (20) إلى (25) صفحة. وتحت طائلة الاضطرار الذي تفرضه طبيعة كل فصل أحياناً، وإلا فيستحسن أن تكون صفحات الفصول والمباحث متقاربة إلى حد ما.

6- ألا تكون عنوانات المباحث مكررة، إذ قد نجد الباحث يسمي الفصل بعنوان معين،، ثم يسمي المبحث الأول منه بعنوان الفصل، وذلك مؤشر على وجود خلل خطير في عنوان البحث الرئيس نفسه.

7- أن يتم توزيع البحث على أبواب، أو فصول ومباحث من خلال أدب الموضوع، وعناصره الأساسية، أطره ومفاهيمه النظرية توزيعاً منطقياً، دقيقاً، بحيث تصب مفاهيم الفصل الأول بمباحثه في مفاهيم الفصل الثاني ومباحثه، وكلاهما يشكلان منطلقاً إلى الفصل الثالث، وهكذا تتسلسل الأفكار، والمفاهيم تسلسلاً منطقياً تبعاً لمتغيرات البحث، وتطور أفكاره وطروحاته، ويكون البحث كلاً نابعاً من كل.

8- يلي الأبواب، أو الفصول والمباحث الآتي:

أ- ملاحق، أو خرائط إن وجدت.

ب- خاتمة البحث ونتائجه، ومقترحاته (إن وجدت).

ج- خلاصة البحث بلغة أجنبية كالإنجليزية.

د- فهارس البحث (الآيات/ الأشعار/ الأعلام....).

ه- مظان البحث.

أما محتويات البحث فيستحسن أن تكون في صدر البحث.

9- ان نجاح الطالب في وضع خطة علمية مدروسة لبحثه يشكل جانباً مهماً في إنجاز البحث نفسه، فكل بداية صحيحة تقود إلى نتائج صحيحة، وأكثر ما نخشاه على الطالب من أن يستنجد بعد مضي أشهر كثيرة باللجنة العلمية في القسم طالباً إجراء تعديلات حاسمة وجوهرية على الخطة التي تقدم بها أول مرة، فذلك أمر طريقه صعب وإجراءاته طويلة، يضيع فيها الوقت، وتستنفذ الجهد، وكل ذلك ليس في صالح الطالب الباحث.

خامساً: مصادر البحث ومراجعه:

1- المصادر والمراجع المطبوعة أو المخطوطة.

2- مصادر المعلومات الالكترونية.

3- الدوريات العلمية المحكمة.

4- مصادر أخرى.

لكل بحث علمي منابعه، وروافده، التي تصب كلها في مجرى واحد يلم أشتات الأفكار، والحقائق، والمفاهيم الخاصة بأدبيات الموضوع المدروس، مما يعين الباحث على الاندماج بموضوعه، واحتضان مشكلاته، وأطره النظرية، ومفاهيمه، وأفكاره لتحويلها من العقل الواعي إلى العقل الباطن، إذ يخضع كل شيء للتحليل، والتأمل، والاستنباط، والكشف والتقييم، وهذه الروافد على أنواع شتى نذكر منها:

1- المصادر والمراجع المطبوعة والمخطوطة:

يراد بالمصدر (Source) الرافد الذي تستقي منه المادة الخام الأولى، التي يمكن أن تكون موضوع التحليل المباشر، والقراءة التأملية، وإعادة البناء، إن الاعتماد على مثل هذه المصادر يعد أول خطوة يخطوها الباحث من مرحلة النقد، إلى مرحلة كالإبداع، أما المرجع (Reference)، فهو كالمصدر رافد ثانوي من روافد البحث، وبوجود المصدر الأصلي القديم قد لا نجد لنا حاجة فيه، لكننا قد نجد أنفسنا مدفوعين إليه في حال عدم وجود المصدر الرئيس، وما دمنا نجد فيه رؤية، وأفكاراً، وافتراضات، وبراهين يمكن أن تثير فينا أسئلة، ويمكن أ، نحاورها، ولهذا قد يكون المرجع- أحياناً- بمثابة المصدر الأصيل، فالذي يحدد قيمة المصدر ليس الزمن، أعني: قدم المصدر، وإنما القيمة العلمية، وما عدا ذلك لا نلتفت إلى الكتاب المعين لا بوصفه مصدراً، ولا مرجعاً. ومع هذا يجب الاحتراس من الخلط بين المصدر، والمرجع، وأن نحسن استخدام كل منهما، بالأمانة العلمية، والدقة في الأخذ، والاقتباس.

2- مصادر المعلومات الالكترونية:

وتوجد هذه المصادر في المكتبات الكبرى، ومراكز المعلومات، والبحوث وتضم معلومات وبيانات مختزنة الكترونياً على وسائط ممغنطة، أو مليزرة، وهي متاحة اليوم للباحثين عبر الحواسيب، وشبكات الاتصال بعيدة المدى، وقد انتشرت في السنوات القليلة الماضية انتشاراً ملموساً، نظراً لما تتمتع به من مميزات كبيرة أبرزها إمكانية اختزان كميات هائلة من المعلومات، وإتاحتها من زوايا كثيرة، وبسرعة فائقة لمن يطلبها، فضلاً عن إمكانية التعامل من النصوص، والصور، والجداول، والأصوات في وقت واحد[1].

ومن هذه المصادر نذكر (الكتاب الفائق السرعة) (Hyper Book)، وهو نقل الكتروني حرفي للكتاب التقليدي المطبوع، مع زيادة بعض السمات والإمكانات التي لم تكن

---

(1) ينظر: نفسه (مقدمة د. محمد فتحي عبد الهادي)، ص 9- 10.

متاحة في الشكل التقليدي المطبوع، ومثل هـذا الكتـاب محـدد بلغـة (SGML) علـى نظـم كـ(Dynatext)، و:(Super Book)، وتتشابه الملامح العامة للكتاب الفائق مـع الكتـاب الورقي المطبوع، ويتم تصفحه بطريقة تصفح الكتاب الورقي نفسها.

وهناك (النظم الأدبية الضخمة) (Macro Literary System) التي تركـز علـى المجلـــدات الـــضخمة للمعلومـــات. ونظـــم استكـــشاف المـــشكلات والقـــضايا (Problem Exploration)، ونظم القراءة والتصفح، وغير ذلك[1].

3- الدوريات العلمية المحكمة:

ويمكن للباحث الاستعانة بالدوريات العربية التي تهتم بمتابعة المعلومات الالكترونية من ذلك نذكر (بايت) (Byte) الشرق الأوسط، التي تصدر عن الشركة العربية للاتصالات والنشر، التي مقرها لندن.

ويمكن الاستعانة بأخبار الحساب الآلـي للـشرق الأوسـط (Computer News) وهناك مركز التوثيق والمعلومات متعدد الوسـائل (Aldoc) في المملكـة العربيـة الـسعودية، ومثله في بعض الأقطار العربيـة ممـن قامـت بنـشر المؤلفـات والمـصادر العربيـة، والمعـاجم، والقواميس، والأطاريح الجامعية، وكتب التراجم، والتفاسير، والشروح الأدبية، بل الدواوين على الكمبيوتر.

4- تعد الصحف، والإذاعة، والتلفاز، والمقابلات الشخصية (Interview): من المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في البحث، ولا يجوز الاستهانة بها.

---

(1) ينظر: نفسه، ص 105 وما بعدها.

المبحث الثاني

(مراحل إعداد البحث)

للبحث مراحل متعددة هي:

1- مرحلة اختيار الموضوع.

2- مرحلة البرنامج القرآني.

3- مرحلة الاقتباس.

4- مرحلة تحليل المادة المتحصلة وكتابة المسودة.

المرحلة الأولى:

مرحلة اختيار الموضوع، وتحديد عنوانه بدقة، وإعداد خطة أولية له، ومن ثم إعداد قائمة بمصادره، ومراجعه، وتحديد أماكن وجودها من أجل الاطلاع عليها إن كانت قريبة منا، أو طلبها من مصادرها إن كانت بعيدة.

المرحلة الثانية: وضع برنامج قرائي (Reading Program) محدد زمنياً: لأن التخطيط الدقيق والمنظم للعمل- أي عمل- أو مظاهر نجاح هذا العمل، والباحث غير المنظم عبد للمزاج، والأهواء، وعدم الانضباط الذي يؤدي في النهاية إلى مرور الزمن الطويل من غير أن يحس الباحث بأنه قد أنجز شيئاً يدل على أنه بحجم مسؤولية البحث العلمي، وما يتطلبه من تنظيم، ودقة، وصبر. إن الدراسة المنظمة لتجعل في مقدورك الحصول على حد أعلى من النتائج عن طريق حد أدنى من الجهود"[1].

إن القراءة مدخل حاسم لعملية البحث، واكتساب المعارف والخبرات، وتطوير العقل، ولهذا يجب على الباحث أن يجعلها حاجة دائمة كحاجته إلى الماء، والزاد إن لم نقل

---

(1) الموسوعة الفلسفية- فن القراءة والدرس، ص 5.

(الهواء)، عليه أن يشيعها في نفسه، ويندفع إليها عن رغبة واشتهاء، يجعلها عادة لا يمكن التخلص منها. إن العيش مع الكتب هو السبيل الأمثل لاكتشاف الساعة الذهبية في يومنا، وإن القراءة المثمرة المنتجة (تستحق منا التخطيط، والتفكير، والمثابرة، والعناء لأنها من أهم العوامل التي تعيد صياغة وجودنا من جديد[1].

ومن هنا فإن على الباحث الجيد أن يقرأ ويقرأ، فالإنسان الذي لا يقرأ حيوان، يأكل ويشرب وينام ويصحو، وينتظر أن يموت. ومتى استطاعت ثقافة المرء أن تنشئ في ذاته القدرة الحق على القراءة والبحث فقد نجحت في خلق باحث جديد، أما إذا لم يتعلم الطالب الباحث كيف يدرس، وكيف يقرأ، فمعنى ذلك أننا أمام متعلم قد أهمل الجانب الأعظم من مهمته الحقيقية. والباحث القارئ باحث مكتشف دائماً، كأنه ينظر الأشياء أول مرة، ويشملها أول مرة، ويتذوقها أول مرة، إنه إنسان في يده عشرات بل مئات المفاتيح، ولا يعرف أيا منها يفتح الباب الوحيد الذي أمامه، ولذلك عليه أن يكون صبوراً على تجربة جميع المفاتيح، من دون أن ييأس، يظل يحاول ويحاول، وربما سيجد أن آخر مفتاح من المفاتيح الكثيرة التي بين يديه هو الذي يفتح أمامه مغاليق البحث ورتاجاته. وكذلك القراءة في المصادر، والمراجع بحاجة إلى صبر، وتأن، وإصرار على أن نجد من بين عشرات الكتب، الكتاب الذي يبرق أمامنا بومضة تنير لنا سبيلاً جديداً، وهكذا بتكرار العمل القرائي يتكون لدينا محصول من المفاهيم، والأفكار، والرؤى يمكن الاستناد إليه في صنع بحث علمي رصين. إننا لا نستطيع أن نستفيد مما نقرأ من غير أن نهيئ لأنفسنا جواً خاصاً للقراءة بعيداً عن مشكلاتنا اليومية، وهمومنا الإنسانية الدائمة، فأيقنا أن القراءة أنواع لا بد من معرفتها:

- قراءة استكشافية.
- وقراءة انتقائية.
- وقراءة تحليلية.
- وقراءة محورية.

---

(1) القراءة المثمرة: مفاهيم وآليات، أ.د. عبد الكريم بكار.

أ- القراءة الاستكشافية السريعة:

وغايتها تحديد مستوى الكتاب المقروء وتكوين انطباع أولي سريع عنه من حيث قربه، أو بعده عن موضوع البحث الذي نعده، وهذه القراءة الاستكشافية لا تتطلب جهداً غير النظر في عنوان الكتاب، ومؤلفه وفهرست محتوياته، وقراءة مقدمته، وخاتمته، الاطلاع على مصادره ومراجعه، وبعض صفحاته بما يكون لدينا انطباعاً عن قيمة الكتاب، وما يمكن التقاطه من النافع فيه.

ب- القراءة الانتقائية:

وهدف هذه القراءة التقاط خاطف لبعض الأفكار، والمضامين الواردة في المصدر، أو المرجع الذي بين أيدينا من غير الولوج إلى تفاصيل الكتاب. وإنما توليد أفكار أولية لاستخراج ما يمكن استخراجه مما يخدم الموضوع الذي ندرسه.

ج- القراءة التحليلية:

وهي أفضل أسلوب يمكن للباحث أن يتبعه في استكناه مضمون الكتاب الذي بين يديه في وقت معلوم، ومثل هذه القراءة لا تعني الاطلاع المجرد بقدر ما تعني البحث عن المفاهيم العلمية المنطقية التي نحتاجها في البحث، التي يمكن في ضوئها أن نحس بارتقاء آفاق معلوماتنا ومفاهيمها حول الموضوع الذي نقوم بدراسته.

د- القراءة المحورية:

ودائرة هذه القراءة محصورة أكثر بحكم التخصص، ولكنها مع هذا تظل دائرة منفتحة وممتدة، غير أن على الباحث أن يعي اختياراً ما يقرأ من الكتب المتخصصة، فهي كثيرة، منها الأهم، ومنها المهم، ومنها المفيد، ولا نعني بالتخصص أن يعيش الباحث في النحو في كتب النحو فحسب، وإنما عليه الاطلاع على كتب الأصوات، والصرف، الأسلوبية، وفقه اللغة،

وعلم اللغة، والاجتماع، والمنطق وغير ذلك من المصادر التي تقرب الرؤى، وتكون المعرفة بجزيئاتها الأدق، وارتباطاتها، وعلائقها بغيرها.
والباحث في الأدب الحديث لا يمكن أن يرغب عن الاطلاع في كتب الأدب فيما قبل الإسلام، وبعده، ودارس الشعر لا يجوز له الأعراض عن قراءة كتب فقه اللغة، وعلم اللغة، والأصوات، والصرف، والنحو، والدلالة، علم النفس، والفلسفة، والتاريخ، فنحن في عصر تشابكت فيه العلوم، وتداخلت على الرغم من الدقة في الاختصاصات. إن الباحث- أي باحث- وإن كان محدد الاتجاه، والاختصاص، غير أنه لا يستطيع أن يربط الحقائق والظواهر بمسبباتها من غير الوعي بالأطر التاريخية، والاجتماعية، والفكرية، والثقافية، التي نشأت في كنفها.

المرحلة الثانية: مرحلة الاقتباس:

وهي من ثمار القراءات التحليلية، والقراءة المحورية، حيث يبدأ الباحث بتدوين المادة العلمية، ومعلومات، وأفكاراً، وآراء، ومفاهيم ذات علاقة مباشرة ووثيقة ببحثه، يمكن الاستناد إليها في صياغة البحث بصورته النهائية، وهذا يتطلب من الباحث أن يكون على بينة، وحذق فيما ينقل، ولمن ينقل عنهم، وكيف ينقل. وإن يدل على طبيعة نقله، فالالتباس عن المصادر والمراجع أنواع[1] فهناك: الاقتباس الكامل، والاقتباس المتقطع، والاقتباس المتصرف فيه، والاقتباس بالفكرة.

أ- الاقتباس الحرفي الكامل:

ويوضح ما بين الإشارتين " " دلالة على بداية النص المنقول ونهايته، ويسجل هذا على بطاقات (جذاذات) خاصة ملونة[2]، أو بلون واحد، وقد يستغنى عن هذه

(1) يدخل ضمن ما يوصف بأنه (مقتبس) كل ما يسمع خلال المقابلات الشخصية، أو المحاضرات العلمية، أو الأحاديث، والبرامج الإذاعية والتلفازية.

(2) يرغب بعض الباحثين أن يخصص لكل فصل من فصول رسالته جذاذات ذات لون خاص.

البطاقات بأوراق عادية يرتبها الطالب الباحث بأبعاد محددة كما هو مشار إليه في الأنموذج رقم (1). ومن الباحثين من يسجل نقولاته في دفتر (دوسيه)، ويخصص دوسيهاً واحداً لكل فصل من فصول بحثه. واستعمال الدوسيه عند بعض الباحثين أسلم لاعتبارات معينة منها[1]:

- أن الدوسيه أكثر ضماناً، وأفضل حفظاً للنقولات من البطاقة، أو الأوراق.
- سهولة الرجوع إلى المادة العلمية التي تم نقلها، وتثبيتها في الدوسيه.

وأن الدوسيه أقل تكلفة مادية من البطاقات. ومع ذلك فإن البطاقات، أو الأوراق أكثر دقة، وأيسر في التصنيف، ويمكن حمل بعضها معنا دائماً عند زيارتنا للمكتبات بيسر.

المصدر:	الموضوع:
المؤلف:	الفصل:
الطبعة: إن كان للكاتب أكثر من طبعة	المباحث:
الجزء والصفحة	

....

....

....

....

[1] ينظر: إعداد البحث العلمي، ص 63.

ب- الاقتباس المتقطع:

وذلك عندما يجد الباحث حاجة إلى الاختصار في النقل بالاستغناء عن بعض ما يرد فيه من أفكار أو شواهد، أو أمثلة، أو أعلام، أو غير ذلك مما يمكن طرحه، والإشارة إليه بالنقاط المتتابعة هكذا:..

ج- الاقتباس المتصرف فيه:

بأي شكل من أشكال التصرف وذلك بتغيير بعض التراكيب، أو الزيادة عليها، أو تصحيح بعض الألفاظ، أو العبارات بما يتفق واللغة السليمة، أو تصحيح سنة وفاة العلم المعين المذكور في المصدر المقتبس منه، أو إجراء تقديم أو تأخير في بعض حلقاته، أو غير ذلك. ويجب في هذه الحال الإشارة لهذا التصرف بكلمة: "بتصرف" وتوضع بعد ذكر اسم الكتاب، ومؤلفه، والصفحة المنقولة عنها.

د- الاقتباس بالفكرة:

وعليه بعض الباحثين ممن يلخصون الأفكار، والعناصر الواردة في المصدر أو المرجع، ويصوغونه صياغة جديدة، وبأسلوب بعيد عن أسلوب المصدر. والأمانة العلمية تقتضي الإشارة إلى ذلك، وعادة ما تكون هذه الإشارة بعبارة: "ينظر" في هامش البحث وسواء أكان الاقتباس كاملاً، أو متقطعاً، أو متصرفاً فيه، فلا بد للباحث من مراعاة الآتي:

1- قبل اقتباس شيء ما من المصدر المعين لا بد من تسجيل معلومات كاملة عنه (على قصاصة صغيرة) كالأنموذج رقم (2):

( )
عنوان الكتاب كاملاً:........................
اسم المؤلف كاملاً:..........................
اسم محقق الكتاب، أو مترجمه.....................
بيان معلومات النشر.......- الطبعة........- المكان.......
الزمان......................

أنموذج رقم (2)

ونضع بين القوسين في وسط القصاصة الحرف الأول من اسم الكتاب للتسهيل علينا عملية إعداد قائمة مصادر البحث ومراجعه فيما بعد، إعداداً علمياً لا خطأ فيه، وعلى وفق الحروف الهجائية. وللزيادة في الاحتراس، يمكن أن نسجل المعلومات الكاملة عن المصدر المعين، في دفتر خاص، أو الدوسيه بعد تخصيص بعض أوراقه لهذا الغرض. ومن الباحثين من يقدم اسم المؤلف على اسم الكتاب، وهي طريقة حسنة وجيدة لمن يحسن معرفة شهرة المؤلف إن كانت باسمه أو بكنيته، أو بلقبه.

ومن الباحثين من يقدم ذكر الجزء والصفحة على ذكر المكان والزمان. ومن المستحسن وعلى غير ما جرت عليه عادة أكثر الباحثين، وطلبة الدراسات العليا عدم ذكر المعلومات الخاصة بالمصدر كاملة في الهامش حتى وإن ذكرناه أول مرة وإنما نكتفي بذكر (المصدر، المؤلف، ورقم الطبعة إذا كان الكتاب مطبوعاً أكثر من مرة، والجزء، والصفحة) فقط، أما بقية المعلومات فمحلها قائمة المصادر والمراجع في آخر الكتاب.

أما إذا كان المنقول عن مجلة علمية محكمة فلا بد من ذكر (اسم البحث+ الباحث+ اسم المجلة+ (الجزء أو المجلد)+ الصفحة+ مكان صدور المجلة+ الشهر+ السنة) وعلى النحو الآتي: عن النسق المضمر في تاريخ الأدب العربي (بحث) د. عباس على السوسوة.

مجلة علامات- المجلد الثالث عشر- الجزء الحادي والخمسون- النادي الأدبي الثقافي- جدة- محرم 1425هـ، ص 95.

1- لا بد من الإشارة في الأنموذج رقم (1) سواء أكان بطاقة، أو ورقة عادية (وفي المكان المخصص)، إلى أن المعلومة المنقولة خاصة بالفصل رقم (كذا)، وبالمبحث (كذا)، ولا بأس من أن نرمز للباب بـ(ب)، والفصل بـ(ف)، وللمبحث بـ(م)، وهذا يسهل علينا فيما بعد فرز اقتباساتنا ونقولاتنا، وتوزيعها على الفصول والمباحث لتتم عملية تحليلها.

2- لا بد أن يكون المقتبس محدداً ببداية ونهاية، مختصراً، واضحاً، وغير مكرر، وعلى الباحث ان يكون دقيقاً في نقل النص المعين، بحيث لا يسقط من بين يديه حرف، أو نقطة قد تغير دلالة، وتنقض أصلاً. ويستحسن أن يكون المقتبس في حدود معقولة لا تتجاوز الصفحة الواحدة بأي حال، وإلا فخمسة أسطر، أو ستة أسطر، أو أكثر من هذا بقليل هو الحد المقبول بالاقتباس، حتى لا يكون مقصوداً لذاته ولا يمكن إدماجه في متن الرسالة بما ينفع من كيان البحث بلا مبرر، أو سند علمي.

3- لا يجوز الاقتباس من المراجع الثانوية بوجود المصادر الأصلية، ولا من الكتب غير المحققة تحقيقاً علمياً جيداً، بوجود ما هو محقق، ويسري ذلك على طبعات المصدرة، فالطبعة التي تحتوي زيادات علمية جديدة أحسن من الطبعة القديمة.

4- إن من غير المقبول أن تكون هناك إحالات ناقصة، أو خادعة في الهامش بشأن المقتبس. فطرق الخداع يمكن اكتشافها بسهولة، مما يعرض صاحبها إلى النقد، والتجريح.

5- إذا بدت للباحث ومضة، أو فكرة، أو وجهة نظر، أو تعليق ما على ما هو بصدد اقتباسه، فعليه تسجيل ذلك مباشرة، في موضع من البطاقة، أو الورقة.

المرحلة الثالثة: مرحلة كتابة المسودة الأولى (Draft):

وهذه المرحلة هي مرحلة التحليل، والتحصيل، إذ يتوجه الباحث إلى ما تجمع لديه من مادة موضوعية عبر قراءاته، واطلاعه، فيبدأ بفرز البطاقات بحسب الأبواب، أو بحسب الفصول فالمباحث، ليعكف على قراءتها قراءة تحليلية، نقدية متفحصة، لتوليد طاقة استبصارية يمكن في ضوئها ربط نقولاته ببعضها، واكتشاف العلائق بينها وبين موضوع بحثه مستفسراً من خلالها عن كل شيء جوهري يخص موضوعه. بما يهيئ له سبلاً لاستقراء الحقائق، واستنباط الأفكار، والرؤى الجديدة، والنفاذ إلى معرفة أشياء، ومفاهيم يمكن له أن يحاورها، ويعلق حولها عمليات نقدية واعية، بغية الخروج باستنتاجات معمقة خاصة به تعكس شخصيته العلمية، ومقدرته في عالم البحث. وبهذا تبدأ عملية تحرير (المسودة الأولى) للبحث التي يجب على الباحث الجيد أن يستكمل فيها مناحي البحث الأصيل ومكوناته التي تحدد إطاره العام، وتمضي بالباحث إلى حيث يريد، وفي غيابها لا يمكن للبحث أن يقوم ولا يمكن للباحث أن يحقق أهدافه العلمية المرجوة، وأبرز هذه المناحي أربعة هي:

1- المنحى الذاتي:
2- المنحى الموضوعي:
3- المنحى التقني.
4- المنحى الأسلوبي:

أولاً: المنحى الذاتي (Subjective Mood):

هذا المنحى خاص بشخصية الباحث بوصفه إنساناً، عاملاً ومفكراً، ويمتلك مشروعاً خاصاً، وأهدافاً محددة، وحوافز تدفعه إلى النظر السليم، والوجهة الموضوعية التي تحدد اتصافه بما يسمى بـ(الروح العلمي)، المنزه عن شوائب الاتكال والتقاعس، وعدم الأمانة العلمية، وعدم الدقة، والتطير، والتعصب، وعدم الصبر، وغير ذلك من الصفات السلبية التي تعطل مسيرة الإنسان الباحث الذي نفترض فيه الصفات الإيجابية الآتية:

أ- أن تكون لديه رغبة عارمة، وشوق دائم للبحث، وباعث محفز في التعلم، والإنجاز، والاهتمام بشؤون البحث العلمي. وعلى الباحث أن ينشئ في نفسه هذه الرغبة، والثقة في النجاح والوصول.

ب- وعلى الباحث أن يعمل على إدراك كنه الأشياء، والظواهر، الحقائق التي يريد إدراكها بماهيتها وحدها، ومن خلال معرفة عللها، وأسبابها، لا من خلال السماع، أو التجربة الفردية المبهمة التي لا يحددها العقل، وإنما من خلال الاطلاع على تجارب الآخرين ونتاجهم، وبالاستناد إلى منهج محدد واضح يوصلنا إلى الحقائق دونما خوف من الوقوع في الخطأ[1].

ت- أن يكون الباحث مستعداً دائماً لأن يتلقى خبرات جديدة، ومن نوع معين دون سواه، أي أن يكون في حالة توقع، وتوجه نفسي نحو الأفضل، يعيش الحاضر والمستقبل دائماً حلما من الأمل، والنجاح، جاعلاً من الحاضر رؤية، ومن الماضي عبرة.

ث- الا يكون الباحث صاحب منهج فكري ذاتي[2]، فمثل هذا الفكر يؤدي بالإنسان الباحث إلى الالتصاق بحدسه، وخياله، ويجعله غريزياً، اجترارياً، لا يحفل بالمنطق والبرهان، ويستخدم في الاستدلال صيغاً شخصية، وصوراً تمثيلية ذاتية من مستودع الذكريات الخاصة بما يجعله عاجزاً على التأثير بالآخرين.

ج- أن يتجنب الباحث المبالغة في نقد الآخرين، بل عليه أن يحترم الرأي الآخر إلى حد التسامح المقرون بالعدل، فلكي يغدو التسامح قيمة يدخل العدل في مضمونها، وتزيد عليه، يجب إعطاء الأولية للآخر (داخل المساواة)، فإن التسامح حين يقرن بالعدل بهذا المعنى يبتعد عن أن يكون معناه التساهل مع الآخرين، أو إجازاتهم على ما يقررون، وما يقولون[3]. ولذلك ينبغي لكل من آثر طلب الحق والعدل أن يأتي من الحجج لخصومه بمثل ما يأتي به لنفسه[4].

---

(1) ينظر: رسالة في إصلاح العقل، سبينوزا. ترجمة: جلال الدين سعيد.
(2) مسائل في الإبداع والتصور، جمال عبد الملك، ص 12.
(3) قضايا الفكر المعاصر، د. محمد عابد الجابري، ص 31 بتصرف.
(4) تهفت التهافت، ابن رشد، تحقيق سليمان دنيا ط3/ 369.

ح- وعلى الباحث أن يتجنب الاعتداد بالنفس، وتحاشي تجريح الآخرين، والإسراف في نقده لهم، والإعراض عن استعمال صيغ لغوية ذات دلالات موحية بالتفوق، والاعتداد، وعدم التواضع من نحو: (ونرى، ونحن، وأنا، ويرى الباحث، ونقرر، ولا نوافق) وغير ذلك مما يدل على التفرد، والتعالي.

وهذا لا يعني مطالبة الباحث بإلغاء شخصيته، واستقلاليته، ورؤاه الخاصة، إذ أن المطلوب أن يكون الباحث رحب العقل (Open- Minded)، سيد نفسه، فالمهم أن "تصبح سيد نفسك، وأن تكون لديك في كبرك الشجاعة على فعل ما كان يفعله الأطفال، عند ما لم يكن لديهم علم بأي شيء"[1].

وعندما يملك الإنسان الباحث نفسه، سيمتلك الشجاعة والثقة على رؤية الأشياء من غير فرض تجاربه، وتصوراته، وانتماءاته الفكرية، والثقافة، والعرقية، والدينية، على المفاهيم، والأفكار التي يطلع عليها.

ثانياً: المنحى الموضوعي (Objective Mood):

لا يمكن للباحث إنتاج بحث مقبول إن لم يكن واعياً بموضوع البحث ضمن إطاره النظري المتكامل، ومصادره، ووضوح أفكاره، وأهدافه، والقدرة على الخوض فيه، ومعالجة الآراء، والمفاهيم، والضوابط، والقوانين، التي تحكم مادة البحث، بمعنى أن تكون للباحث ثقافة ذات أبعاد مؤسسة في الاختصاص الذي يريد أن يكتب فيه، فليس من المقبول أن يختار الطالب موضوعاً للماجستير في (موسيقى الشعر) مثلاً، من غير أن يكون على وعي بعروض الخليل، وأوزان الشعر المعروفة، وليس من المعقول أن يسجل الطالب رسالة ماجستير في (النحو العربي) من غير أن تكون لديه دراسة جامعية في اللغة العربية وآدابها، وهذا الأمر ليس (إدارياً) فحسب وإنما هو منحى علمي موضوعي، لا بد أن يوضع في

---

(1) القول لـ(آرثر ميلر)، ينظر: الإبداع في العمل دليل عملي للتفكير الإبداعي، د. كارل جومانزك. ترجمة: ماهر عبد الهادي، ص 63.

الاعتبار قبل الولوج في عالم البحث. إن إلمام الباحث بالمنحى الموضوعي لميدان بحثه سيساعده على استيعاب ما يقرأ، ومن ثم تحليله، ونقده، وإنجازه بالشكل المطلوب، وفي حدود المدة الزمنية المقررة في الجامعات، ومن غير أن يقع في مشكلات، ومتاهات ستعطل مسيرته البحثية.

ولكي يكون البحث العلمي بحثاً نوعياً، موضوعياً، متوازناً، ومستكملاً شروط نجاحه وتفوقه لا بد أن يتصف بالميزات الآتية:

1- أن يعرض الأفكار عرضاً منظماً بحيث تتسلسل تسلسلاً مترابط الحلقات، بعيداً عن التقليد، والتعميم، واستعراض المفاهيم والطروحات السابقة، وحشرها في متن الرسالة حشراً. أن القفز الاستقرائي المتنقل من ملاحظة جزئية إلى أحكام كلية، في غياب أية وسيلة من وسائل الإقناع، والبرهان والاحتجاج العقلي، وسيجعل من الرسالة أوراقاً لا تحمل مضموناً محدداً، أو أفكاراً متسلسلة منظمة.

2- تحاشي عدم الفائدة في صياغة الأفكار، وذلك بتجنب الجدل العقيم الذي لا فائدة منه، وتجنب التركيز على ذكر الحقائق وأدلتها المسلم بها[1].

3- الابتعاد عن الوصف المجرد للظاهرة، أو الوقائع، أو المفاهيم المعينة من غير تشخيص لمتغيراتها، أو تحديد أبعادها، وتفسير أسبابها، وعللها، وبيان ما يحكمها من علائق مع غيرها من الظواهر.

4- أن يدل الباحث من خلال رسالته على معرفته، وتمكنه التام بالمنحى التقني للبحث العلمي، ابتداء من العنوان، وانتهاء بقائمة المصادر والمراجع، وسيأتي الحديث في ذلك لاحقاً.

---

(1) إعداد البحث العلمي، ص 72 بتصرف.

5- يستحسن في البحث الجيد التقليل من ذكر (الأعلام) و(أسماء الكتب) في المتن، إذا اعتاد بعض طلبة الدراسات العليا على استعمال عبارات من نحو: (ويرى فلان..)، أو (أما فلان...) أو (وجاء في الخصائص لابن جني....) أو (وذكر الأصمعي في الأصمعيات....)، وغير ذلك من العبارات التي تجعل من البحث غارقاً في النقول، والأسماء التي محلها الهامش وليس المتن.

6- يستحسن تضمين نهاية كل باب، أو فصل من فصول الرسالة اختصاراً مركزاً للمعلومات الأساسية التي وردت فيه.

7- لا بد للباحث أن يطرح في نهاية الرسالة جملة من النتائج والتوصيات الجديرة بالتأمل، والأخذ، بحيث تكون بدورها منطلقاً للآخرين في مواصلة النظر في هذه النتائج، وتوسيع دوائرها الموضوعية.

8- لا بد للبحث الأصيل من أن يخلو من الخلط بين ما هو:
أ- تقسيم أو تحليل.
ب- منهج ومنهج.
ت- التعبير العلمي، والتعبير والإنشائي غير العلمي.

9- لا بد للبحث الأصيل من أن يخلو من الحشو، والاستطراد، فهناك طلبة مولعون بتكرار الفكرة المعينة في أكثر من موضوع، أو تكرار نصوص بعينها، أو شواهد، أو أقوال، أو أمثلة، أو تكرار المقدمات غير المفيدة في صدر كل فصل من فصول الرسالة.

10- أن ما يميت البحث العلمي هو كل ما يكتب بلا موضوعية من أجل غاية مادية أو الحصول على شهادة، أو رفعة فارغة.

أن الموضوعات الجاهزة سلفاً، المكتوبة بلا خطة ولا رؤية منهج، ومن غير هدف علمي، بحوث تحمل نرجسية مغرورة يكون فيها الباحث ال(أنا) مرجع نفسه، وليس جزءاً من تراث إنساني وحضاري ممتد، ومثل هذه البحوث لا يمكن لها أن تؤسس بناء ثقافياً، أو فكرياً، ولا تنهض بأي مشروع معرفي.

ثالثاً: المنحى الأسلوبي (Stylistice Mood):

إذا كان التفكير على المستوى الحسي ممكناً لأي إنسان، ومن غير لغة، فإن التفكير التجريدي لا يمكن أن يوجد إلا باللغة في المقام الأول، وإن كنا نعد الموسيقى، واللوحة، والرقصة، والحركة، فكراً مجرداً يحمل دلالاته، ومعانيه، ففي اللغة يكمن الإنسان بما هو إنسان، ومن غير هذه الوسيلة التوصلية والاتصالية لا يمكن أن يكون هناك بحث مؤثر بالآخرين، ولا تكون هناك قصيدة، أو رواية، أو قصة، أو غير ذلك مما يصوغه المبدعون لغة.

في اللغة تكمن القدرة على أن يؤثر الإنسان في الإنسان، وفي اللغة يمكن للباحث أن يقنع الآخرين بطروحاته، وأفكاره، ومفاهيمه، وبراهينه، وحججه، والذي لا يمتلك اللغة الصحيحة السليمة لا يمكن أن يقدم بحثاً علمياً ذا جدوى.

أن للتفكير الإنساني جانبين: إيجابي (Active)، وجانب سلبي (Pssive)، ولا يمكن للتفكير الإنساني أن يكون إيجابياً إلا باللغة الصحيحة التي تحمل بصمات صاحبها، وقدرته على تطويع تقنيتها، وقوانينها، وضوابطها، وثروتها المعجمية والدلالية في كتابة بحثه. وقد تأكد علمياً "أن قدرة اللغة على التأثير في الآخرين تعتمد على الكيفية التي تصاغ فيها"[1]، ولا يمكن أن نكون بصدد كيفية لغوية فاعلة إلا إذا تحقق في لغة البحث الخصائص الآتية:

1- الدقة، والوضوح في التعبير، سواء في اختيار الكلمة الواحدة، أم العبارة، أم الجملة.
2- تجنب اللحن، والخطأ، والإسهاب، والصيغ المبتذلة، وإطلاق الكلمات، والعبارات، والتراكيب ذات الدلالات غير المحددة، والمموهة، والعائمة.

---

(1) فن كتابة التقارير والبحوث، ص 44 بتصرف.

3- تجنب الألفاظ العامية، والأخطاء الصرفية، والنحوية، والإملائية، ولاسيما في رسائل البحث اللغوي، والأدبي، فلا عذر للباحث في هذين الميدانين من الوقوع في أي خطأ لغوي.

4- لا بد من استخدام الكلمة الواضحة المعنى، والعبارة، أو الجملة القصيرة، الدالة من غير الاندفاع وراء مظاهر الإطناب، والحشو، والخطابية.

5- تجنب استخدام الكلمات والعبارات الأجنبية إلا عند الضرورة القصوى، لا بأس من كتابة المصطلح الأعجمي بالرسم الكتابي الأعجمي في مقابل المصطلح العربي.

6- لا بد من تشكيل بعض الكلمات، الآيات القرآنية والأشعار، والأعلام. ولا بد من وضع (الشدة) علامة الإدغام، وكتابة الهمزة برسمها منقطعة أو متصلة، متى ما أمكن ذلك.

7- تجنب الأخطاء الشائعة في البحوث فليس من المقبول الخطأ في كتابة الأعداد، أو صيغ الإفراد، والتثنية والجمع.

أو تعريف (غير)، أو إضافة كافة إلى ما فيه (ال)، فيقال: (اطلعت على كافة المصادرة)، أو استعمال كاف التشبيه في غير موضعها فيقال: (وكان الفصل الثاني كجزء من كذا)، أو (هذه الرسالة كجزء من متطلبات الحصول على درجة الماجستير)، أو يقال: (كما أني قمت بقراءة النص..).

أو الخطأ في استخدام حروف الجر، فيقال في أكثر الرسائل: آثر على كذا بدلاً من آثر في كذا، أو يقال: (على الأقل)، بدلاً من: (في الأقل)، ويقال: (الانضواء في كذا)، بدلاً من (الانضواء إلى)، ويقال: (تنبهت إليه) بدلاً من: (عليه). ويقال: (بحثي يحتوي على كذا)، بدلاً من: (يحتوي قدراً من كذا)، وهناك عبارات لا تجري على سنن العربية الصحيحة يكثر تواردها في الرسائل الجامعية من نحو عبارات:

لعب أو يلعب دوراً بدلاًمن: أدى دوراً.

أو: لذا فإننا نؤمن: بدلاً من: لذا نؤمن.

أو: نستوعب بشكل أفضل: بدلاً من: نستوعب استيعاباً أفضل.

أو: يفكر بطريقة أسلم، بدلاًمن: يفكر تفكيراً أسلم.
أو: وبات في ذهن الدارسين: بدلاً من: أذهان الدارسين.
أو: هذا الأمر وحسب: بدلاً من: بحسب.
أو: ذكرناه سابقاً، أو مسبقاً: بدلاً من: آنفاً.

ويطول بنا المقام في تعداد الأخطاء اللغوية والإملائية لو تصفحنا أية رسالة جامعية مستعجلة.

8- لا بد للباحث الذي يروم استكمال المنحى اللغوي الأسلوبي لبحثه من الالتزام الصارم بـ(نظام الترقيم) (Punctuation)، وعلامته التي تتخلل الكتابة لتساعد على تفصيلها، وتنظيمها تنظيماً يعين القارئ على فهمها، وتوفر علينا كثير من التفكير في استخلاص معنى من آخر، وترشدنا إلى تغيير نبراتنا الصوتية عند القراءة بما يناسب المعنى المقصود.

إن غياب هذه العلامات آفة ماحقة في البحث أو الرسالة العلمية، وقد يؤدي عدم مراعاتها إلى تغير دلالي متسع، أو إنتاج دلالة بعيدة غير مرادة، ولذلك يكون الترقيم أحياناً كالنبر (Stress/ Accent)، يفعل فعله في إنتاج الدلالة، والإيقاع. فمن غير علامة ترقيم لجملة من نحو: (علم النص علم جديد) قد نفهم منها الاستفادة، أو الإخبار. إن (نظام الترقيم) متصل في المقام الأول بالنظام الصوتي للغة، من (وقف، أو وصل، أو فصل، أو إخبار، أو استفهام، أو تعجب، أو غير ذلك، وعليه يجب على الباحث مراعاة تثبيت علامات الترقيم في مواضعها بكل حرص، ودقة، وعلى النحو الآتي:

- النقطة (.) بعد كل جملة طويلة تم معناها وتحتاج إلى وقف تام. كقولنا: كان المتنبي شاعراً كثير الاعتداد بنفسه، أما ما نسب إليه من ادعاء بالنبوة، والتفرد فهو محض قول لا دليل عليه أبداً. وتستعمل النقطة أيضاً بعد الأحرف الأولى للأسماء المعرفة، وفي كتابة المصادر والمراجع.
- انفارزة (،) ومواضعها كثيرة منها:

- بين المعطوف والمعطوف عليه مفردين أو جملتين:
- بعد المنادى: يا ربي، ارحمني.
- بعد الشرط وجوابه، أو القسم وجوابه: من يزرع، يحصد، والله، لأخلصن في عملي.
- قبل الجملة الحالية، أو الوصفية. نحو:
  - ❖ **قد يتوقى السيف، وهو مغمد.**
  - ❖ **لا يمكنك إدراك الحركة، وأنت تتحرك معها في فلكها.**
  - ❖ **قرأت لشاعر، ينظم الشعر العمودي، والحر.**

- الفارزة المنقوطة (؛):
  - بين جملتين تكون أحدهما سبباً في حدوث الأخرى، نحو:
    - ❖ **لا بد من قول الحقيقة؛ لأن السكوت عن قول الحقيقة ضلال.**
    - ❖ **يحرص الباحث الجيد على إتقان عمله؛ لأن في ذلك نجاحه الباهر.**
- النقطتان (:) واستعمالاتهما الرئيسة:
  - بين القول ومقوله. قال البحتري: كذا.....
  - **قبل المنقول، من الأمثال العربية: الرديء لا يساوي حمولته.**
  - **قبل الشيء وأقسامه، علامات الجاهل ثلاث: الغضب، والخوف، والكذب.**
  - قبل التمثيل والتفسير، والتعداد.
  - قبل الكلام الذي يوضح ما قبله، المرء بأصغريه: قلبه، ولسانه.
  - قبل المعرف وتعريفه. أو بعد اسم المؤلف.
- علامة الاستفهام (؟).
- علامة التعجب (!).

وتستعمل بعد ما يدل على التعجب، أو استغاثة، أو دعاء، أو إغراء، أو تحذير، أو تأسف، أو حزن، أو فرح. وقد يجتمع الاستفهام والتعجب كما في الاستفهام الإنكاري، نحو: ومن يحن على الأبناء أكثر من الوالدين؟!.

- الشرطة (-) وتستعمل في:

- لحصر الجملة الاعتراضية. نحو: لا بد من معالجة هذا الخطأ- وهذا هو المهم- أو التقليل من آثاره.
- بين ركني الجملة إذا تأخر المسند إليه، نحو: استكمل- اليوم ظهرا- المؤتمر العلمي أعماله.
- لفصل كلام المتحاورين، إذا أريد الاستغناء عن الإشارة إلى اسميهما، نحو: سأل الأستاذ الطالب:
- ما المنهج؟
- .....(الجواب) من غير ذكر الطالب.
- وتوضع بعد العدد والمعدود عند تعداد أقسام، أو فقرات نحو:

وينقسم الكلم العربي على ثلاثة أقسام هي:

1- الاسم 2- الحرف 3- الفعل.

- بعد كتابة عنوان الكتاب، أو الناشر.

- القوسان المستديران ( ) ويستعملان لـ:

- الكلمات المفسرة. نحو السنتكس (علم التراكيب) أو النظم.
- ألفاظ احتراس: نحو: المستغل (بكسر السين) سارق.
- العبارات التي يراد لفت النظر إليها نحو: لقد ظلمني (ولست مذنبا).
- لحصر عبارات التفسير، والدعاء، والقصر (ﷺ) (جزاك الله خيراً).
- للتنبيه إلى معلومات سبق ذكرها، نحو: (تراجع الصفحة 35 من البحث).

- " " للتنصيص، والاقتباس.
- " " للدلالة على كلام محذوف.
- [ ] لوضع كل زيادة يدخلها الباحث في نص مقتبس.

رابعاً: المنحى التقني (Technicality):

لا بد للباحث من التعرف على أدوات البحث، وطرائق إعداده، والتخطيط له، واستيعاب وسائله، وتقنياته، ومكوناته الجزئية والكلية ابتداء من الاطلاع على المصادر، مروراً بمعرفة طرائق التدوين، والاقتباس، واستعمال المكتبات، والاتصال بمراكز البحوث، والمعلومات عبر الانترنت، وانتهاء بإعداد البحث بصيغته النهائية من الغلاف (Cover)، وصفحة العنوان (Title Page)، إلى إعداد خاتمة البحث، ثم قراءة البحث في مسودته الأولى قراءة متأنية لتصحيح كل ما فيه من أخطاء، وهفوات، وتدقيقه، تدقيقاً نهائياً (Final Cheek)، قبل تقديمه للطبع، ومن ثم للأساتذة المناقشين؛ لأن الطالب سيكون مسؤولاً مسؤولية كاملة عما في رسالته من أخطاء ومزالق صغيرها وكبيرها.

إن على الطالب أن يكون على بينة من كيفية ترتيب رسالته، صفحاتها، وفصولها، ومباحثها، ومقدمتها، وخاتمتها، ومصادرها، وأن يعي محتويات ما سيعرضه في المقدمة، أو التمهيد، أو الخاتمة، وأن يكون على بينة من كيفية استخدام الهوامش، وطبيعة الإحالة إلى المصدر، وإعداد الملاحق، والفهارس المختلفة، إلى غير ذلك مما يمثل الرسالة في هيكلها النهائي وعلى النحو الآتي:

1- وضع مخطط عام للعمل (Planning The Work) يحدد جدولاً زمنياً للقراءة، وجمع المعلومات، وجدولاً زمنياً لكتابة كل فصل من فصول الرسالة، وثالث لتحديد زمن طبع الرسالة (Pyping)، وتدقيق كل ما يطبع (Prvision).

2- محتويات الغلاف الخارجي ينظر: الأنموذج رقم (3).

جمهورية العراق
الجامعة المستنصرية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الدرس الصوتي عند الرضي الاسترابادي

رسالة مقدمة من الطالب حسن عبد الغني أحمد
استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها

باشراف
الأستاذ الدكتور هادي نهر
بغداد 1414هـ- 1993م

(نموذج رقم- 3-)

3- صفحة العنوان الداخلي، وهي كصفحة الغلاف.

4- شهادة المشرف (الأنموذج رقم 4).

5- صفحة إجازة الرسالة بعد مناقشتها (الأنموذج رقم 5).

6- محتويات الرسالة[1] أبواباً، أو فصولاً ومباحث وخاتمة وغير ذلك كما وردت في الرسالة، ويشار إلى ما تقدم الأبواب، والفصول، والمباحث من إهداء، أو شكر، ومقدمة، وتمهيد.

7- صفحة (الإهداء) لمن يريد إهداء عمله، لمن يعزُّ عليه، أو لمؤسسة علمية، أو هيئة اعتبارية، ويستحسن ألا تكون كلمة الشكر مسهبة، تتعدد فيها الأسماء، والشخوص، والجهات. وإنما يكتفي بشكر الآخرين شخوصاً، ومؤسسات جملة واحدة من غير إسراف في تعداد الأسماء.

8- صفحة (الشكر والتقدير) للباحث الذي يرغب بتخصيص صفحة مستقلة لذلك.

---

(1) تقديم (محتويات الرسالة) أحسن من تأخيرها في نهاية البحث، للتسهيل على من يريد الاطلاع، ولفصل المحتويات عن قائمة المصادر والمراجع، ومحلها آخر الرسالة.

أشهد أنّ هذه الرسالة قد أنجزت بإشرافي بمراحلها المختلفة، وعليه أرشحها للمناقشة العلنية

المشرف العلمي

الاسم:

التوقيع:

نوقشت هذه الرسالة، وأجيزت بتاريخ / / م الموافق / / هـ

رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها:

الاسم:.................. رئيس لجنة المناقشة

التوقيع:..................

الاسم:.................. عضواً

التوقيع..................

الاسم:.................. عضواً

التوقيع..................

الأنموذج رقم (5)- إجازة الرسالة-

9- المقدمة (Introduction)[1]: تبدأ المقدمة بالبسملة وتنتهي بالسلام.
وتمثل الخلفية النظرية لموضوع البحث، ومجمل انطباعات البحث المتعلقة بدراسته، وهي الإعلان الأول عن العمل الذي يدعو إليه الباحث، أو الذي يريد تحقيقه. وتحتوي المقدمة على عناصر محددة، يجب إدراجها على النحو الآتي:

(1) جرت العادة على أن يبدأ ترقيم صفحات الرسالة من المقدمة، وما سبق من صفحات فيرتب على حسب الحروف الهجائية.

- **أولاً**: نبذة مختصرة لا تتجاوز (الصفحة والنصف) للتعريف بـ:

أ- موضوع البحث، وفكرته الأساسية، وخلفياته العلمية والتاريخية.

ب- التعريف بأسباب اختيار البحث، وأهميته، وجدواه، بما يوحي بأن البحث ذو قيمة موضوعية أصيلة (Original)، والأصالة قد تكون إبداعاً، وخلقاً، أو محدد (Marginal)، والمهم أن يكون موضوع البحث سواء أكان ظاهرة، أم قضية، أم مشكلة منبثقاً من منظور علمي (Scientific Perspective)، ومستنداً إلى مبادئ عقلية، ونقليّة محددة تشعر وتمهد لقضايا يمكن أن تثيرها، أو يتناولها البحث.

- **ثانياً**: طريقة توزيع محتويات البحث (خطته العلمية)ي وذلك بذكر عنوانات الأبواب، والفصول، والمباحث، ومن غير التطرق إلى أي شيء يخص النتائج التي تمخضت عنها هذه الأبواب، أو الفصول والمباحث.

- **ثالثاً**: لفتة قصيرة للمنهج أو المناهج المعتمدة في البحث، مع ذكر الوسائل، والأدوات، ووسائل الإيضاح المعتمدة في صياغة البحث متى ما وجدت، أو وجد بعضها.

- **رابعاً**: لمحة عن البحوث والدراسات السابقة- إن وجدت- وهنا يجب الاعتراف بفضل أصحابها على الباحث.

- **خامساً**: لمحة في المصادر المعتمدة في البحث، من غير الإفراط في ذكر عنواناتها، بل يكتفي بذكر ما كان أثره حاسماً في الرسالة، وإلا فالإشارة إلى تنوعها الموضوعي كاف، كان يقال: أما مصادر بحثي فمتنوعة المشارب والموضوعات منها أمّات كتب اللغة، والتفسير، والمعاجم، والنحو، أو أمهات كتب الأدب والبلاغة، النقد، وفي مقدمتها: كذا (تذكر بعض المصادر بأسمائها).

- **سادساً**: لمحة عن عوائق البحث ومصاعبه (لمن أراد ذلك)، ويستحسن الا يسرف الباحث في الشكوى، معتمداً قول المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم   وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها   وتصغر في عين العظيم العظائم

والباحث إنسان صبور غير متطير، أو شاك، ولذة البحث العلمي تزيح عن الباحثين الأصلاء كل همومهم، ومتاعبهم.

- سابعاً: لمحة تنبئ عن تواضع الباحث، واعتذاره عن أي خلل أو هفوة في رسالته، والإشارة إلى أنه أخلص العمل، وحاول أن يقيم بحثه، مشكلات، وظواهر، وأفكاراً على أساس الملاحظات المتأملة، وفي ضوء ما توافر لديه من مصادر، ومراجع، بعيداً عن كل ميل، أو هوى شخصي، وأن محصلة بحثه تمثل آراؤه، ووجهات نظر أولية، نسبية (Relativism) وليست حاسمة، أي أنها يمكن أن تقبل، أو ترد، ولأنه التزم مبدأ (الحياد الأخلاقي).
- ثامناً: كلمة شكر لهيئة المناقشة، ولكل من كان له فضل على الباحث، ممن لم يخصهم الباحث بكلمة (الشكر والتقدير) إن كان قد خصص لها صفحة مستقلة.
- تاسعاً: وفي كل ما سبق على الباحث ألا يطيل في المقدمة، بحيث لا تتجاوز صفحاتها عن (5٪) من مجموع صفحات (متن الرسالة).

10- التمهيد (Introduction):

موضع التمهيد- إذا كان من الضروري وجوده في الرسالة- بعد المقدمة مباشرة، وإنما تكون الحاجة للتمهيد حين يشعر الباحث أن هناك قضايا أو حيثيات موضوعية، أو تاريخية، أو ثقافية، أو اجتماعية، أو غير ذلك من المبادئ العامة المتعلقة ببحثه، ولا تصلح أن تكون فصلاً مستقلاً. من ذلك شعور الباحث بالحاجة إلى القيام بشرح أهداف بحثه شرحاً وافياً مرتبطاً بأسس تاريخية، أو ثقافية، أو اجتماعية، أو غير ذلك، أو تقديم وصف كامل لمنهجه، أو أنّ طبيعة الموضوع المدروس تحتاج إلى ما يمهد لها موضوعياً، أو فكرياً، أو تاريخياً.

مثال ذلك موضوع بعنوان: (رثاء المدن في الشعر اليمني القديم)، إذ يمكن التمهيد لمثل هذا الموضوع بالحديث عن الحضارة اليمنية القديمة والمدن الشهيرة التي شيدت، وأحوالها الاجتماعية، والدينية، والسياسية.....الخ. أو موضوع بعنوان (شعر الحرب في أدب العرب عصر الحروب الصليبية)، إذ لا بد من تمهيد نلفت النظر فيه إلى (مفهوم الحروب الصليبية، وأسبابها، وتاريخها، وأحوال الأمة الإسلامية عند نشوب هذه الحرب).

- أو موضوع بعنوان: (التفسير اللغوي البياني عند الجاحظ)، إذ لا بد من تمهيد يحدد مفهوم التفسير اللغوي البياني.

11- متن الرسالة أو هيكلها (Structure): ويخصص صفحة مستقلة لذكر (عنوان الفصل) وفي الصفحة التالية يذكر في بدايتها (عنوان المبحث الأول). وهكذا في بقية الفصول.

12- الخاتمة، أو الخلاصة (Summary)، أو ثمرة البحث (Conciusion Abstract) وتشمل المعاني والأفكار والرؤى والمفاهيم الكلية والجزئية التي توصل إليها الباحث، كل بحسب أهميته، ومن شروطها:

أ- دقة العرض ورصانة اللغة، والأسلوب لكي يبقى أثرها قائماً في الأذهان.

ب- أن تكون مختصرة، ولا تتجاوز بضعة حلقات مرقمة.

ج- أن تبرز نتائج البحث المركزية المستخلصة من خلال فصول البحث ومباحثه.

د- أن تخلو من التعميم، والإدعاء غير المبرهن على وجوده، أو على صحته في متن الرسالة. واعتاد بعض الباحثين تضمين خاتمة البحث جملة من التوصيات (Recommendation) لتحفيز الآخرين على مواصلة دراسة الظاهرة المعينة، أو بعض جوانبها أو دراسة جديدة.

13- ملاحق الرسالة: (Appendix)

من رسائل أو جداول، أو خرائط، أو معجم لغوي، أو وثائق مصورة، أو غير ذلك مما يستوجب تثبيته في بعض الرسائل.

14- فهارس الرسالة (Indexes)، ومنها:

أ- فهارس آيات القرآن الكريمة.

ب- الأحاديث النبوية الشريفة.

ت- الأمثال والأقوال.

ث- الألفاظ اللغوية المشروحة.

ج- الأشعار.

ح- الأعلام.

خ- الأماكن.....الخ.

وقد تغيب هذه الفهارس كلها، أو بعضها في أكثر الرسائل حين لا يكون هناك شعور للباحث بالحاجة إليها.

15- قائمة المصادر والمراجع:

وترتب على أسس مختلفة وباعتبارات مختلفة وكالآتي:

أ- القرآن الكريم أولاً ومن غير رقم.

ب- الكتب المخطوطة.

ج- الكتب المطبوعة.

د- المجلات.

ه- الرسائل الجامعية.

وترتب هذه على طريقتين:

أ- البدء باسم المؤلف كاملاً مع اللقب (دكتور/ أستاذ/ شيخ/ إمام....)، فعنوان الكتاب كاملاً، فاسم المحقق أو المترجم، دار الطبع والنشر- رقم الطبعة- المكان- الزمان.

ب- البدء باسم الكتاب، المؤلف، فبقية البيانات، والأسلم الترتيب الثاني على ما في الأول من موضوعية، ودقة لأن الترتيب الأول يبعدنا عن المشكلات الناتجة عن وضع أسماء المؤلفين، وبخاصة القدامى، إذ قد يشتهر بعضهم بكنيته، أو

بلقبه، أو باسمه، وقد يتوقف الباحث مستفسراً حيال أسماء تبدأ بكلمة (ابن) كـ(ابن أبي اسحق)، أو (أبو) كـ: (أبو الأسود)، أو (ذو) مثل: (ذو الإصبع)إذ يختار الباحث في ترتيب قائمته، أيضعها في الألف أو الذال، أو يهمل (ابن) و(أبو)، و(ذو) ويرتب على وفق الاسم المضاف إليه، زد على ذلك المشكلات التي تفرزها (ال) في مقدمة الأسماء، أو الألقاب.

16- التذييل والحواشي (Foot Notes):

1- مكانها أسفل الصفحة، ومن الباحثين من يجعلها في صفحة، أو صفحات مستقلة في نهاية كل مبحث، أو فصل.

2- وتستعمل الحواشي للإحالة على المصدر المقتبس منه النص المعين الذي نورده في متن الرسالة بين " "، أو لتفصيل شيء، أو التعليق عليه، أو لبيان معنى كلمة، أو شرح مصطلح، أو شاهد، أو ترجمة قصيرة لأحد الأعلام، أو الإحالة إلى صفحة، أو مبحث من الرسالة، أو لتخريج آية قرآنية كريمة ( ) أو شاهد نبوي شريف، أو عزو بيت شعري، أو غير ذلك.

3- يحبذ بعض الباحثين ترقيم هوامش كل صفحة بتسلسل جديد يبدأ من الرقم (1). ويحبذ آخرون ترقيم كل مبحث مرة واحدة ابتداء من الرقم (1) إلى رقم الإحالة التي ينتهي عندها المبحث المعين. ليبدأ في المبحث الآخر ترقيماً جديداً ابتدأ بالرقم (1) تصاعدياً إلى ما شاء من الآرقام. ومنهم من يرقم الفصل كله من (1) تصاعدياً إلى نهاية الفصل. والأسلم الترقيم القائم على أساس (المبحث الواحد)، حتى لا تتصاعد الأرقام، وللتسهيل على كاتب الرسالة على الحاسوب فيما إذا اضطر إلى ترحيل بعض أسطر الصفحة المعينة إلى صفحة أخرى.

4- اعتاد أكثر الباحثين على ذكر المعلومات الخاصة الذي يرد أول مرة. بتفاصيل (أعني ذكر دار النشر، ومكان النشر، وتاريخه، ومحقق الكتاب، أو مترجمه....الخ) ولسنا نجد حاجة إلى ذلك، ما دمنا سنذكر هذه التفاصيل كاملة في (قائمة المظان)، ولذا يمكن الاكتفاء بذكر (اسم المصدر، ومؤلفه، ورقم الطبعة (إذا كان الكتاب مطبوعاً أكثر من مرة) والجزء والصفحة. ولا حاجة لذكر الرمز (ط1) (الطبعة الأولى) في المعلومات التي نوردها عن المصدر، أو المرجع المعين في قائمة المظان، لأن عدم ذكر شيء عن طبعة الكتاب يشير إلى أنه مطبوع مرة واحدة.

5- في حالة (الاقتباس من الكامل)، أو (الناقص) يشار في الهامش إلى عنوان المصدر ومؤلفه مباشرة، فإن كان الاقتباس متصرفاً فيه، فيشار إلى ذلك بعبارة (بتصرف)، بعد ذكر عنوان الكتاب، ومؤلفه، والصفحة. أما في حالة (النقل بالفكرة) فتكون الإحالة مبدوءة بالفعل المضارع المبني للمجهول- ينظر- بدلاً مما هو شائع- انظر- وسيرى هذا في كل المواقع التي نستعمل فيها فعل الأمر- انظر- إذ أن ذكر المضارع أليق بمن نخاطبه.

17- ترقيم البحث:

أ- ترقيم الصفحات الأولى من الرسالة بالحروف الأبجدية، ويشمل ذلك: صفحة الإهداء، وكلمة الشكر، والمقدمة).

ب- نبدأ بترقيم الرسالة بالأرقام العددية. ابتداء من التمهيد- إن وجد- وإلا فمن- عنوان الفصل الأول.

ت- من الباحثين من يبدأ بترقيم رسالته بالأرقام العددية ابتداء من المقدمة، وهو الأحسن عندي، لأن المقدمة إطلالة البحث الأولى ومن صلب العمل العلمي.

ث- لا تخضع الصفحات الآتية للترقيم حروفاً، أو أرقاماً:

صفحة العنوان الداخلي + صفحتي الاستشهاد + صفحات محتويات الرسالة

18- الاختصار والرموز:

يعطي بعض الباحثين رموزاً، لكتب، أو لتعبيرات، أو لمصطلحات، وغيرها مما يتكرر في الرسالة كثير، وممّا اتفق الباحثون على اختصاره، نذكر على سبيل المثال: خ= صحيح البخاري، م= صحيح مسلم، قط= الدار قطني، د.ت= دون تاريخ، تح= تحقيق، ت= ترجمة، ق.م= قبل الميلاد، ج= جزء، ص= صفحة، س= سطر، الخ= إلى آخره.

إلى ما هنالك من رموز تعارف عليها الباحثون.

الفصل السادس

ملاحظات ختامية

في التفكير العلمي وشروط البحث العلمي المرموق

المبحث الأول

التفكير العلمي: أسسه، مهاراته، أنماطه

التفكير العلمي تفكير يحكمه نظام قائم على أسس ومبادئ واضحة يمكن بوساطتها رصد الظواهر والأحداث والرؤى وتجريدها وتحليلها والنظر فيها وإبداء الرأي حولها، ولما كان الناس مختلفين في نظرتهم للأشياء والأحداث والظواهر جاءت أحكامهم مختلفة حول الظاهرة المعينة، وعليه يمكن القول إنّ لكل إنسان تفكيره الخاص سواء أكان هذا قد أصاب تعليماً ومعرفة أو لم يصب، لأن كلّ التفكير العلمي لا يقاس بكمية المعلومات التي يمتلكها الإنسان حول الحياة وما فيها بقدر ما يقتضي له من امتلاكه لطريقة محددة في النظر إلى الحياة وأحداثها وتشابكاتها معتمدة على عقل نيّر وبرهان مقنع ومقبول.

إن النجار الماهر أو النقاش الحاذق أو التاجر الناجح قد يمتلك كل منهم طريقةً فاعلة وصحيحة في النظر إلى قضايا الحياة من غير أن يكون لدى أيّ منهم قاعدة نظرية في العلوم والمعارف التي تكمن فيما حصل عليه أي منهم من شهادات دراسية.

ولهذا كله صار للتفكير العلمي أسسه التي يقوم عليها لكي يتم في ضوئها وصف التفكير بأنّه علمي وهي:

1- التراكمية:

حيث يبدو التفكير العلمي بناء يعلو طابقاً فوق طابق وكلّما كثرت طوابق البناء ازداد البناء نفسه حجماً وضخامة وبهاءً، وهكذا التفكير العلمي ينمو ويكبر ويتسع أفقياً بتراكم خبرات المرء وتجاربه. وهنا يبدو الفرق بين التفكير العلمي والمعرفة الفلسفية التي تتسع وتنمو عمودياً، فكل مذهب فلسفي لم يكن ليبدأ من حيث انتهت المذاهب السابقة ولم يكن مكملاً لها. أما التفكير العلمي فينمو أفقياً طبقة فوق طبقة فالفن مثلاً تراكمي لأننا نظل

نتذوق الفن القديم، مع ظهور أنواع متعددة من الفنون الجديدة التي لا تستطيع أن تدعونا إلى التخلي أو الإعراض عمّا قبلها.

إن الحقائق العلمية لا تكفّ عن التطور والارتقاء من غير أن يكون الجديد فيها دافعاً لإلغاء ما قبله.

2- التنظيم:

إن التفكير العلمي نشاط قائم على التنظيم والترتيب فالأفكار والرؤى والمفاهيم التي يفرزها هذا التفكير يجب أن تكون منظمة على نحو علمي خاص وفي سياق منهج محدّد له بداياته ونهاياته وما بين البداية والنهاية بحيث تفتح البدايات آفاق ما يأتي بعدها، وصولاً إلى النهايات المحددة والواضحة والفاعلة.

والتنظيم يقتضي أن يلاحظ الباحث الظاهرة المعينة التي يريد تتبعها وإخضاعها للدرس ضمن دوائرها الظرفية المعينة والتحكم في حركتها ووضع الأسئلة والفروض المحتملة حولها، ثم تحليلها في ضوء القوانين الجزئية التي تتحكم فيها وصولاً إلى استنباط حقائقها أسباباً ونتائج بالاستناد إلى الضوابط العقلية، والبراهين العلمية

3- البحث عن الأسباب:

لا يمكن استقراء الحقائق العلمية للظاهرة المدروسة بعد تشخيصها ووضعها إلا في ضوء طبيعة الأسباب والعوامل التي أدت إلى نشوئها وتطورها، فمعرفة هذه الأسباب يمكن الباحث من السيطرة عليها وضبطها والتأثير فيها.

إنّ كلّ نشاط إنساني علمي أو معرفي يبحث عن الأسباب والعلل فالفلسفة تبحث عن علّة الكون وحقيقة الأشياء والأحداث، والتفكير الديني يبحث عن الأسباب، والتفكير العلمي كذلك مع فارق بينه وبين الفلسفة أو التفكير الديني، في كونه أعني التفكير العلمي لا يضع باعتباره البحث عن الأسباب البعيدة لعدم القدرة على إخضاع مثل هذه الأسباب البعيدة للقياس العلمي والتجريب، وفي الوقت الذي يرتكز فيه التفكير الفلسفي في البحث عن أصل الحياة وعلتها الحقيقية، ويرتكز التفكير الديني إلى رد جميع الظواهر إلى سبب واحد

فالتفكير العلمي يهتم بالأسباب والعلل المباشرة والمنظورة التي تشجع حاجة الإنسان إلى الاستطلاع والمعرفة والفهم، وزيادة قدرته في السيطرة على الظواهر عن طريق معرفة أسبابها وعللها والتحكم فيها.

ولكي يصل التفكير العلمي إلى معرفة الأسباب والعلل يطرح دائماً أسئلة محدّدة، ولا يطرح أسئلة عامة وممتدة كما هو الشأن في الأسئلة التي يطرحها الفلاسفة. ومع هذا أن التفكير العلمي يحدّ مشكلة ما، ويطرح حولها الأسئلة المحددة محاولاً الإجابة عنها. مع التأكيد على أن هناك ظواهر معينة إنسانية واجتماعية وطبيعية لا يمكن بسهولة ردّها إلى سبب أو أسباب معينة إذ نجد أنفسنا إزاءها أحياناً أمام عوامل متعدّدة ومتشابكة وليس هناك عامل واحد يمكن عدّه هو العامل الرئيسي والمباشر والمتحكم.

4- الشمولية واليقين:

الشمولية مهمة من مهمات المعرفة العلمية، بمعنى أنها تسري على جميع أمثلة الظاهرة التي يخضعها الباحث للدراسة والتحليل، فالحقيقة التي يبحثها العلم حقيقة علمية لا شخصية لا يمكن الاختلاف حولها بين باحث وآخر، ولذلك فهي تختلف عن العمل الأدبي أو الظاهرة الأدبية لكون العمل الأدبي ذي عمل فردي مرتبط بمبدعه.

ثم أن الحقيقة العلمية يقينية، واليقين فيها ليس يقيناً ذاتياً صادراً عن انطباع ذاتي، أو هوى شخصي، وإنما هو يقين موضوعي يستند إلى أدلة منطقية مقنعة. مع التأكيد على أن اليقين العلمي ليس يقيناً مطلقاً ثابتاً لا يتغيّر، فكثير من الحقائق العلمية التي سادت فترة من الزمن بطلت صحتها نتيجة لجهود علمية جديدة، فلم يعد الخطان المتوازيان هما اللذان لايلتقيان مهما امتدا كما قال (قليدس) بل اكتشف علماء الهندسة خطوطاً لا تلتقي أيضاً دون أن تكون متوازية، ووضعوا ما يُسمى بالهندسة الفراغية، أو اللاإقليدية.

إنّ العلم لا يعترف بالحقائق الثابتة، بل يؤمن بأنّ الحقائق متغيرة، فليس هناك حقيقة ثابتة، والحقيقة الثابتة الوحيدة هي أنّ كل الحقائق تتغير. فثبات العلم يعني موته ونهايته.

5- الدقة والتجريد:

إن على الباحث الجيد أن يكون دقيقاً في ملاحظته للظاهرة التي يسعى لدراستها، والكشف عن أسبابها وعللها، والاحتجاج لها، وهذه الدقة مطلوبة دائماً عبر خطوات البحث كلّها ابتداءً من رصد الظاهرة إلى وضع خطة البحث والاستناد إلى منهج محدّد وانتهاءً بتجريد أفكاره ومفاهيمه وطروحاته حول الظاهرة المدروسة مع مراعاة الدقة في اللغة والأسلوب والقضايا المتعلقّة بالشروط العلمية في إعداد البحوث. إن الحقائق العلمية ليست مطلقة بل أنها احتمالية، وعلى الباحث تحديد نسبة هذا الاحتمال سواء في أسئلته وفروضه، أو في المشكلات والإجراءات التي يقوم بها.

أما التجريد فهو وسيلة الباحث في السيطرة على الواقع وفهم قوانينه وحركاته وتغيراته بشكل أفضل.

إن أخطر ما يواجه البحث العلمي هذا الفكر الخرافي الناتج عن العجز والاستسلام أمام نشاط إنساني يعتمده بعض الناس في النظر إلى الحياة والإنسان والأحداث بالاستناد إلى قوى خفية مزعومة وموهومة يحاول بعضهم تفسير الأحداث والظواهر بوساطتها، وهذا التفكير الخرافي تتسع مدياته أو تضيق تبعاً لاتساع مديات التفكير العلمي، أو انحساره في المجتمع المعين، فهو هامشي في المجتمعات التي أصابت تقدّماً في العلوم والمعارف، ولا يمثّل خطراً يذكر، وهو فاعل ومؤثر في المجتمعات التي لا تزال تعيش الجهل والأمية وكلّ ما يعادي العلم والعقل.

إنّ الاستناد إلى الدين عند هؤلاء المشعوذين وأهل الخرافة والسحر بكونه – على زعمهم- سنداً ورابطاً بين خرافاتهم وتصوراتهم وأفكارهم إساءة للدين وللعلم وللعقل في آن واحد، قد عمل ويعمل على تجميد الفكر العلمي وإلغاء موجودية المفكر والباحث الحقيقي، الباحث الذي يجعل من الدين محفّزاً لطلب العلم، والعكوف عليه وملازمة أصحابه بعيداً عن كل أساليب الدجل والشعوذة ومحاربة روح الإبداع والخلق.

إن الاعتراف بدور العقل في ميادين العلم والمعرفة والاكتشاف والإبداع هو الطريق الأمثل لإيجاد العلم الحقيقي والفاعل في حياة الأفراد والجماعات، بعيداً عن شوائب الأوهام والخرافات والأساطير التي لا تغني عن العقل شيئاً ولا تغني عن الدين الحقيقي القائم على أنّ الله علم الإنسان ما لم يعلم، وأنّ من قيم الدين الانتصار للعلم وللعلماء.

مهارات التفكير:

التفكير نشاط إنساني عقلي واعٍ يحدث في سياقاته الاجتماعية والبيئية والثقافية ويهدف إلى تحقيق مجموعة من الأغراض من أبرزها الآتي:

أولاً: الفهم والاستيعاب:

فالتفكير مهارة مثلما هو مهارة وحاجة لبناء بحوث علمية فاعلة في حركة المجتمع ثقافة وحضارة ومعرفة، علوماً ومعارف، ولا يمكن أن تأتي البحوث أكلها إلا إذا قامت على فهم واستيعاب معرفي وعلمي للظاهرة قيد البحث.

ثانياً: اتخاذ القرار:

التفكير العلمي طريق إلى التمييز بين الأشياء المؤتلف منها والمختلف، ما هو منتم إلى معيار ما، وما هو غير منتم إلى المعيار نفسه، زد على ذلك أن التفكير العلمي يقود صاحبه إلى عملية تقويم شاملة لما يبحث فيه بما يمكنه من اتخاذ القرار المناسب، أو الحكم المناسب.

ثالثاً: التخطيط، أو حل المشكلات:

لا يكفي أن يكون هناك فكر مبدع في غياب تخطيط منظم ينخرط الباحث عبره في إجراءات متعدّدة متناسقة ومنتظمة في سلسلة من النشاطات ابتداءً من استدعاء المعلومات

وتذكّرها ومعالجتها وتحليلها إلى تشغيل هذه المعلومات والأفكار المتحصّلة عبر البحث إلى عملية تقويم واستقراء للحقائق المعزّزة بالحجج والبراهين العقلية أو النقلية أو كليهما.

رابعاً: الحكم على الأشياء:

لا يمكن الحكم على الأشياء حكماً علمياً صحيحاً قائماً على الأدلة العقلية المنطقية، والاستنتاجات الدقيقة إلا بالاستناد إلى فكر علمي منظم بعيداً عن الأهواء الذاتية، والرغبات الشخصية. إن احترام العلم والمنهج بوصفهما الأساس في معرفة الحقيقة، وتكوين باحثين قادرين على إصدار الأحكام الصحيحة، وامتلاك الجرأة الأدبية والنقد العلمي المستند إلى الدليل والبرهان.

خامساً: الإحساس بالبهجة والاستمتاع:

التفكير وسيلة للوصول إلى مكامن البهجة ومواطن الجمال في الكون المحيط بالإنسان، إن الإنسان باحث عن كل شيء يفتح آفاقه إلى رحاب هذا الكون الجميل، وبدلاً من أن نلعن الظلام علينا أن نوقد ما ينير أمامنا كل ما يحيط بنا من عوالم الخلق والإبداع الرّباني لنتحسّس الجمال كي تكون لنا القدرة على الإبداع.

سادساً: التخيل:

إن القدرة على إبداع الصور العقلية والتخيل والفنون البصرية والتصميم المعماري هو نتاج فكر فضائي أو بصري.

سابعاً: الانغماس في أحلام اليقظة:

لقد أثبت العلم أن الإنسان قادر على أن يتعلّم ويعبّر عن وجهات نظره بطرائق متعدّدة، فالذكاء أنواع وليس نوعاً واحداً، والإنسان إنما يستخدم أنواع الذكاء المختلفة في حل المشكلات وفي إنتاج أشياء جديدة، وأن تنمية الفكر ممكنة طوال العمر، ما دام الإنسان

مستعيناً بالوسائط التي تنمي قدراته الفكرية كالقراءة، والاطلاع والانفتاح على المعرفة والعلم.

إنّ الانغماس في أحلام اليقظة لا يمنع من أن يتحول الحلم إلى منّبه إلى السمات الرئيسية التي تميز المعرفة بكل ضروبها وهذا المنبّه هو الذي يقودنا إلى جعل المتخيل حقيقة بالتفكير والتدبّر، وملاحقة الأشياء التي نراها، ونحسّ بها.

أنماط التفكير:

يتخذ التفكير الإنساني أنماطاً كثيرة منها:

أولاً: التفكير الطبيعي أو البديهي:

وهو تفكير أوّلي خالٍ من أي تأثيرات جانبية تحدّد اتجاهه، وتتدخل في طبيعته، إنّه تفكير مبدئي، خام. وممّا يتصف به هذا التفكير كونه:

- مكرّراً وعاماً. أي أنّه كثير الحدوث لدى الإنسان.
- أنه قائم على خيال فطري، وقد يكون بعضه أحلاماً أو تداعيات تحصل في ذهن الإنسان على هيئة خواطر، واحتمالات.
- أنّ هذا التفكير غرضة للأخطاء، إذ لا يجد له من الواقع إلا النزر اليسير حدوثاً.

ثانياً: التفكير الوجداني:

ويقوم على العواطف والأهواء، فهو تفكير ذاتي انطباعي يتناول تفسير الأشياء، والحكم عليها. بحسب رغبات الإنسان، أو ما يفضّله أو يرتاح إليه. إنه انعكاس كلّي للنفس البشرية، ولهذا اتّسم بـ:

- التسرع.
- والبساطة.
- والسطحية.

- والانتقائية في اختيار الأشياء أو الحكم عليها، أو تحديد المواقف منها.ولهذا كان النجاح في بعض أحكامه مرتبطاً بعامل المصادقة في المقام الأوّل.

ثالثاً: التفكير المنطقي:

وهو تفكير مجرد من نوازع الفطرة والعاطفة يحكمه المنطق والبرهان والحجج في تعليل الأشياء والظواهر والحكم عليها أو القياس عليها، ومع كونه يعتمد التعليل والبحث عن الأسباب فإن العلل والأسباب التي يستند إليها قد لا تكون صحيحة أو مقبولة دائماً.

رابعاً: التفكير الرياضي:

وأدواته القواعد والنظريات والرموز والبراهين والتعامل مع الأرقام، وإنشاء أنماط عددية والتعرف على الأنماط المجردة كما يفعل المحققون والعلماء والفلكيون وغيرهم ممّن يستندون إلى التفكير المنطقي والمحاكاة العقلية.

خامساً: التفكير الناقد:

وهذا التفكير تفكير تأملي يهدف إلى إصدار حكم أو إبداء رأي تأييداً أو معارضة أو تعديلاً، أو اكتشافاً بالاستناد في كلّ هذا إلى البراهين والحجج المقنعة القائمة على الحقيقة المجردة من نوازع النفس والهوى.

ولا يمكن لصاحب هذا التفكير أن يطلق أحكامه المختلفة في المواقف والظروف المختلفة وإبداء الأسباب المقنعة بشأنها إلاّ إذا دأب على إخضاع المعلومات المتحصلة عبر قراءاته وملاحظاته وبياناته التي أعدها وقام بتحليلها إلى اختبارات عقلية ومنطقية، وذلك لإقامة البينة على صحتها، وتعزيز ذلك بالشواهد والتعرف على القرائن.

وهذا التفكير بحاجة أيضاً إلى خطوات محدّدة مترتبة بعضها عن بعض منها:

1- تحديد الهدف من التفكير.
2- التعرّف على أبعاد الموضوع.

3- تحليل الموضوع إلى عناصر بما يتلاءم مع الهدف.
4- وضع المعايير والمؤشرات الملائمة لتقييم عناصر الموضوع.
5- استخدام المعايير في تقييم كلّ عنصر من عناصر الموضوع.
6- التوصل إلى القرارات، والأحكام.

سادساً: التفكير العلمي:

وهو عملية عقلية منظمة وممنهجة ذات خطوات محدّدة هي:

1- تحديد المشكلة، والهدف من اتخاذ القرار.

2- جمع البيانات والحقائق عن المشكلة أو الظاهرة المدروسة.

3- وضع الفروض، والتنبؤ بآثار المشكلة المحتملة.

4- وضع الحلول البديلة.

5- تقييم كل بديل من البدائل للوصول إلى البديل الأمثل.

6- اتخاذ القرار المناسب الذي يمثل أحسن مسار لتحقيق الهدف في ضوء الإمكانيات والموارد المتاحة.

أما خطوات الأسلوب العلمي للمعرفة فهي:

1- الملاحظة.
2- الرغبة في المعرفة (وهنا توضع التساؤلات حول الظاهرة المعينة).
3- وضع الفروض بشروطها المعروفة.
4- تحديد أفضل الطرائق للإجابة على التساؤل.
5- اختبار الفروض.
6- الاستنتاجات.
7- التعميم الحذر.

التفكير الإبداعي:

محصلة هذا التفكير النهائية إيجاد شيء مألوف من شيء غير مألوف، وتحويل المألوف إلى شيء غير مألوف، فهو عملية خلق، وابتكار، واكتشاف، ولا يكون التفكير إبداعياً إلا إذا توافرت فيه الشروط الآتية:

1- تجنب التتابعية المنطقية.

2- توفير بدائل متعدّدة لحلّ المشكلة المرصودة.

3- تجنب عملية المفاضلة والاختيار.

4- جعل الاختيار مستنداً إلى البينة والبرهان على صحته.

5- البعد عن النمط الفكري التقليدي ومحاولة الركون إلى فكر متجدّد.

6- الثقة بالنفس، والتخلص من روح الانهزامية، والخوف من المواجهة، وتنمية روح المبادرة.

7- الاستقلالية في الرأي والموقف.

المبحث الثاني

نحو بحث علمي معرفي مرموق

البحث العلمي كما أسلفنا نشاط إنساني مرموق يوظف الإنسان الباحث من أجله إمكاناته الثقافية والمعرفية وخبراته المستجدة والمستمدة من الواقع، وما استقر في ذهنه من معلومات، وما انطوى تفكيره على قدرات في الفهم والاستيعاب والتحليل والربط والاستقراء وإطلاق الأحكام المعزّزة بالبينة المقنعة، والبرهان المنطقي المقبول.

إن لأي بحث أهدافه المحدّدة، فلا يقصد البحث لذاته وهذه الأهداف لا يمكن تحديدها ومن ثم تحقيقها، إلا عبر منهج محكم يحدّد نمط التفكير الذي يتصف به الباحث والموصل إلى فهم عناصر الظاهرة المدروسة، واستيعاب أبعادها، والقدرة على تفسيرها وتعليلها، وتحديد النتائج المترتبة عليها بعد اختبارها، بما يمكن الباحث من وضع وصف جديد لها أو سنّ قانون، أو تفسير نسبي إلى حين ظهور ما ينفي هذا القانون، أو يدلّ على خطأ التفسير.

ولا يمكن أن نكون إزاء بحث علمي متميز على النحو الذي وصفناه إلا بعد الأخذ بالحقائق العلمية الآتية:

أولاً: الباحث الجيد:

منتج البحث الجيد، وهو الإنسان الملتزم الذي يعيش قلقاً داخلياً إزاء الموضوع الذي يريد أن تكتب ذلك الموضوع أو الظاهرة التي التقط خيوطها الأولى في مرحلة ما من حياته. وجرى وراءَها متسائلاً، ومفترضاً، وباحثاً عن علل هذه الظاهرة وأسبابها، مبتعداً عن النوزاع الذاتية والرؤية الأحادية في التفسير، والنظرة الخطية من حيث المدخلات، والنظرة الإطلاقية من حيث تصوراته، والظن سلفاً بأنّه محتكر للحقيقة.

الباحث الجيد هو الباحث المبتعد عن التعميمات الكاسحة، المنتج فكرياً، المترضي للآخر وللحوار، فبذلك لا تصح معرفته نتاجاً سلطوياً في مصادرها ووجوه التعامل معها، فالمعرفة السلطوية بطبيعتها معرفة يقينية مطلقة نهائية، لا تعترف بقواعد المنهج العلمي الحديث من الاحتمالية، أو النسبية، أو التعددية، ومثل هذا التوجه البحثي أحادي الرؤية يضيّق حرية الباحث، وحرية الفكر، ويقتل الإبداع، ولا يساعد على تطوير المعرفة.

إننا بحاجة إلى باحث علمي يتحرّك في إطار القيم الخلقية السامية، ويمتلك ذهنية منقحة ناقدة، في إطار منهجية جديدة قوامها الحرية والعمق والانتقال من الثقافة الورقية إلى ثقافة الحاسوب والمخابر.

باحث مستكشف دقيق المراقبة يتخذ من الفكر وسيلة للاستكشاف وليس للدفاع عن وجهة نظر ما، باحث يتجنب التسرع في إطلاق النتائج، أو الخلط بين الفرضيات والحقائق.

باحث مبتعد عن التعميمات التي لا تستند إلى أساس علمي متجنباً المبالغة (التهويل) ومتجنباً في الوقت نفسه التبسيط الزائد (التهوين).

إنّ الباحث الجيد باحث يعالج أسباب المشكلات والظواهر، وليس الأعراض، بالتحليل العلمي وليس بالقولية المجرّدة عن سندها العلمي، أو القائمة على محمل شخصي محض، ومتميّز أو المعتمدة على الأقوال والأمثال المعروفة من غير النظر إلى خصوصيات الموقف المعين للظاهرة المعينة.

إن الباحث الجيد على استعداد دائم لتقبل نتائج التفكير العلمي ولذلك فهو مستعد لتغيير نمط التفكير في فروضه وتساؤلاته متى ما تغيّرت مرحلة التفكير.

ثانياً: تشخيص الظاهرة، أو المشكلة:

إنّ هذا التشخيص أول خطوة في طريق البحث، تستتبعها خطوات أُخر في تحديد أبعاد الظاهرة، وملامحها، وفهمها واختبارها، وقياسها، ثم استقراء عللها وأسبابها ونتائجها وتصوّر بعض الحلول لها. كلّ ذلك بالبراهين والأدلة والشواهد النقلية أو العقلية الصحيحة.

إن شيوع ظاهرة الأخطاء اللغوية النحوية والإملائية عند طلبة المدارس في مكان، أو مؤسسة تربوية أو علمية ما يشكل ظاهرة يستشعرها باحث معين، فيعمل على تحديدها زماناً ومكاناً وعيّنة، بما يقوده إلى وضع فروض محتملة لأسباب هذه المشكلة، ثم يجري وراءَ المشكلة باحثاً عن العلاقات التي تحكمها أو تربطها بظواهر أخرى، كتأخّر التحاق معلم المادة بعد مضي فصل دراسي كامل، أو عدم توافر وسائل الإيضاح، أو تهاون الإدارة، أو تأخر وصول الكتب المقرّرة، أو غياب الاستعداد الشخصي للقراءة عند الطالب، أو وسائل الإعلام، أو غير ذلك من الأسباب التي تمكّن الباحث من صياغة المشكلة صياغة علمية في خطة بحثه، واختيار المنهج الأمثل لدراستها.

ثالثاً: عنوان البحث:

عنوان البحث لافتته المشيرة الأولى، وهو ليس زينة يضعها الباحث لغرض تسويق بحثه، ولهذا لا يجوز اختيار عنوان البحث أولاً ثم تنحت له مشكلة وأهداف لا تتناقض معه، وإنما يجب على الباحث رصد الظاهرة المعينة أو المشكلة المعينة التي يراد بحثها ثم يختار لها العنوان الأمثل الذي يدل على الظاهرة المدروسة بوضوح وجلاء، ولا يكون العنوان ناجحاً، ودالاً إلاّ إذا اتسم بجملة من السمات التي سبق الإشارة إليها في موضعه من الكتاب ونزيد على ذلك الآتي:

1- قدرة العنوان على أن يعكس علاقة بين متغيرات أو متغيرين للظاهرة، أو المشكلة قيد البحث.

2- أن يكون مختصراً محدّداً بالزمان والمكان المعينين.

3- أن يكون مصوغاً بشكل وصفي أو بشكل (علاقة)، أو (أثر) أو (فروق) كأن يكون في:

- الخصائص التركيبية في شعر كذا.
- أو العلاقة بين أدب الرحلات والمجتمع العربي في العصر كذا.
- أو أثر الطبيعة في شعر كذا.

- أو الفروق الصوتية الصرفية في اللهجات العربية المشهورة.

4- خلو العنوان من الكلمات المترادفة.

5- يمكن معرفة الإجابة الأولية من خلاله عمّا يريد الباحث، أو عن محتوى الرسالة. فالعنوان مؤشّر على مشكلة البحث، أو الظاهرة أو القضية التي يقوم الباحث بدراستها.

رابعاً: عمّ نبحث:

من غير المعقول أن يكون ما نبحث عنه موجود بصيغة ناجزة وجاهزة ومتكاملة، وإلا لأصبح معروفاً بالصيغة التي هو عليها، فانكشفت طبيعته، وبرزت صفاته، وعرفت آثاره، وانتفت من ثمّ الحاجة إلى البحث عنه.

لذلك فإنّ البحث يمارس عادة على ما يصعب التقاطه دفعة واحدة بصيغة مكتملة وجاهزة، ولا تعني صعوبة العثور على المبحوث عنه في صيغته الناجزة استحالة ممارسة عمليات البحث أو عبثيتها، فالشيء الذي يستحيل الوصول إليه مباشرة يمكن الاستدلال عنه (عن طبيعته وصفاته وأفعاله وآثاره، مداورة أي عبر وسائط شتى تختلف مفاعليها الدلالية بحسب علاقاتها الزمانية والمكانية بالشيء الأصلي المبحوث عنه، وفي حقيقة الأمر تنحصر معظم عمليات البحث الجادة في التفتيش عن هذه الوسائط غير المباشرة استناداً إلى الغرض والقرينة والأثر.

إن إغفال النظرية النقدية إغفال للتوظيف الاجتماعي والثقافي والحضاري والإنساني للبحث العلمي نفسه، وطغيان الرؤية الأحادية على البحوث، حيث تُبحث الأشياء والظواهر والقضايا برأي واحد في نظرة إطلاقية استعلالية لا يمكن أن تقضي إلا إلى الفراغ والانغلاق في الوقت الذي نحن بأمّس الحاجة فيه إلى بحوث تنمي القدرة على التفكير، إثراء المعرفة البشرية، والتطبيق الابتكاري للمعرفة، بحوث يمكن أن تهدم الحدود المفترضة والفاصلة بين العلوم الأساسية والتطبيقية، والتقنية، والإنسانية بالاستناد إلى ثقافة التفاوض والحوار والاختلاف وقبول ثقافة الآخر بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة واحدة متسامية الجدران.

إنّ استشراف المستقبل يتطلب الاهتمام بالبحوث البيئية مثلما يتطلب الاهتمام بالبحوث الإنسانية الاجتماعية والثقافية والفنية والعلمية، استجابة لكل مشكلات الإنسان المعاصرة وهمومه ومطامحه، وذلك بالارتباط بصيغة المجتمع وظروفه، ومرحلته الحضارية من غير إغفال لتراثه وتاريخه وعقائده ولغته وما أنتجته عبر الزمان الطويل.

خامساً: حدود البحث:

يجب الاحتراس أولاً من الخلط بين (حدود البحث) من جهة (وصعوبات البحث) و(محيط دائرة البحث) من جهة أخرى، على الرغم من أن المفهومين الأخرين هما من مكوّنات المفهوم الأول وحدود البحث:

- الموضوعية: وهي الجوانب التي يتضمنها البحث.
- والزمانية: وهي المدة التي يتطلبها البحث.
- والمكانية: وهو المجال المكاني للبحث: قرية، أو مدينة، أو بلد، أو مدرسة أو جامعة....الخ.

وهي بجملتها لا بدّ أن تتوجه إلى القارئ مستهلك البحث فحدود البحث ليست فقط الدائرة التي تحرّك، أو يتحرّك الباحث في داخلها، وإنما هي أساساً المدى الذي يُسمح للقارئ مستهلك البحث أن يستثمر نتائج البحث (مع الاحتفاظ بالمصداقية) ضمنه.

إنّ تثبيت الباحث حدود بحثه الموضوعية والزمانية والمكانية بجلاء ووضوح يمثل تعهداً منه بإنجاز عمله ضمن هذه الحدود بأمانة وصدق وإخلاص، وأنه يتحمل مسؤولية نتائج بحثه في أصوله وفروعه، وبذلك يدفع الباحث عن بحثه أيّ احتمال للنقد أو الشك في النتائج المتحصلة من بحثه، سواء أكان هذا النقد خاصاً بالظاهرة أو القضية أو المشكلة التي تعرض إليها الباحث من زاويتها الموضوعية الصرفة، أو خاصاً بزمانها ومكانها.

إنّ توضيح حدود البحث ليس لمجرد حصر جهد الباحث في مجالات موضوعية وزمانية ومكانية دون غيرها فحسب، وإنما يتضح مدى إمكانية تعميم نتائج البحث

وتطبيقاتها، وإيراد السبب في الاقتصار على مدة زمنية معينة أو مكان محدّد، أو جانب معين حتى لا يتبادر إلى ذهن القارئ أن السبب مجرد إنجاز البحث في أقصر مدة، أو أصغر مكان، أو أخصر مجال.

سادساً: منهج البحث:

يمثل منهج البحث- في أي علم من العلوم- ظاهرة حضارية تتحدّد ملامحها، وتتميز خصائصها على وفق طبيعة المنهج، وما ينطوي عليه من مواصفات علمية، أو غير علمية.

إنّ وظيفة المنهج كما أسلفنا استكشاف المبادئ التي تنظم الظواهر الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والثقافية والإنسانية بصفة عامّة، وتؤدي إلى حدوثها حتى يمكن في ضوئها تفسيرها، وضبط نتائجها، والتحم بها، وهذا المنهج يتحدّد كما هو معروف في ضوء طبيعة البحث أو الدراسة، أو الأهداف التي يجري وراء تحقيقها الباحث، بالاستناد إلى المادة المتحصلة لديه عبر قراءاته، واستكشافه، ومقابلاته، وتجاربه وغيرها من الأدوات المستخدمة في البحث.

ولما كانت قدرة منهج البحث على تقرير خصائص الظاهرة المعينة، وجمع الحقائق حولها، وتحليلها وتفسيرها واستخلاص دلالاتها بالاستناد إلى الفكر والذكاء الذي يمتلكها الباحث فإنّ منهج البحث لا يعني (طريقة البحث) أو (أداة البحث) أو (خطة البحث) أو (قواعد البحث)، أو غير من المسميات التي جعلها بعض الباحثين غير المتجرين في قضايا البحث العلمي مترادفات ذات مدلولات متشابهة، وإنما يجب أن نضع في الاعتبار دائماً أنّ (منهج البحث) يعني على وجه الدقة النظام الفكري الذي تدار بموجبه عمليات البحث المختلفة، بما فيها (أدوات البحث)، أي أن المنهج يمثّل الدينامية التي تتفاعل بموجبها، أو من خلال مكوناتها سيرورة البحث المختلفة في إطار العلاقات التي تفرزها وظائف تلك العناصر، وتسمح بها حدودها، وضوابط فعلها وانفعالها.

والمقصود بالنظام الفكري الصيغة التي تمتزج فيها قناعات الباحث الفكرية والفلسفية مع مبادئه الأخلاقية، وخياراته السياسية، وأولوياته القيمية، وولاءاته المعرفية،

وخلفيته الثقافية. وليس جديداً القول بأنّ تصميم البحث يختلف باختلاف توازنات العناصر المذكورة أعلاه، وهندستها داخل المعادلة الشخصية التي يطوّرها كل باحث على طريقته الخاصة، وما تفرزه من دينامية فريدة تميّز الباحث المعين عن سائر الباحثين، والدينامية المقصودة هنا هي طاقة الدفع الذاتية المتجددة والمتولدة من تفاعل مكوّنات سيرورة البحث في ما بينها وتداخلها، وتظافرها، وتكاملها، وما تنتجه العمليات المذكورة من حركية داخلية تتناسب وتيرتها وشدّتها واتجاهها وقوتها وسرعتها مع خريطة تلك التفاعلات.

سابعاً: فروض البحث وأسئلته:

فروض البحث إحالة مؤقتة عن الأسئلة البحثية التي تطرحها مشكلة الدراسة، أو قضيتها، فهي محاولة أولية لتفسير الظاهرة المعينة، ثم اختبارها وتحليلها لبيان صحتها من عدمها، وقد تُغني فروض البحث عن ذكر أسئلته أو تساؤلاته التي تأتي عادة بعد الفروض.

إنّ الفرضية بصيغتها الأصيلة تؤدي أدواراً مهمة جداً وجوهرية في تعظيم مكانة البحث العلمي وإعلاء شأنه في المجتمعات المتقدمة، لكونها تشير إلى مساحة البحث، وأدواته الملائمة، وتبرمج هوامش التجديد والتقليد، والرفض. الامتثال، والإبداع، والمحافظة في العمليات البحثية بكاملها، فاتساع آفاق البحث، وجديته، وجديده رهن بالفروض التي يتبناها الباحث.

ولا تكون صياغة الفرضية علمية فاعلة إلاّ إذا توافرت فيها جملة من الحقائق منها الآتي:

1- صياغتها في شكل علاقة بين المتغير المستقبل، والمتغير التابع، أي قدرتها على تحديد المتغيرات التي تخضع لها الظاهرة المدروسة.

2- الا تكون ناتجة تحت ضغوط واقفة على الباحث تدفعه إلى صياغة فرضيات عادية تتنبأ بوجود علاقات معقولة بين متغيرات يقبل العقل العادي ارتباطها ببعض، أي تدفعه إلى صياغة فرضيات لا تخدش تنبوءاتها أو تصوراتها الوضع المعرفي السائد، والمشكلة

الفعلية تنجم بالضبط عن هذه القيود غير المكتوبة التي يفرضها لوبي البحث المحافظ على آليات التحكم عن بعد (عدم الموافقة على نشر مثل هذه البحوث) بصيغة الفرضية المقبولة لديه التي تتحكم بدورها فيما بعد بإجراءات البحث.

3- أن تكون معقولية منسجمة مع الحقائق العلمية المعروفة، وليست خيالية أو متناقضة.

4- اتساعها بالوضوح، وخلوها من الأحكام القيمية الذاتية.

5- قابليتها للاختيار والفحص والتحليل بخلوها من العموميات التي يتعّذر التحقق منها.

6- ارتباطها بالإطارين الزماني والمكاني لموضوع البحث.

7- استنادها إلى دراسات ومصادر سابقة.

8- صوغها بلغة واضحة محدّدة مفهومة، وأسلوب مختصر وشفاف وخال من الغموض واللبس.

9- قدرتها على تفسير الظاهرة المدروسة.

10- إمكانية الوقوف على بعض النتائج المتوقع الوصول إليها عبر البحث. أو التحقق منها بعد الفحص والتحليل والاختبار مع الإشارة إلى أن البحث الذي لم تتحقق فرضيته أو فرضياته، يفرز أيضاً من وجهته النظر العلمي نتائج إيجابية، لأنّه تقدّم بالمعرفة خطوة إضافية عندما أعلن أنه من غير المفيد الرهان على المنطق، أو المقولات أو الأفكار والمفاهيم التي اتبعتها الفرضية، أو الفرضيات غير المتحققة، والأسئلة التي طرحت وكانت الأجوبة عنها بالسلب لا بالإيجاب.

إن فحص الفروض واختبارها يهدف إلى إمكان قبول هذه الفروض أو رفضها، فالفروض تعدّ مقبولة إذا استطاع الباحث أن يجدد دليلاً واقعياً ملموساً يقف مع جميع المترتبات على هذه الفروض فالفروض لا تثبت على أنها حقائق، ولكنّ وجود الأدلة هو الذي يؤكد ما لهذه الفروض من درجات عالية من احتمال تحققها، وذلك لعدم وجود يقين مطلق، وتزداد درجة الاحتمال إذا تمكن الباحث من إيجاد عدد من الأدلة التي تؤيد الفرض.

إن التوصل إلى هذه الأدلة يعني أنّ الباحث استطاع أن يحضر الأدلة التي تمكنه من قبول الفرض، وبذلك يقدم الباحث تفسيراً صحيحاً، أو يضع حلاً صحيحاً للظاهرة أو المشكلة التي تناولها البحث.

ثامناً: توصيات البحث:

على الرغم من أن توصيات البحث لا تشكّل جزءاً أساسياً في البحث لجد أن أكثر الباحثين يلزم نفسه بذكر بعض الحلول والمقترحات في شكل توصيات عامة.

ولا ضير في ذكر التوصيات إذا كانت مرتبطة بآراء الباحث والنتائج التي توصل إليها، أمّا أن تذكر التوصيات بوضعها محطة أصيلة لا يصح أن ينتهي البحث دون التوقف عندها، فذلك أمر غير محمود، فكثير من التوصيات التي تحملها البحوث المنشورة في الدراسات الإنسانية خاصة منقطعة الصلة (في الغالب) عن نتائج البحث المعلنة بعد الانتهاء من معالجة المعطيات، الخاصة بالبحث.

إن بعض الباحثين قد اتخذ من ذكر التوصيات هواية مقصودة لذاتها، وليس لها علاقة بالظاهرة المدروسة، أو مساحتها أو زمانها، فهي لا تحمل حلّاً علمياً مقبولاً، ولا تقدّم علاجاً ثابت الفاعلية، وإنما تقدم (نصائح)، يمكن أن يكون احتمال فشلها، أو تعذر تحقيقها موازياً لاحتمال نجاحها إن لم يتفوق عليه.

إنّ في بعض التوصيات في نهايات بعض البحوث مغامرة بأقدار القرّاء متخصصين أو غيرهم، وهي ممارسة بعيدة عن السلوك البحثي المهني والعلمي الذي يلتزم بأصول البحث وأخلاقياته ويحترم طبيعة إجراءاته وحدودها.

اعتمدنا في كتابة الفصل بمبحثيه على جملة من المراجع القيمة نذكر منها:

1- الحارثي، إبراهيم: تعليم التفكير- مكتبة الشقري، السعودية/ 1424هـ.

2- الحارثي: إبراهيم: العادات العقلية وتنميتها لدى التلاميذ- مكتبة الشقري/ 2002.

3- شحاتة، د. حسن: البحوث العلمية والتربوية بين النظرية والتطبيق- مكتبة الدار العربية للكتاب- القاهرة- 2000.

4- عبيدات، د. ذوقان، ود. عبد الرحمن عدس، ود. كايد عبد الحق البحث: مفهومه، وأدواته، وأساليبه، دار الفكر عمان- 1417- 1997م.

5- البحث العلمي (مفهومه وأدواته وأساليبه) دار الفكر- عمّان/ 1417هـ- 1996م.

6- كيف وهيربرت ويلبرج، التدريس من أجل التنمية- مكتب التربية العربي- بيروت/ 1419هـ.

7- وهبه، د. نخلة: كي لا يتحول البحث التربوي وأصوله شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت/ 1998م.

الفصل السابع

رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات العربية

[بين الوعي الثقافي والتخصّص]

مشكلة البحث وأهدافه:

عندما نعود إلى البديهيات التي تقوم في أساس العلاقة بين الثقافة والـوعي نـصطدم بحاجز أبستمولوجي لا يقل صعوبة عن الحاجز الفلسفي، وهذا لمبرر بسيط يؤكد أن الثقافة ظاهرة أبستمولوجية أساسياً قبل أن تكون ظاهرة اجتماعية تتداخل فيها إشكاليات العلـم وإشكاليات الفلسفة على حدّ سواء، وتشترك فيها عناصر الموضـوعية واللاموضـوعية معـاً، أكان ذلك على صعيد الأفكار أم على صعيد المنهج، وسواء تمثلنا الثقافـة تمـثلاً أخلاقيـاً، أو نفسياً، أو أنتربولوجياً، أو اقتصادياً، أو غير ذلك من التمثلات المشروعة على صعيد الطـرح المنهجي، فإن عوائق علمية وفلسفية تطرح بشدة وهي العوائق الناشئة عن مجمل التـصورات القيمية التي تتضمنها كل بنية ثقافية، ومواقف الإنـسان مـن هـذه التـصورات، وبالمثـل فـإن الوعي بمختلف أشكاله (اللغوي، والأدبي، والجمالي، والفلسفي، والتاريخي، والديني...الخ) لا يعدو أن يكون والحال هذه ظاهرة ثقافية مركبّة تزاد على الظاهرة الأم (الثقافـة) قبـل أن تكون منهجاً نوعياً متمايزاً فاعلاً ومنفعلاً في المحيط الـذي يولـد فيـه. وعلـى أسـاس التـأثر المتبادل بين البحث العلمي والمحيط المادي والفكري الذي يصدر عنه أو فيه، يمكن فرز ما هو ذاتي محض من البحوث، وما هو موضوعي فاعل ومؤثر في حركـة المجتمـع وأوجـه النـشاط الإنساني جميعها(*).

وانطلاقاً من هذا فإن البحث يحاول تأشـير موقـع الرسـائل العلميـة علـى مـستوى الدكتوراه والماجستير في الدراسات الإنسانية من معادلة دقيقـة في عـالم البحـث قائمـة علـى (الوعي الثقافي) و(التخصص)، وتأشير هذا الموقع بعين بدوره علـى بيـان فاعليـة البحـوث الجامعيـة العليـا في المجـالات الإنـسانية مـن حركـة المجتمـع، وخططـه التنمويـة، والثقافيـة، والحضارية.

(*) ادرجنا هوامش هذا البحث في الآخر على منهج يعتمده بعض الباحثين من باب التمثيل.

أسئلة البحث: طرح البحث جملة من الأسئلة منها:

1- ما الثقافة، وما الوعي، وما التخصص، وإلى أيّ مدى يمكن للثقافة أن تكون واعية؟

2- وإلى أي حدّ يمكن للوعي أن يصير ثقافة فاعلة؟

3- أين يكمن وعي الثقافة في الأعمال البحثية للدراسات الإنسانية العليا؟

4- وما هي مؤشرات ثقافة الوعي من خلال الرسائل العلمية (الماجستير، والدكتوراه)؟

5- هل استطاعت هذه الرسائل إنعاش ما هو إيجابي في تراثنا؟

6- هل سادت فيها روح علمية في مادتها ومنهجها وأنماط تفكير أصحابها؟

7- هل صدرت أحكامها من نزعات عقلانية نقدية للذات الثقافية ولثقافة الآخر؟

8- وما هي مؤشرات الخلل الحاصل في هذه الرسائل التي يفترض أن تكون من أعلى مراتب البحث العلمي؟

9- وما هو المطلوب لكي تعمل الرسائل الجامعية عملها الفاعل في حركة المجتمع وخططه التنموية؟

منهجية البحث وإجراءاته:

اعتمد البحث منهجاً وصفياً تحليلياً قائماً على النظر في جملة من رسائل الماجستير والدكتوراه في بعض الجامعات العربية. التي قام الباحث بالعمل فيها.

حدود البحث:

أ- الحد الزمني: 1985م- 2000م.

ب- الحد المكاني:

- الجامعة المستنصرية- كليتا الآداب والتربية- بغداد.

- الجامعة الإسلامية- بغداد.

- جامعة قسنطينة- معهد الآداب واللغة- الجزائر.

- جامعة صنعاء- كلية الآداب.

- جامعة عدن- كلية التربية.

ج- الحد الموضوعي:

اختيار (60) رسالة للماجستير والدكتوراه مناصفة اختياراً عشوائياً في (الموضوعات الإنسانية أنجزت في تلك الجامعات في الفترة (1985- 2000م) في موضوعات (اللغويات/ الأدب/ التاريخ/ الفلسفة/ العلوم الإسلامية: الفكر الإسلامي والفقه.

المبحث الأول

بين الوعي الثقافي والتخصّص

بين الوعي الثقافي والتخصّص ما بين الموضوعي والذاتي، والعقل والنقل، بوعي الثقافة نجد أنفسنا مع باحث مبدع، وخلاّق يؤدي دوراً ملموساً وواضحاً في ربط الثقافة بالواقع الفكري، والاجتماعي والسياسي، والاقتصادي، والتربوي وغيرها من الأنشطة الإنسانية.

وتجد أنفسنا مع باحث مثقف مسؤول أمام الآخرين من أبناء شعبه متخذ من العقل أساساً للنقل، واع حديثه ومسؤولياته، وهذا هو المثقف الذي يمكن له القيام بوظيفته العقلية النقدية التحليلية، وغير مكتفٍ بالمستوى الذي هو عليه من المعرفة، أو التخصص الذي اتصف به من خلال ما تلقاه ذلك إلى تعميق معرفته بالثقافات الأخرى من جهة، وبالتراث من جهة أخرى، وبذلك يمكن له تحويل تخصصه إلى ثقافة واعية، على حوار دائم وفاعل مع الآخرين.

أمّا في التخصص فنجد أنفسنا إزاء مثقف عادي متخذٍ من النقل أساساً للعقل، وبذلك يكون من السهولة أن يتبع هذا المثقف سلطة الهوى، والزيغ، أو سلطة السياسة، أو الأعراف، أو التقاليد، وبذلك يحجر على حريته.

والتقدم والتغيير الحضاريان المأمولان في حجم الثقافة كمّا ونوعاً إنما يأتي عن طريق أولئك المثقفين الواعين المتحررين من أية ضغوط سلطوية، سياسية، أو مالية، أو دينية، وهذا هو الذي يفسّر لنا أن مثقف الأمس كان أكثر إبداعاً من مثقف اليوم لاسيما من حيث الكيف!.

إننا مع الباحثين الواعين لا نعكس الحاضر فقط، بل يمكن من خلال بحوث هؤلاء أن نتنبأ بحركة المستقبل. وهكذا يتضح أمامنا أنّ الجدل القائم بشأن علاقة الثقافة بالوعي لا يختلف في منحاه عن العملية الجدلية التي يفترضها الفكر، وبخاصة الفكر الذي يضع نصب

عينيه بلوغ العقلانية، وقد تتسم هذه العملية بالإضافة والإثبات تارة، وبالإحالة والدحض تارة أخرى، ويمكن استشفاف ذلك من خلال البدايات المنهجية الأولى كون الثقافة حاملاً للوعي وإطاره الموضوعي في الوقت نفسه، واعتبار أن الوعي انعكاس للثقافة السائدة في المجتمع، ومقوّم ذاتي لها في الظروف نفسه، وأمام هذه المنطلقات سرعان ما تطفو على السطح بعض الصيغ التركيبية الواجب فرزها وتحليلها.. وهي صيغ ازدواجية تنطوي على صيغة فلسفية تتفاوت فيما بينها من حيث الكمية والنوعية، وتتقابل من حيث المنهجية و الإدراكية. فعلى المستوى الكمي والنوعي نحصل على مركّب يتشكل من: الثقافة الواعية والوعي الثقافي. وعلى المستوى المنهجي والإدراكي نجد هذا المراكب يتكوّن من (وعي الثقافة) و(ثقافة الوعي)[1] وهذا ينطوي على كلّ التساؤلات التي قدّمنا لها وبعد تأملها أمكن لنا استبصار الحقائق الآتية[2]:

أولاً: أنّ معادلة الوعي الثقافي والتخصّص، ولنقل: ثقافة التخصّص هي معادلة الـ(أنا) والـ(نحن)، والـ(الآخر) في الحالة الأولى نجد الوعي حاملاً للثقافة، وفي الحالة الثانية نجد الثقافة حاملة للوعي، لكن صورة الحمل في الحالة الأولى يتبدّى الحمل توظيفياً تشريطياً اقترانياً، دلالياً؛ أمّا في الثانية فنجد الحمل تمايزياً، نوعياً، خصوصياً، اسمياً، بمعنى آخر صورة الحمل الأولى صورة مركّبة أنموذجية، عيانية، وصورة الحمل الثانية تكاد تكون مفردة، جزئية، انفتاحية، وهكذا لجد أننا في الثقافة الواعية إذ نضع مواصفات، فإننا نبحث عن معايير، عن محتويات، عن مسار تاريخي حضاري، بل عن خط إيديولوجي فاعل ومحدّد، أما في ميدان التخصص المجرد فنحن ننطلق من أرضية محدّدة ضمناً، بمعالم وأطر معرفية ثابتة نسبياً نبحث من خلالها عن الشرائط النظرية في المقام الأول. أنّ الوعي الثقافي يرتبط فيما يرتبط بالحياة كلها، ويعبّر عن محاولة منظمة، ومخططة لإعادة تشكيل الوعي الاجتماعي، والفكري، والسياسي، والاقتصادي، والتربوي للفرد، وسلوكه بشكل أساس وحاسم، على نحو يمكن

---

(1) تأملات في الثقافة والوعي، د. مختار بو لخماير، ص 10، بتصرف قسنطينة/ 1986.

(2) ينظر: نفسه.

من خلال خلق أفراد ذوي مستويات معنوية عالية، واحتياجات فكرية، لهم القدرة على التفاعل مع مجتمعاتهم بقوّة، معبّرين عن عالمها الفكري الذي تكوّن عبر التاريخ.

إن التخصّص إذا كان أسلوباً، أو نمطاً تخلفه الثقافة الواعية، فإنّه بهذا الخلق يحافظ الوعي الثقافي على ديمومته، ومعاصرته.

ثانياً: إنّ الوعي الثقافي هو البديل الذي يُطرح، أو يجب أن يُطرح نقيضاً للثقافة الرسمية أو التخصص المجرد، فالوعي الثقافي شموليّ، قادر على تأسيس حالة من (التثقيف العام) وهذا التثقف العام هو الذي يعبّر عن العالم الفكري للأمة بكل جوانبه، وظروفه، وأزمته. أمّا الثقافة الرسمية فهي ثقافة منبرية إعلامية، لا تؤسس وعياً في الناس، ولا يمكن لها بسهولة أن تدفع إلى تنوّع في المصادر الثقافية. واتجاهاتها، ولا يمكن لها أيضاً أن تقف بوجه مظاهر الاستلاب الفكري، والغزو الثقافي لاسيما في مرحلة التفاعل الحضاري، والعولمة الجارفة.

ثالثاً: أنّ الوعي الثقافي هو القادر على استبصار المشكلات الثقافية في مجتمع معين، وما يصاحبها من معضلات سياسية، ودينية واقتصادية، ونفسية، واجتماعية، وجمالية، وأخلاقية، وغيرها وبهذا الاستبصار يمكن للباحثين والعلماء والأدباء، والفنانين تأكيد الذات الحضارية، وتحسين الهوية التاريخية، أمّا التخصّص المجرد فهو في أحسن أحواله وأشكاله ومعطياته لا يتجاوز حدود (فقه الثقافة) أعني: الفقه بمدلولاته النظرية، وأطره العملية المجرّدة.

رابعاً: أنّ الوعي الثقافي إنّما يمثّل انعكاساً لوعي الباحثين بطبيعة مجتمعاتهم: قيمها، وعاداتها، وتاريخها، وإرثها، وأنظمتها الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وطرائق تفكيرها، وأساليب حياتها، إنه وعي بفكر الأمّة، وبمختلف مجالات القوة، والضعف فيها كلّ ذلك بالاستناد إلى رؤية منهجية ونقدية لكلّ الظواهر الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وغيرها، في حين لا يمكن للتخصّص وحده القيام بذلك. فالثقافة آدابها وفنوناً، ومعارف، علوماً لا تنتجها البحوث والدراسات المتخصّصة المجردة، ولا تنتجها المنابر الإدارية والثقافية

في غياب الوعي بالمجتمع، وظروفه، ومطامحه في الحرية، والمعرفة والجمال، وفي غياب الـوعي بالفكر وتطوره، وبمختلف جوانب الأصالة والإبداع فيه، وبتاريخه ومنطقه.

خامساً: أنّ الوعي الثقافي يعني- فيما يعني- الوعي بالتاريخ، ويدعو إلى تأكيد حاجاتنا إلى قراءة هذا التاريخ من جديد لنعي أحداثه، وثقافته، وشخوصه، ثم نفكر في كتابته، واعين موقفنا المعاصر، والضغوط المحيطة بنا وتجربة القرن بكلّ أبعادها المحلية والعالمية التي عشناها، ولا بُدّ للدراسات العليا، ومراكز البحوث العربية أن تلحّ في الأسئلة[1]:

- هل يتم لنا أن نقرأ تاريخنا الحقيقي؟
- كيف تأتّى للمؤرخين الصليبيين الانفراد بقراءة تاريخنا، وبالهيمنة بمدارسهم، وبمناهجهم علينا؟
- كيف استطاع المؤرخون الأجانب من لوي عنق تاريخنا بما يخدم مصالحهم؟
- ما الذي قدّمه (كارل بروكلمان) مثلاً الذي أدان كلَّ الحركات الإسلامية الصحيحة، وصوّر تصويراً مليئاً بالسموم، والالتباسات العقلية والتاريخية؟
- ما الذي قدّمه (غوستاف لوبون) صاحب نظرية (الإنسان غير الأوربي إنسان فردي) لا يمكن لها مهما بلغ نصيبه من العلم والثقافة أن تقترب رتبته الإنسانية من الإنسان الأوربي (سيد التاريخ)، وصانع ذرواته كلّها؟
- وكيف تنبأ (آرنولد توينبي) بعودة الإسلام إلى قيادة الحضارة استناداً إلى الفراغ العقدي والنفسي المحيط بالبشرية، ونبّه أوربا إلى الخطورة الماحقة إذا حدث هذا؟

إنّ الوعي الثقافي هو الذي يدعونا ويحفّزنا إلى تأكيد أنّ التاريخ فرع من فروع العلم بالعلم تتكامل المعرفة، ويتحد الإيمان ويسمو العقل ويصير التاريخ علماً لا نقلاً، فيه الإدراك والفهم والنظر، والتلقي، والتمييز، والموازنة، ويمكن من خلال ذلك المؤرخ أنْ يؤدي رسالته، ويبني مفاهيمه. ودون العقل والعلم لا يوجد إنسان مدرك، ولا يوجد جد وعي، ولا مسؤولية.

---

[1] ينظر: العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري- متابعة نقدية- د. عبد الحليم عويس، ص 119- 120/ الكويت/ هـ- 1981م.

سادساً: وعلى مستوى المنهج يشترط الوعي الثقافي ممارسة (راديكالية) إنْ صحّ هذا التعبير. ومعاينة شمولية على مستوى النظرية، وهذا من أجل خلق تكامل وظيفي أدائي بين الوعي من حيث هو بنية للسياق الحضاري والتاريخي للأمم والشعوب، وبين الثقافة من حيث هي أداة محّركة لعجلة التاريخ والتطوّر، وفي مثل هذا الأداء الوظيفي يكون الوعي الثقافي إدراكاً لمختلف التطبيقات، والملابسات التي ينطوي عليها أيّ منتوج ثقافي من شأنه أن يؤدي إلى فرز حقيقي ودقيق لعوامل الأصالة والمعاصرة فيه، فالوعي لا ينشأ من فراغ، بل ينشأ من جراء الأفكار، والمفاهيم والتصوّرات التي تثيرها عملية البحث الواعية للثقافة بوعي الثقافة ندرك أن قصر مفهوم العلم على هذا الواقع المادي لا يخلو من تعسّف. فالعلم في أسمى أشكاله "يمثل تجربة خاصة وجزئية من تجارب العقل الإنساني، لأنّه عقل خاص يتكوّن، ويتحدّد بثقافة العلوم، وهو بذلك- يختلف عن العقل بوصفه رؤية للوجود والأشياء"[1] بوصف آخر أن وعي الثقافة يدّلنا على أنّ (العلم) "طريقة للحكم يكوّنها الذهن من الصلة بالعلوم والحياة زيادة على ما يجمعه ويتمثله من كلّ الأفكار النيرة الخصبة التي انبثقت عن العبقرية الإنسانية"[2]، إننا نؤكّد أن لا تعارض بين العلم والعقل فالأول جزء من سيرورة إنسانية كبرى لا يقوم إلا بها، وهذه السيرورة الإنسانية هي الخاضعة لسلطة العقل في مفهومه العام.

وقد كانت الرؤية الإسلامية القويمة قائمة على تكامل الوعي والعقل والكون والعلم، وبهذا التكامل اتّجه العقل الإسلامي إلى النظر والعمل والتدبر في عالم الحياة، وما بعد الحياة وانفتحت أمام العقل الإسلامي أبواب التجريب والنظر، والتنقيب في سنن الكون وما في الكون، وبذلك تمكنت الحضارة الإسلامية أن تكتسح حضارات، وأن تجذب إليها الأمم، وأن تكتسب حضارتها الخلود والبقاء.

---

(1) العلم والدين: آميل بوترد، تر. د. أحمد فؤاد الأهواني، ص 415.

(2) نفسه: ص 280.

المبحث الثاني

الرسائل الجامعية: سمات وظواهر

بعد تأمّل الرسائل التي مثّلت عيّنة البحث تأملاً متأنياً هادفاً وهادئاً بدا لي أنّ (54) أربعاً وخمسين رسالة من الرسائل الستين المفحوصة لم يتوصل أصحابها إلى صيغ علمية دقيقة تأخذ نتائجها طريقها إلى القبول من خلال الاحتكام إلى منطق علمي معاصر، ولا يمكن لمثل هذه الأعمال البحثية أن تحافظ على ديمومتها، وتحقيق أصالتها وفعلها في الآخرين، بل أنّ بعضها لا يعرب عن مصداقيته تجاه الحاجات المتنامية للمجتمع بفئاته الكثيرة، وفي نزوعه الهادف نحو تحقيق المثل العليا للمجتمع الإنساني المعين، ولذلك ظلت حبيسة صفحاتها من غير أن يرى النور أكثرها، بل أنّ منها رسائل رحل أصحابها عن الحياة من زمن ليس بالقصير. ولا تزال هي على الرفوف، بسبب ما انطوت عليه من سمات عامة وخاصة معوّقة، ومعطّلة يمكن بيانها بالآتي:

أولاً

السمات والظواهر العامة

أولاً: الثقافة الجاهزة:

خلص البحث إلى أنّ أغلب الرسائل المفحوصة تمثّل (ثقافة جاهزة) ومباشرة تقترب إلى حدّ (الثقافة المنبرية) أو الخطابية)، أو الإعلامية الرسمية وهذه الثقافة الجاهزة لا تقوى على البقاء والصمود، ولا تستطيع تلبية أدنى الحاجات الاجتماعية والثقافية للشعب، وإذا كان بعضها قد نجح في تشخيص مواطن الخلل فإنّها لم تستطع أن تطرح بدائل نظرية لمقاومة تيارات الاستلاب الفكري، والغزو الحضاري. وقد اتخذت هذه الثقافة الجاهزة أنماطاً متعددة

سواء على مستوى المنهج، أو التصوّر. ففي الوقت الذي نرى فيه أنّ التقدم المذهل الذي أصاب الغرب، وهيّأ له الانتصار الساحق في مختلف الأنشطة الثقافية والمعرفية والعلمية إنّما تمَّ بالاستناد إلى معطى التنوّع لدى باحثيه، ومثقفيه ووعيهم بضرورة الانبعاث، والتحوّل، وامتلاكهم وسائل التنمية الثقافية، والحضارية، والعلمية، ظلّ عالمنا العربي، وما يسمّى بالدول النامية بعيداً عن ذلك كلّه، فلم يجد أمامه سوى أنماط جاهزة، ومناهج مكتشفة، ولهذا ذهب أكثر الباحثين في تقمّص الأفكار والمفاهيم الوافدة من خلال اجترارها، وتقليدها، واتباع السائد منها من غير استقراء ملامحها، وأبعادها، وأهدافها[1]، حتى انزلق بعضنا إلى متاهات تلك المفاهيم، والأفكار، حاملاً أسيافه على رقاب تراثه، أو تاريخه، أو على الإرهاب)، ليكتشف بعد فوات الأوان أنّه الضحية الأولى له. وأنّ هامة تراثه أطول من هامته عطاءً.

ثانياً: غياب العقلانية:

إنّ أي منتوج ثقافي أو معرفي لا يكون عقلانياً إلاّ أنْ يكون هناك تحكّم فردي واضح بالكامل بعناصر العقل في إطارها المقصود[2] فالحقائق والتجارب ليست هي نفسها بكل شخص، وفي كل ظرف، أو مكان، فما هو منطقي لفرد غير منطقي لآخر، وما قد يكون عقلانياً لباحث، قد لا يكون كذلك لباحث آخر، وهنا يمكن للمنهج والهدف أن يحسما التضية وبهما يمكن أن نشير للعمل بأنّه موضوعي، وصحيح، ويمثّل الحقيقة، لاسيما إذ أدخلنّا في الاعتبار الالتزام العقائدي في مجالات الفقه، والمنطق، والأخلاق، وعلم الجمال والحقائق المطلقة الخاصة بالكون، وخالق الكون ومبدعه، ومصير الإنسان.

---

(1) ينظر: الغرب والإسلام اضداد ام انداد. د. إسماعيل نوري الربيعي، ص 9. مجلة التسامح (5) عُمان/ 1425هـ 2004م.

(2) أثر التحديث الغربي في الهوية في مجتمع إسلامي- الإمارات العربية المتحدة- (حالة دراسة) د. إبراهيم راشد الحوسني، ص 164/ الشارقة/ 2001م.

إنّ ما لحظناه في أكثر الرسائل هو أنها في خضم جملة من الاعتداءات الثقافية، والفلسفية، والفقهية، والتاريخية، والنقدية، وهذه الاعتداءات تحمل معها كلّ المتناقضات التي التصقت بها في منابتها إلى درجة يمكن القول أنّها غارقة في حيّز يمكن تسميته (مصب المتناقضات)، وذلك لتعاملها مع الظواهر، والمفاهيم، والأفكار، والدينية، والجمالية تعاملاً بدائياً، وسطحياً، ناجماً عن (عدم الوعي الثقافي) الذي كان من شأنه أن يطوّر الدال على حساب المدلولات، أو بعبارة أخرى أن يعمل على شيوع التسميات والمصطلحات، وتغيب المفاهيم والمدلولات.

ثالثاً: الكاريزمية:

وتبعاً للفقرة (ب) نجد تصادماً حاداً بين العقلانية والخضوع الذي يُعدّ من أبرز سمات (الكاريزمية)[1] التي تقوم على الطاعة والولاء بكلّ القواعد والتقاليد المعهودة من غير تلمّس أسبابها، ونتائجها، وأدوارها في الفعل الاجتماعي، وقد امتدّ هذا الولاء إلى الأشخاص بحيث يُنسب لهم صنع التاريخ، (البطولة، والقداسة التي تصل إلى حدّ التأليه)، وبذلك يقع التصادم بين العقل والعواطف، وحينذاك يتلّبد الذهن، وتلغي موجودية الإنسان الباحث نزولاً عند جبروت تلك التقاليد، والولاءات، والشخوص، ثم نألف أنفسنا أمام بحوث نرجسيّة (دوغمائية)، أبرز ما فيها تقديس الماضي، والاعتقاد المطلق بأنّه كلّه آيات من الجمال، والخير، والحقائق التي لا تشوبها شائبة، فهو (إيقونات) مقدّسة، وحقائق مطلقة وبذلك مجافاة للعقل وللحقائق العلمية، وتعطيل لكلّ نزوع تنويري، أو نقدي موضوعي يحاول الانفتاح على الثقافات الأخرى لنأخذ منها ما يفيد، ونطرح مالا يفيد والحل يكمن في "قدرتنا على دمج رأس المال الثقافي والعلمي والمنهجي الذي وصلت إليه الإنسانية في صلب مسارنا، مدمجين الأصيل بالمصير بدلاً من انقسامنا بين أنصار للأصيل بلا مصير، أو انشغالنا بالمصير بلا أصيل تلك هي المحصلة الحضارية التي نتوخاها"[2] والتي يمكن من خلالها

---

(1) ينظر: نفسه.

(2) المسلمون والعصر (كتاب العربي) الرابع عشر، د.محمد الرميحي ص/ الكويت/ 1987م.

استجلاء كلّ الحقائق الفاعلة في حضارتنا وإرثنا، وطرح كلّ الشوائب عن ذلك الإرث الحضاري الضارب في أعماق التاريخ.

رابعاً: الهوية والموقع في عالم العولمة:

إنّ الإجابة العلمية المتأنية الدقيقة على ما ورد من أسئلة في الفقرة (ب) هي الطريق الأمثل للحداثة التي توصلنا بأنفسنا، وبأوطاننا، وتجعلنا فاعلين ومنفعلين عن وعي في حركة الثقافة، والتنمية، والتقدم في بلداننا، وفي المجتمع الإنساني عامة، ومن غير ذلك ستبرز بيننا متاهات من الجدل العقيم حول (هويتنا)[1] و(موقعنا) من هذا العالم المتحرّك إلى الأمام باطراد، عالم (العولمة)، وتنافس الحضارات، وما أفرزه هذا العالم من تحديات فرضتها على طبيعة العلاقات السائدة داخل الأمم والمجتمعات، وتهديدها للإمكانات والبواعث الذاتية، إذ لم تقف أنساق العمل العولمي عند حدود الواجهة الاقتصادية، بل أخذت العولمة تفرض وجودها على قطاعات وحقول متعددة منها المعاهد، والمؤسسات العلمية والمعرفية، بحيث بدأ الزحف الذي تفرضه آلة الاستهلاك التي تسللت إلى تلك الحقول حتى غدت جزءاً أصيلاً من مكوّنات التفكير الذي شغف بكلّ الأيقونات التي تقدّمها أدوات الإنتاج الرأسمالي القائم على حرية التنافس، واقتصاد السوق، بحيث صارت الحاجة تدفع إلى حاجات، وكلّ شيء يفرز متمّمة، أو متمماته في تنام بكتيري[2] يأخذ أو يحاول أن يأخذ الإنسان بعيداً عن أية أصالة.

وفي خضم البحث عن الهوية تتعدّد التيارات الفكرية العربية والإسلامية، وتتسابق، كلٌّ يحاول أن يقدّم رؤاه، وتصوراته حول طريقة (الهضم) والوعي الناجز به في حين ينتظم الغرب على اختلاف مجتمعاته ورؤاه وثقافاته لتقديم مشروعه الفريد حول توحيد العالم تحت

---

(1) أثر التحديث الغربي في الهوية، ص 11.

(2) الغرب والإسلام: أضداد أم أنداد، ص 84.

نمط ثقافي واحد هو العولمة[1]، مستفيداً إلى أبعد الحدود من الثورة المعلوماتية والاتصالية، وجميع المرتكزات السائدة والقائمة على الثروة، والمعرفة والقوة الجامحة[2].

وعلى النقيض هناك جهة مقابلة لأمم وشعوب لا تمتلك إلا أدوات فعل قائمة على العواطف، أو مستندة إلى معطيات الماضي، ناسية أنّ الماضي لا يعاد وإنما يُستعاد، وهي غير قادرة على استعادته بعد امتلاكها وسائل هذه الاستعادة، ومن هنا يحدث التداعي والانكسار واليأس في الذوات.

خامساً: الإسراف في تلقي الحداثة:

أغلب الرسائل التي أطلعنا عليها جعلت من النظر في معطيات الحداثة الثقافية والتربوية نقطة الانطلاق في تثبيت المفاهيم والأفكار التي أفرزتها تلك الرسائل، بما أشّر عندنا انّ اصحابها جعلوا مّما يسمّى (حداثة)، أو (تحديثاً) ابتكاراً من العصر الراهن لابدّ من الأخذ بطروحاته بوصفها من المسلمات التي لا تقبل الطعن، وقد فات الباحثين جملة من الحقائق يمكن إيجازها بالآتي:

1 - انّ الحداثة هذه لا يمكن قبولها على أساس أنّها وليدة القرن الذي نعيش، وأنّها ابتكار غربي محض، ولكن يمكن قبولها على أساس أنّها نتاج ثقافي، ومعرفي، وعلمي أسهمت كل الحضارات الإنسانية السابقة في تكوينه من خلال مجمل الابتكارات، والنظم، والمفاهيم، والفلسفات الأساسية والجوهرية[3].

2- لا بدّ لنا ونحن ندرس الحداثة، من تحديد طبيعة (التحديث الذي نقصد). ومن أي منظور نرصده؟ وهل نحن قادرون فعلاً على تبنيه؟ وما العوامل التي تعيق طريقنا إلى هذا التحديث؟ وهل عندنا فعلاً مشروع حقيقي محدد، وموصوف، وممنهج لهذا

---

(1) في تمرحل التاريخ، مهدي كامل، ص 33/ بيروت/ 2001م.

(2) الغرب والإسلام أضداد أم أنداد ص 84.

(3) ينظر: حركة الخطاب الفلسفي المعاصر في لبنان وإشكالية العقل. د. سهيل فرح من أعمال المؤتمر الفلسفي العربي الثاني- عمّان/ 1987م.

التحديث؟ وهل نستسلم لواقع الهيمنة وسيطرة الثقافات والوافدة بسهولة؟ وما الأسلحة التي يجب علينا امتلاكها للوقوف بوجه هذه الهيمنة؟

سادساً: المزاوجة بين التراث والحداثة:

رأى الباحث أنّ الرسائل والأطاريح التي حاول أصحابها المزاوجة بين التراث والحداثة لم تفرز نتائج ذات بال لأنها لم تستطع أن تهضم الحداثة، ولم تتمكن من أبعاد التراث بكلّ مفاهيمه، وأفكاره، وإيجابياته، وسلبياته. لقد دخلت تلك الرسائل والأطاريح عالم الحداثة من غير أن يتم لأصحابها تحديث أفكارهم، ولا تحديث للعقل العربي اليوم إلاّ بالارتكاز على أهم منجزات العصر في العقل والعلم، و لا دخول في دائرة الفعل الحضاري الراهنة ما لم يتوافر مشروعاً نهضوياً محلياً يكون العقل العربي مبدعه مرتكزاً على ثلاثة أبعاد هي[1]:

الأول: إنعاش ما هو إيجابي في تراثنا.

الثاني: سيادة روح علمية عصرية في أنماط تفكيرنا، وسلوكياتنا، فقد أصبح كلُّ شيء في الحياة علماً، والعلم ليس أبنية شاهقة، أو سيارات فارهة، أو كماليات لا نحسن صيانتها، فلا نكون أمّة عالمة إلا إذا ارتضينا العلم منهجاً في الحياة، وأمّنا بأنّ "الثورة وسيلة تحضّر لا وسيلة تحذير"[2]، ولا خوف من الثورة إلاّ إذا استطاعت أن تحوّلنا إلى أم منتجة، مستهلكة، خاملة، فالثروة من غير علم، ولا تنظيم ستكون نقمة.

والثالث: سيادة نزعة عقلانية نقدية لذاتنا الثقافية، ولثقافة الآخر.

سابعاً: الاستغراق في إنتاج التراث:

أفضل موقف للرسائل التي أطلعانا عليها من التراث تمثلت في الاستغراق بإنتاج التراث من غير محاولة لاستعادة اللحظة، والحال، والموقف الذي أنتج فيه التراث، استعادة

---

(1) العقل المسلم في مرحلة الصارع الفكري- متابعة نقدية- د. عويس- ص 115.

(2) نقد الموقف التراثي، الطابع الهراغي، ص 2 الصحافة- قسنطينة- العدد 273 1989م.

على مستوى التحدّي الراهن من أجل ما ينظر، ويكافئ، وينسجم مع لحظة إبداع التراث السابق.

لقد حاول أكثر الباحثين تقليد المنتج التراثي من جهة؛ أو محاولة خلق نوع من المقاربة معه، والمشاكلة مع المنتج المعاصر في الثقافات الأخرى من جهة ثانية. والاستغراق في إنتاج التراث؛ أو تقليد والإمعان في المقاربة، أو المشاكلة مع الإنتاج المعرفي المعاصر، هو الذي أنسانا بعث القدرة في ذواتنا على إنتاج ما هو خاص بنا،، وكسر حصار (المنتجات) التراثية العربية والحداثة المعاصرة على السواء. والذهاب إلى ينبوع القدرة على الإنتاج حيث اللحظة النهضوية الصحيحة التي يمليها توجيه المسار الفكري والثقافي الصحيح لأوطاننا ولأمتنا، وهذه اللحظة النهضوية لا توجد في فراغ، بل توجد بالإنسان الذي يدّعي ويحاول المقرب منها، ويريد أن يكون له فيها حضور مؤثر.

ثامناً: اعتماد مبدأ التبرير:

قامت أكثر الرسائل والأطاريح على مبدأ التبرير، وإلقاء المسؤولية على الآخرين، وهذه من أبرز سمات العقلية المتهربة من المراجعة، والنقد، والخوف من المتغيرات، ومن هنا ألفينا مجموعة من الباحثين قد انطلقوا في إنتاج بحوثهم من موقف عاطفي بحت، وحاول بعضهم التصدّي للقضية المدروسة من وجهة نظر ميكانيكية أخضعت الأحداث، والظواهر المدروسة إلى منطق خاص، وخاص جداً يقترب إلى حدّ بعيد مّما يمكن تسميته بـ(منطق نمط الإنتاج)، ومن خندق فكري مسبق، وبهذا المنطق الخاص، والخندق الفكري المسبق غابت عن البحوث مراحل تحوّل المعلومات المدروسة والخاضعة للتحليل إلى معرفة ومفاهيم فاعلة تدلّ على اكتشاف ما هو جوهري وناجز، وقد أدّى خضوع بعض الباحثين لمبدأ التبرير إلى نسبتهم ببعض (الثنائيات المفتعلة) التي تبدو أول وهلة لبعضنا أنها كائنة في صلب ثقافتنا غير أن تأمّلها بوعي يؤكّد أنّها علاقات جدلية مع بعضها متكاملة وفاعلة، وملتحمة الأهداف والغايات ومن هذه الثنائيات نذكر: ثنائية النص والعقل، الإيمان والعلم، السياسة والأخلاق، والترات والمعاصرة، وغيرها مّما سنأتي على بعضه في مواضعه من البحث.

تاسعاً: النقد غير المنهج:

ليس هناك أخطر من نقد لا يستند إلى رؤية شمولية موضوعية، وكلّ نقد لا بدّ أن يعتمد على منهج متكامل يمثل بوصلة دقيقة تشير إلى الضوء وتتجه إلى الحقيقة دائماً، فما جدوى نقد هدفه تثبيت الموجود؟، فكلُّ نقد لا يسهم في رسم معالم المستقبل هو نقد غير ذي فعل، وكلّ فكر لا يمتلك ما يجعله مناقضاً للأفكار الصدئة هو وبال على وعي الناس، وكلّ نقد يتحدّث في مشكلات مفترضة لا مشكلات عينية قائمة فعلاً هو نقد لا يتجاوز حدود صاحبه إننا بحاجة إلى بحوث تقترح علينا تحويل السّجال برفض كل القراءات ذات البعد الواحد، وتحويلها أو تعويضها بقراءات شاملة مجرّدة عن الهوى، والتعصب، والتطرف، وبذلك نستطيع النهوض والتقدم متسلحين بكلّ نقاء الموروث، وعالمية المعرفة.

عاشراً: غياب الحياد العلمي في نقد المواقف:

أغلب ما أطلعنا عليه قراءة باتجاه واحد تعطي النصوص والمقولات التراثية كلّها صفة القداسة المطلقة، وتحمّل الحاضر وحدة انكسارات الأمّة وانسحابها عن ساحات التقدم. وهي بذلك تجتزئ التراث. وتكيل منه بحسبان كلّ ما لا يتماشى مع الرؤية الرسمية لرجال الدين والسياسة، وتحاول تماشياً مع المؤسسة الرسمية، سياسية، أو دينية أن تزيح كلّ التيارات والأفكار الأخرى الموصوفة بالعلمانية، أو العلمية، أو الهدامة، أو المارقة، وتلقي عليها تبعات التخلّف والتأخّر. والمطلوب أنّ قراءة التراث يجب أن تنطلق من سؤال الحاضر: كيف السبيل إلى بناء مجتمع يتجاوز سلبيات الماضي والحاضر معاً؟ إننا حين نقرأ التراث فإنما نجعل من الحاضر متسائلاً الماضي عن سبب الهزائم التي ضربت أعناقنا ونفوسنا، والهزائم هذه كثيرة، قد تكون تخلّفاً، وعجزاً عن اللحاق بالآخرين، وقد تكون هزيمة عسكرية وعلى هذا فإنّ فهم التراث بمظاهره، وتجاربه الإيجابية، والسلبية، بإنتاجه الروحي، والفكري، والمادي أيضاً، بركوده، وانتعاشه هو الكفيل بالفعل فيه، أمّا تحجيم التراث وتحويله إلى مجرد مخزون ديني وأخلاقي والادّعاء مع ذلك بالإلمام به ففهم لا يليق بمن رام البحث في موضوعات حساسة من غير أن يتمّ له ربط ما يتناوله من قضايا ومسائل بأبعادها

الزمانية والمكانية. لقد مثّل الإسلام ثورة كبرى ليس في ذلك خلاف ومثّل الفقهاء المسلمون خاصة أوجهاً للتشريع الدقيق الذي صبَّ في تنظيم حياة الناس، واليوم ونحن مع الشريعة، والقوانين الوضعية، والمؤسسات المدنية، لا بد لنا من البحث في إبراز خطوط التلاقي بين الشريعة وهذه القوانين والمؤسسات، والدساتير الأرضية، وذلك لا يتمّ بلوي عنق الشريعة لجعلها ملائمة عنوة للمفاهيم الحديثة، ولا العكس، وإنّما من خلال منظومة فكرية لها مرجعيتها، وفعلها في الوقوف بوجه منظومات فكرية أخرى لها تماسكها وفعلها أيضاً، ويجدل هذه المنظومات يمكن أن نمسك ما نريد. إننا بحاجة إلى تفكيك الظواهر السلبية في حياتنا وتجاوز كلّ مقومات تقدّمنا، ولا يجوز لنا أن نجابه الفكر التراثي بأدواته نفسها فإن من كانت وجهته المستقبل عليه أن يفهم الأوجه والاستراتيجي[1]، وأن يمتلك منهجاً نقدياً سليماً لا يحتاج في ضوئه إلى النبش بالأدوات التي ينقدها نفسها. وإنما يتجّه إليها مجرداً من أي منزع ذاتي، أو عاطفي، أو طائفي، أو قومي.

حادي عشر: الإسراف في التعميم:

غلب على نتائج أكثر الرسائل والأطاريح مبدأ التعميم، وإطلاق الأحكام والتفسيرات الذاتية، العائمة، والفضفاضة، والجافية لروح البحث العلمي الصحيح من غير وجود سند علمي يؤكّد شمولية تلك الأحكام، وبهذا تغيب (البحوث النوعية) إنّ الهدف الأساسي للرسائل الجامعية لا يقتصر على التعميمات فحسب بل كسب المهارات المتعلقة بأجراء التصميمات والدقة في جمع البيانات وتحليلها، والتوصل إلى الحقائق الموضوعية، والتقيد بمعايير كتابة الرسائل العلمية المتمثلة بالموضوعية، والدقة، والشرح المقتصد، والملاحظة والتجريب، والاستدلال المنطقي، والاستنتاجات الجامعة[2].

---

(1) التوجيه الجامعي نحو البحوث النوعية، د. علي هداد رهيف- الجامعة إبريل 2004م.

(2) الاتصال أساس النشاط العلمي، وليم د. جاذبي، تر. د. حشمت قاسم ص 130- الدار العربية للموسوعات- بيروت/ 1983م.

وعلى هذا فنحن لسنا بحاجة إلى بحوث معيارية، أو وصفية، أو تاريخية بحثه تحاول أن تجد حدوداً، أو تصف أحوالاً، أو تسرد وقائع منطلقة في كل ذلك من (ماذا) (What)، وإنما بحاجة إلى بحوث قادرة على تفسير الظواهر، وردّها إلى أسبابها، وعواملها الحقيقية، وما ارتبطت به من ظواهر أخرى وذلك لا يتمّ إلاّ باعتماد (كيف) HOW؟

ثاني عشر: ادّعاء الأصالة:

على الرغم من أنّ أكثر الرسائل والأطاريح التي مثّلت عيّنة البحث قد أديرت حول ظواهر، أو مفاهيم، أو أفكار، أو أحداث، أو قضايا منقولة، أو منسوخة عن بعضها، وعلى وفق خطط بحثية مكرّرة، ممّا جعل نتائجها عديمة الجدوى، مفتقرة إلى معلومات جديدة، تمتّ البرهنة على صحتها بنظر علمي سديد حاول الربط بين (الكمّ) و(الكيف)، أو القيمة. وإنّ هذه الرسائل لم تنبئ عن كونها حلقة في سلسلة من البحوث السابقة المتنامية النتائج صعوداً، ولم تحدّد معالم مسار ثقافي، ومعرفي جديد على جبهات البحث.

أقول على الرغم من هذا وغيره كثير، وفي غياب مظاهر المهارات والقدرات البحثية فإنّ كلّ الرسائل والأطاريح قد زعمت أنها (أصيلة) لم تُسبق!! إنّ أصالة جهد الباحث لا تضمن له الاعتراف بمكانته، ففي النشاط العلمي لا يمكن الاعتراف رسمياً، وعلمياً بأسبقية أصالة البحث والباحث إلاّ إذا كان الباحث هو أول من كشف النقاب عمّا لبحثه من أهمية في الأوساط العلمية[1]، وعليه أن يثبت وثائقياً أنّه أحرز قصب السبق في الوصول إلى نتائج محدّدة كان هو أوّل من أدركها، وأوغل في البحث عنها مكتشفاً الجوهري، والغائب، والناجز منها.

---

(1) الفكر الديني في مواجهة العصر (دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير في العصر الحديث، د. عفيف محمد الشرقاوي، ص 385- ط2- دار العودة- بيروت- 1979م.

ثالث عشر: سلامة اللغة:

إنّ الوعي الثقافي إذ تتنوع روابطه وعلاقاته مع غيره من الظواهر الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية، والجمالية، والتربوية، وميكانزمات الوعي نفسه فإنه يبدأ من الذات ويتوجّه إليها، ولا شيء أقرب إلى الذات من اللغة أولاً والفكر ثانياً، وكلّ وعي ثقافي لا يعكس بصدق وموضوعية أبعاد اللغة لا يعدّ وعياً حقيقياً، وإذا كانت اللغة تعرب عن نفسها في الأبعاد النفسية، والاجتماعية، والأخلاقية، والتربوية، والجمالية، والاقتصادية وغيرها، كان لا بدَّ من أن تكون اللغة هي الحلقة الجوهرية في الربط بين مضمون الوعي، ومستويات الوعي من جهة، وبين أشكال الوعي ومناهج الوعي من جهة أخرى.

إنّ اللغة هي الوسيلة الوحيدة القادرة على أن توصل الإنسان بنفسه وبغيره وتفتح عوالمه المغلقة ليقول أشياءه بوضوح، أنها تربط الإنسان الباحث بوعيه الثقافي، وزاده الحضاري، وممّا يؤسف له كثيراً أنَّ أغلب الرسائل الجامعية على مستوى الماجستير والدكتوراه لم تفصح عن تمكّن أصحابها من اللغة السليمة (ولا أقول الفصيحة)، ومن غير لغة سليمة لا يكون هناك فكر.

ثانياً

السمات والظواهر الخاصة

أولاً: الدراسات اللغوية:

لعلّ من أبرز الظواهر التي لحظناها في هذه الدراسات هو عدم الربط بين القوانين والقواعد اللغوية والدلالة من جهة، وعدم الربط بين الدراسات اللغوية والأدبية من جهة أخرى فكم دراسة أجريت في أقسام اللغة العربية عن القرآن لم تستطع تقديم أي لون من التفسير الإعجازي اللغوي، أو النفسي التي يوضّح التجارب النفسية الكبرى في جوّها الإنساني العام. ثم في جوّها الاجتماعي ثمّ في جوّها النفسي الفردي ومن خلال اللغة؟

وكم رسالة استطاعت أن تثبت أنّ القرآن يصوّر من أحوال الخلق يوم النشور بما يتفق مع طبيعة النفس البشرية الموزّعة بين الخير والشر؟ وكم رسالة استطاعت الربط بين الإيحاء النفسي وظواهر لغوية معينة، كالتكرار، والتقديم والتأخير، والحذف وغير ذلك ممّا تبيحه قواعد اللغة وأنظمتها؟

وكم من الباحثين الذي دسّوا أنوفهم في مجال التفسير اللغوي القرآني فلم يخرجوا عن استدعاء ذوق الفطرة العام من غير أن يحاولوا ربط هذا التفسير بطبيعة اللغة العربية أنظمتها وقوانينها؟

لقد فات هؤلاء الباحثين المزج بين الثقافة النفسية والثقافة اللغوية من جهة وبين الثقافة النفسية التي تستوحي الفطرة الإنسانية والذوق العام، والنشاط الوجداني على اختلاف صوره، والثقافة النفسية التي تفترض أفكاراً معينة عن طبيعة الظواهر المرضية، وغير المرضية، وهي أفكار تقبل النظر، وتلقي بعض المعارضة. والثقافة الأولى عامة وهي التي يمكن أن يرتبط بها تفسير النّص القرآني بلا تحرّج، أما الثقافة الثانية فإنّها لم تزل في دور المناقشة، ومن ثم لا يجوز إقحامها في مجال التفسير القرآني"[1].

وفيما يخصّ الدراسات اللغوية العربية التي حاول أصحابها المزاوجة بين المفاهيم والأفكار والمناهج التي تمخّضت عنها المدارس اللغوية الأجنبية المعاصرة والدرس اللغوي عند العرب رأينا أنّ نتائج هذه المزاوجة لم تفرز إلاّ مواقف غائمة حيناً، ومتطرفة حيناً آخر إذ أجهد أصحابها أنفسهم في تقرير أنّ كل ما تمخض عنه الدرس اللغوي المعاصر في الغرب إنّما هو مسبوق بما قدّمه اللغويون العرب المتقدمون، فالبنيوية التي نادى بها سوسير وروّاده قد سبقت بجهود الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. 1750هـ) وهو يضع علم العروض، وأن (النظرية التوليدية التحويلية) لجومسكي مسبوقة بجهود الأمام عبد القاهر الجرجاني (ت. 427هـ) في نظرية النظم.

---

[1] إنتاج معرفة بالنص، حسين خمري، ص 6- النصر- قسنطينة- الأحد 11 جانفي/ 1987م.

صحيح أننا قد نجد في بعض آثار اللغويين العرب القدماء ومصنفاتهم القيمة كثيراً من الأفكار والقضايا اللغوية التي تطرح اليوم، وبشكل حاد في الدراسات اللغوية مّما يمكن استحضارها بكلّ ثقة وإكبار لأصحابها، ولكنّ هذا لا يجيز أن نقول: إن الخليل، أو سيبويه (ت. 180هـ) قد فطنا إلى المنهج البنيوي، ولا يجيز أيضاً القول إنّ الجرجاني والزجاجي (ت. 337هـ) وابن يعيش (ت. 643هـ) قد فطنوا إلى المنهج التوليدي بكلّ دقائقه، أو أنّ الجرجاني قد طرح كلَّ الإشكالات التي تطرحها الأسلوبية، أو الإنشائية اليوم. فمثل هذه الأقوال تسيء للتراث من جهة، وللمعاصرة من جهة أخرى، فلكلّ مدرسة لغوية وفي حقبة معينة من التاريخ مفاهيمها، وآراؤها، ورجالها، ومريدوها. ونعتقد أيضاً أنّ القراءة المفيدة للتراث اللغوي العربي لا يمكن أن تتمّ إلا من خلال توجّه منهجي واضح سمته الحداثة والمعاصرة، ولا يمكن أن تكون قراءة ذلك التراث قراءة جديّة إلاّ إذا انطلقت من الحوار الهائل القائم اليوم بين مختلف التيارات اللغوية البنائية، والشكلانية. والتوليدية، والتوزيعية والسلوكية، والاجتماعية، ولا يمكن استحضار النظريات اللغوية العربية استحضاراً مجدياً ونافعاً من خلال قراءة تقليدية أحادية البعد، وإنّما من خلال مشروع عربي كبير يتبناه باحثون تمكنوا من صهر معطيات التراث ومنطلقاته الفكرية التي أقامته في دواخلهم، وتمكنوا في الوقت نفسه من هضم المعطيات اللغوية المعاصرة، وبهذا يتمّ لنا تأسيس حوار خصب ومثمر بين التراث والمعاصرة متجنبين أمرين:

أولهما: تجنب خطر السلفية الشاخصة أبصارها في الماضي دون غيره.

وثانيهما: تجنب خطر الاستلاب الذي يؤدّي- وقد أدّى- ببعض الباحثين إلى تطبيق النظريات اللغوية الأجنبية على اللغة العربية بما أدّى إلى تنوع من (الدمجة، والضرب على الأوتار الحساسة التي ينفعل لها الآخرون. إنّنا لا نرى فرقاً بين الرافض للمعاصرة في تعامله مع التراث، وبين من يحاول أن يردم دغدغة العواطف بالقول إنّ كل المستحدثات، والمفاهيم، والأفكار، النظريات اللغوية المعاصرة لها وجودها المتكامل، والواسع، والكلّي في الدرس اللغوي العربي، فهذان موقفان خطران بالدرجة نفسها دائماً.

ثانياً: الدراسات الأدبية والنقدية:

لحظ الباحث في كلّ الدراسات التي أديرت في هذا المجال جملة من السّمات والظواهر غير المرغوبة في مثل هذا الميدان، ومن ذلك نذكر الآتي:

أ- تأرجح هذه الدراسات لاسيما الجاد منها- بين القديم والحديث، وقد حاولت بعض الأطاريح رصد ظواهر معينة في الفنون الأدبية لتحديد وظائفها الأدبية، والثقافية، والجمالية ورصد علائق هذه الظواهر الأدبية بمعية الحقول المعرفية الأخرى، وهو ما نحتاج إليه، لكنّ أغلبها سقط في فخّ (المعاصرة)، هذا المصطلح الإشكالي الذي لم يحسم الخلاف حوله فقد رأى فيه بعض الباحثين نسقاً قيمياً لا بدّ أن يتحكم في النتاج الأدبي، والفكري ليسبغ عليه ألوانه، وقيمه؛ ومنهم من جعله رؤية فنيّة وفكرية، وحاول أن يحدّد في ضوء ذلك أبعاد المعاصرة، ومواقف القائلين بها من العالم، وثقافاته، وقيمة؛ وهنا نكون مع كلّ المدارس الشكلانية والجمالية التي "ترى أنّ المعاصرة هي البحث المستمر عن البنيات الجديدة في الثقافة، والمجتمع، ومن ثمّ يجب خلق أنساق جمالية، وأدبية لتعبّر عن هذه البنيات"[1].

وهذا الجدل في إشكالية المصطلح الحداثي أبقى الباب مفتوحاً لمفاهيم، ومضامين متقاطعة يأخذ كلٌّ منها برقاب الآخر، ويحاول تفتيته، وإلغائه والمطلوب هو تحديد ما إذا كانت الأطاريح والبحوث الأدبية المعاصرة قيمة، أم أنّها مرحلة؟ بمعنى أوضح هو هل أنَّ الأطاريح قد نجحت في تقديم أنساق معرفية، ومناهج علمية، وعقد مقاربات بين النصوص الأدبية، ومحاضرة ظواهرها اللغوية، والإيقاعية، والجمالية، ومن ثمّ- وهذا هو الحاسم- وضعها في سياقها الثقافي القادر على تحريك الحاضر، وتوجيهه الوجهة الثقافية والفكرية المطلوبة والفاعلة في التغيير والنهوض؟ أم أنّها وقفت عند عتبات الوصف والتنظير المجردين، ولم تفلح في بيان الصلاحيات الثقافية والفكرية للأدب في حدوده الزمانية وأنماطه الثقافية، أو خارج هذه الحدود والأنماط؟ إنَّ التستّر

---

(1) ما زلنا بانتظار المناضل الثقافي. مطابع صفدي- المربد- العدد (31) بغداد- 24 تشرين الثاني م 1987م.

وراء الاختصاص لا ينتج إلاّ مثقفين من مستوى متواضع ومحدّد، ونحن بحاجة إلى مثقفين واعين لهم خبرة الماضي ومفهوميات العصر، وإنَّ من غير المفيد الانحسار في دوائر ضيقة من الاختصاصات الأدبية بحيث أضحى الباحث الذي قدَّم أطروحته في الأدب الحديث، وفي (شوقي) أو (البردوني) أو (الجواهري) مثلاً يعيش بمعزل عن شعراء المعلقات، وكتب الجاحظ، والباقلاني، والخطابي، والجرجاني، وأبي حيان، والعكس هو الحاصل فقد انحسر أكثر الذين كتبوا في شعر ما قبل الإسلام، أو في الشعر العباسي في دوائر ضيقة لم يحاولوا الخروج عن حلقاتها والاطلاع على النظريات النقدية الحديثة على اختلاف اتجاهاتها، وفلسفتها.

ب- فصلتُ كثير من الأطاريح الأدبية بين الأدب: شعره ونثره عن هيمنة المشروع الثقافي العربي وعلاقاته الجدلية به، ولم ينتبه أصحاب تلك الأطاريح إلى أنّ الشعر عند العرب ينحاز عن غيرهم من حيث الدور التاريخي الذي قام به الشعر العربي في التعبير عن كينونة خاصة بالأمة العربية، فهو زيادة على نجاحه في التعبير عن الأوضاع الاجتماعية، والنفسية والقيمية. والجمالية كما هو حال الشعر عند الأمم الأخرى كان له دور يتجاوز (التعبير) إلى (التكوين) وبخاصة في تلكما المرحلتين الخصبتين من تاريخ المشروع الثقافي العربي: ما قبل الإسلام، والدولة الإسلامية. والحاصل أن أكثر الأطاريح إنما تناولت النتاج الأدبي بوصفه فنّاً قائماً بذاته، ووسيلة تعبير إبداعية عن ظروف وأحوال تخصّ الشاعر وبيئته، في حين أنّ المفترض والمطلوب من هذه الأطاريح أن تقف على دور الأدب بوصفه فنّاً مؤسساً، ومكوّناً باستمرار لفعاليات حضارية شاملة، وتعبيره عنها كان بمثابة إعادة تكوين وتأسيس. ويمتدّ هذا حتى في الشعر البعيد عن الهمّ الحضاري في تجربة التراث، فالحداثة التي عرفها العصر العباسي كانت أساساً تجربة ذات بعدين: الأوّل: إعادة تكوين التجربة التي سبقتها. والثاني: الوعي بتجربة الحضارات الجديدة آنذاك. وهكذا يجب أن يقوم فهمنا للمعاصرة وللحداثة اليوم على وعي بمعطيات الماضي ومكوّناته، وتوظيفه في حركة الحاضر، وبذلك نؤسّس (تراث معاصرة) أو لنقل: (معاصرة تراثية). وممّا يؤسف له أنّ أكثر

الأطاريح التي أديرت في الشعر خصوصاً وفي الأدب عموماً قد تساقطت دون المهمة الكبرى، فقد سقطت في التحديد مقطوعاً عن همّ المشروع الثقافي العربي المأمول وأبعاده. بمعنى أوضح أنها سقطت في (المشاكلة)، ولم تبلغ (المثاقفة) لا مع التراث العربي، ولا مع التراث الإنساني، وكأنّها قد صمّت آذانها عن نداء المرحلة الراهنة فجاءت "موجة التعميمات والألاعيب الشكلية حتى كاد الإنتاج يسقط من مستوى التدوين (المعاناة الأصلية) إلى مستوى الرسم بالقلم على ورق أبيض، أيْ، إلى مجرد التخطيط الذي لا دلالة له"[1].

ج- كثير من الأطاريح أسرفت في الحديث عن مكانة الشعر في حياة العرب بوصفه سجّلاً لتاريخهم، ومآثرهم، وأنسابهم، وأحوالهم، وقيمهم وغير ذلك من الوظائف الخطيرة التي قد لا يقوى الشعر على حملها جميعاً، ونخشى أنّ يحرّك هذا في أذهان بعض الباحثين الأعاجم- وقد حرّك- إلى القول إنّ الحضارة العربية لم يقم بناؤها إلاّ على رؤية خيالية حركتها العواطف والأمزجة الذاتية، وعلى هذا فهي "حضارة كلام، وخيال، حضارة شعر وأدب، ليس للفكر فيها وجه يذكر".

وبذلك يلغي هؤلاء أيّ دور فكري وعلمي للعرب والمسلمين ممّن أثروا الحضارة الإنسانية بما قدّموه في شتى ميادين المعرفة والعلوم الطبية والفلكية، والرياضيات، والكيمياء، وغيرها. لكي يُردّ على هذه الأباطيل، ولكي لا تبقى بواعث الشعر مستبدة بالنفوس ليقال إنّ الفكر العربي لا يرقى إلى مراتب العلوم لأنّه عاجز خارج حدود الأدب والبلاغة كان على الأطاريح أن تبرهن على أنّ الأدب العربي مظهر من مظاهر الجمال. والتفوّق الحضاري، بوصفه من أعلى مراتب الفن. ولا يمكن أن يسود الفن والأدب ويصيران حالة قائمة إلا وسط أمّة بلغت من النتاج العقلي والعلمي مبلغاً متّسعاً.

د- أسرفت أغلب الأطاريح في تأليه النّص، والتركيز على الشكل، وفصل النّص عن أيّ ارتباط بمبدعه، أو بالمحيط الاجتماعي، أو النبع النفسي، وبذلك أدخلت النّص في شرنقة

---

(1) Frenand Braude Eerits sur Fhistoire Flammarion. P. 116, Paris 1969.

مسوّرة، وقطعت عنه أية صلة بمضمونه، أو مضامينه، وإذا كان هذا ممكناً على المستوى النظري، أو الشكلي فإنه غير ممكن إطلاقاً على مستوى المضمون، إذ كيف يمكن للباحث أن يقنعنا أنّ شعر الجواهري، أو السياب، أو صلاح عبد الصبور، أو المقالح في مضامينه السياسية والاجتماعية والنفسية، قائم من غير هؤلاء الشعراء؟ وكيف يمكن أن نتحدث بنيوياً عن شعر أبي نؤاس من غير استحضار شخصيته، وعصره. إنّ المنهج البنيوي لا يمكن له وحده القيام بتحليل النصوص الإبداعية وبيان فعلها في حركة الإنسان، والثقافة والمجتمع، ولهذا لا بُدّ لنا شئنا أم أبينا من المزاوجة بين المناهج بعضها، أو كلّها ونحن ندرس النصوص الأدبية. فالمنهج أي منهج وسيلة لا غاية، ولا بأس من استثمار أكثر من منهج للإلمام بكلّ أبعاد العمل الأدبي. إنّ من المفارقة حقاً أن تتشكل مناهج في الغرب ثم تموت فيه لتبقى حيّة عندنا دائماً من غير أن نفلح في اكتشاف منهج خاص بنا، وإنّ من المفيد أن نستند إلى مناهج غيرنا إذا احترسنا في الأخذ، والفهم، والتطبيق!

ثالثاً: الدراسات التاريخية:

إنّ كلّ اختلاف نظري في أمر التاريخ من حيث دوافعه، وأغراضه، وتدوينه يرجع إلى أساس الخلاف في أمر العلاقة بين التاريخ والواقع، فليس التاريخ مجالاً للارتزاق، والجاه، والثراء، وإنّما هو تفكير يسنده الوعي والعلم والإحساس بالإنسان وحركته على مسار الزمان وهذا التفكير لا يبدو سليماً، ومنطقياً، وفاعلاً ما لم يكن واقعياً، ومشخّصاً يتعدّى المحسوسات والأحداث المحددة والمباشرة إلى واقع ينبض بالحركة والمباشرة، والقدرة على الاستفادة من الماضي بتناقضاته، وإشكالاته، وإيجابياته، وسلبياته، وصولاً إلى فهم الحقائق والارتقاء بالأمم والشعوب والإنسان والانتصار للعدل والحرية. وقلّما نلمس شيئاً من ذلك على امتداد ما كُتب من تاريخنا قديماً وحديثاً، ولعلّ الرسائل والأطاريح التي فحصناها تدلنا على قصور في الدرس التاريخي المعاصر، ويمكن أن نتبين هذا القصور من خلال زوايا كثيرة يمكن إيجاز بعضها بالآتي:

أ- أزمة مؤرخين:

لقد عانينا في الماضي من تزوير تاريخنا العربي الإسلامي حين كتبت بعضه أقلام تحدّثت للسيف وللمال، وخضعت لسلطان الملوك والساسة، وغلّبت مصالحها الشخصية على مصالح الأمة، وعلى حساب الحقائق والوقائع. ولقد كاد تاريخنا يصبح حديثاً عن الأسر المالكة، والساسة وأولي الأمر، لا تاريخاً لأمّة ولشعب. والكشف عن قصور تاريخنا عمل ضخم لا يقلّ ضخامة عن كتابة التاريخ نفسه، لأننا بهذا الكشف إنّما ندفع بإنسان اليوم إلى المستقبل، ونطوّر المعنى الاجتماعي، والسياسي، والميداني فيه، إذ لم يعد التاريخ سفراً لجلائل الأعمال. وفهرسة لأسماء الذوات وإنما التاريخ سجلُ أمّةٍ، ومسيرة إنسان لا يمكن أن يتحدّث فيها إلا الذين لديهم القدرة على التعامل مع نتائج التطور الحضاري والإنساني وكل وقائع التاريخ تعاملاً ذهنياً أكثر من تعاملهم مع الحدث نفسه متجردين عن الذات، ملتحمين بالحقيقة والإنسان، مقدمين إطاراً واحداً تأتلف فيه عناصر الأحداث والوقائع وتتكامل، وتتسق فيه الحقائق وتتواصل، بحيث يردّ كلّ شيء إلى علله وأسبابه الحقيقية، ونؤكدّ من خلال ذلك بأنّ التاريخ لا يعني تاريخ الدين، أو تاريخ السياسة أو الأدب، أو الشخوص، وإنما هو تاريخ أمّة تدينت، وساست وتأدّبت، وتعلمت.

ب- غياب التحكم العقلاني:

النقدي في كتابة التاريخ، وهذا الغياب أفقد كلّ ما فحصناه من أطاريح نجاحها في استشعار (فلسفة عربية للتاريخ) نفسه يمكن الاستناد إليها في التوفيق بين إيجابيات ماضينا ومعطيات حاضرنا، بين وحدتنا وتوحيدنا، تحررنا وحريتنا، خصوصيتنا وعالميتنا. إنّ الذي أغفلته أغلب الأطاريح التأكيد على أن مشكلة تراثنا عموماً هي مشكلة تاريخية، قبل أن تكون فلسفية ولذا فنحن لسنا بحاجة إلى بحوث تاريخية تتكلّم بلسان الآخر، وليس بعقل الباحث، أو تتكلّم في الأحوال والوقائع والأحداث انطلاقاً من نظرات أيديولوجية توفيقية الأمر الذي يشكّل أحد أبرز العقبات (الابيستمولوجية) لرؤيتنا للتراث وللمعاصرة. إننا بحاجة إلى بحوث تحليلية نقدية تخترق التاريخ أشخاصاً، وأفكاراً، وأحداثاً، ومقولات اكتسبت ظلماً ديمومتها.

ج- المقارنات التاريخية:

إنّ الأمر ليس في مقارنات تاريخية لأنّ هذه المقارنات قد تنطلق من اعتقاد خاطئ مفاده أنّ هناك قانوناً يتحرّك التاريخ على إيقاعه، لكنّ الأمر في حقيقته ليس على هذا النحو تماماً، لأنّ الإرادة الإنسانية هنا تفعل فعلها الحاسم والخطير، فالتاريخ حين يتكلّم عن الأشخاص ويترك الشعوب، إنما يحوّل كلّ فرد من أفراد المجتمع إلى مجرد أداة في يد التاريخ الكبرى (الأشخاص النماذج)، وحينها ينتفي أيّ دور للفرد في صنع تاريخه، أو مستقبله، ويؤدي هذا إلى اعتقاد خاطئ آخر مفاده إنّ الإنسان لا شأن له بما يجري من حوله لأنّه لا يملك لهذا الذي يجري تبديلاً، وحين يستولي علينا مثل هذا الاعتقاد ستتحوّل طواعية إلى مجرد تابعين لقوى عاتية والمطلوب بحوث تشعر الإنسان بحريته، ودوره، وقدرته على أن يرفض السير في هذه الطريق، وهذا الشعور هو الذي يخلق لديه الإيمان بقدرته على أن يصنع من موقعه شيئاً لمجتمعه ووطنه. وهذا الإيمان إنما يقوم على التسليم بأنّ المستقبل لا يتحقق من تلقاء نفسه وإنّما يتحقق بإرادة اجتماعية مؤمنة بأنّ التقدّم والتنمية هو ما نقرره نحن وليس هناك إرادة أقوى من إرادة الشعوب.

د- الاهتمام بالزمن الحدثي:

زمن الحروب والمعاهدات، والانتصارات هو الذي استأثر باهتمام الباحثين "رغم أنّ هذا الزمن نسبي، وجزئي، ومضلّل أحياناً لأنّه يقف عند التموّجات السريعة التي لا يتسنّى فهمها وضبطها إلاّ في سياقها البنيوي"[1].

إنّ الاهتمام بالزمن الحدثي أدّى إلى أن تغفل الدراسات (الزمن) نفسه. أعني السياق التاريخي الذي تجري فيه الأحداث، والقضية في هذا السياق قضية زمن أساساً إذ أنّ أيّة مشكلة تاريخية، أو سياسية أو اقتصادية أو غير ذلك "تزداد تعقيداً إذا تركت عدداً من السنين دون بذل جهد لحلّها، وتزداد تعقيداً على الأخص حين يجد أحد طرفيها له مهرباً منها على مرّ الزمن، فيستفيد من مجريات الأمور الثانوية التي تنشأ بصورة طبيعية أو تُنشأ- بضم التاء- بصورة اصطناعية، فتلقي بظلالها على صلب الموضوع الذي كان واضحاً في البداية، وعندئذ يكون

---

(1) فلسطين إليكم الحقيقة. ج.م. ن. جفريز. تر. أحمد خليل الحاج 1/ 17- 18- الشارقة/ 2000م.

هناك الكثير مّما يدور حول الكلام، والكثير مّما يجري حوله الخلاف والكثير من المسائل التي تُثار بصورة زائفة"[1].

هـ- علاقة التاريخ بالعلوم الأخرى:

مّما لا شكّ فيه أن التاريخ علم حيويّ له أسسه، وطرائق بحثه، ومناهجه وأهدافه، وله خطواته الخاصة بين حقول المعرفة، حتى أطلق بعضهم على العصر الحديث (عصر التاريخ)[2]، وقد تأثر علم التاريخ بالثورات الاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية الحديثة وقد وضح ذلك في توسع فروعه وفي فلسفته، واتجاهاته. غير أن أخطر ما حدث في العصر الحديث هو أنْ يكون محور تاريخ العالم هو الغرب، فقد عمل المؤرخون والمفكرون الأجانب على الترويج إلى أن أوج التطور الحضاري للبشرية هو الحضارة الغربية، وأنّ كل تاريخ آخر مّمهد للتاريخ الغربي، أو هامش من هوامشه، وبذلك نجنّ على التاريخ والحقيقة العلمية. والمطلوب هو الانتباه إلى ذلك، ومحاولة قراءة التاريخ وكتابته بمعية جملة من العلوم والمعارف التي أثرت فيه، وأثّر فيها، ولا يمكن لنا تقبّل باحث في التاريخ من غير أن يكون واعياً بما حول التاريخ من علوم، ومعارف متعددة لا بدّ للمؤرخ من الإلمام بها، كتاريخ الاقتصاد، والإدارة، والقانون، والدبلوماتيك والباليوغرافيا، والسجلوغرافيا، والفيلولوجيا، والرنوك، والنميات، والآثار[3].

و- الاكتفاء بالسرد:

ومحاولة التأكيد على سلامة المقاصد والنيات.

---

(1) نشأة التاريخ عند العرب. د. عبد العزيز الدوري، ص 7- مركز زايد للتراث والتاريخ- دبي/ 1420هـ/ 2000م.

(2) الدبلوماتيك: دراسة الأسلوب والمصطلحات الخاصة بوثائق عصر بعينه، ويتناول أيضاً نقد المصادر الأدبية الرسمية للتاريخ. والباليوغرافيا: علم الخطوط القديمة بأنواعها، والسجلوغرافيا: دراسة الشارات والأختام بأنواعها وأشكالها، والفيلولوجيا: فقه اللغة، والرنوك، العلامات المميزة التي تظهر على الأختام والدروع والملابس. النميات: علم النقود والمسكوكات.

ينظر: علم تحقيق الوثائق، برجس عزام ص 15 وما بعدها. دمشق 1991- 1992م.

(3) ينظر على سبيل المثال: ما يقال عن الإسلام. عباس محمود العقاد- مؤسسة دار الهلال- مصر 1970م.

إنّ هذا التأكيد على سلامة المقصد في كتابة التاريخ مظهر من مظاهر غياب الدّقة العلمية، وعمق التفكير، والفشل في ردّ المقولات الضاربة في الجهل بحقائق الأمور، والمفاهيم المخرّبة، والرخيصة، والدسّاسة التي حاولت تشويه الأوجه الناصعة من تاريخنا العربي الإسلامي. فقد أسرف المشوّهون والحادقون في القول: إن دخول الإسلام إلى فلسطين كان مصادفة لأن الرسول ﷺ لم يكن (على زعمهم) يفكر قَط في الدعوة إلى دينه خارج الجزيرة العربية، وأنّه ﷺ لم يتصور الإسلام ديناً عالمياً، وأنّه أرسل لهداية الشعوب جميعاً، وأنّ رسائل محمد ﷺ إلى الملوك والأباطرة (هرقل، وشاه فارس، وملك الحبشة) ومواقفه معهم ليست إلاّ قصصاً من وهم الخيال، وغير ذلك من الترهات والأغاليط كثير[1].

أقول: إننا لسنا بحاجة إلى رسائل تؤكد سلامة المقصد وتقف عند حدود عرض المقولات المشوّهة، وإنما بحاجة إلى رسائل قادرة على تلقف ما وراء هذه المقولات من أهداف بعيدة كلّها في غير صالحنا. رسائل تؤكّد أنّ معرفة الصواب في رسالة الإسلام، إنّما تتمّ من خلال الإسلام نفسه، وذلك بالعمل على (إصلاح كلّي) يدلّ على أنّ الإسلام حيّ، ديناميكي، متجدّد، يساير تطور الأحوال في المجتمع الإنساني[2]، والمشكلة ليست قضية الدين الإسلامي بقدر ما هي قضية (مسلمين) لم يعودوا يمتلكون أيّ قبس من نور القرن العشرين إذ صرفوا هذا القرن في خضم محيط من النزاعات والخلافات، والانكسارات، والتخلف، والانحطاط، إزاء عدو استطاع أن يتشبّع بروح العصر، وتطبيقات العلم، وأن يرتضي التقدّم العلمي منهجاً وشعاراً في الحياة، وأن يستند إلى كلّ مبتكرات العصر في تنمية موارده، وصنع تقدّمه التقني، وتطوير فنونه، وإنتاج ثقافته في ظل الحرية والعدالة الاجتماعية، وبعيداً عن أساليب القهر، والتسلّط، وظلم الآخرين.

---

(1) نحو ثورة في الفكر الديني. د. محمد النويهي- 154- القاهرة/ 1983م.

(2) نفسه: ص 16- 17 بتصرف.

ز- حيادية التاريخ:

في خضم الصراع الإنساني من أجل البقاء وعلى الأمد الطويل للتاريخ، ولهذا الصراع نرى أن التاريخ المحايد في جريانه على وفق قوانينه الموضوعية لا يصانع أمّة، ولا جنساً، ولا يقيم وزناً لماضٍ مجيد في قراره: أيُّ الأمم أصلح للبقاء في الظروف الجديدة وإنّما ينظر الأمّة في حاضرها وما هي عليه ولهذا لا يجوز لنا أن نستصدر من التاريخ قراراً في مصلحتنا لمجرد أنّنا عرب، أو لمجرد انّ لنا ماضياً مجيداً، لاسيما نحن أمّة قصَّر حاضرها عن ماضيها، فاكتفت أجيالها باجترار ذكرها لمجدها الغابر"[1] من غير أن تفكّر في صنع مشروع حضاري جديد. إنّ تأكيد حقنا بوساطة رسائل جامعية تُعد لا ينفعنا. فالتاريخ على ما يقول المثل الغربي "سجّل للحقوق التي ضاعت"؛ لأنّ أصحابها لم يلتمسوا الوسائل العلمية الكفيلة بإحقاقها، ودوننا سكان أمريكا الأصليين من الهنود الحمر حين التقوا بالفاتحين من البيض الأوروبيين، لم ينفعهم أن الحق حقّهم: وأنّ الديار ديارهم. إنّ الذي ينفعنا تأكيد وجودنا في حركة الإنسان اليوم، والتدليل على أننا أحفاد أمّة كان لها فعلُها الحضاري والإنساني العظيم، وهي جديرة بأنْ تسهم في حضارة إنسان اليوم، وهي جديرة بحقوقها المشروعة المغتصبة.

رابعاً: الدراسات الفلسفية والمنطقية:

من الثابت أن الفلسفة ميدان معرفي قادر على أن يمنح الإنسان معنى الحياة الإنسانية بوصفها العلم الذي يصنع الفكر والسياسة، والقادر على أداء دور كبير في التنبيه على مخاطر التفكير الخرافي، والتطرف الفكري، ولهذا جذبت الفلسفة إليها العقول المستنيرة على تعدد المشارب المعرفية لهذه العقول، فالعلوم الإنسانية قد أخذت من الفلسفة، أو عليها استندت ولهذا كانت الفلسفة طريقاً للحوار بين الحضارات على مرّ العصور، ولا تزال في عالم العولمة سبيلاً إلى جدل الأنا والآخر غير أن الملحوظ في هذه الدراسات أنّه كلّما تقدم الزمن بنا نحن العرب أعرضنا عنها. بحيث أصبح أمامنا بؤنٌ شاسع على مستوى الكم والكيف بين اهتمام

---

[1] دور المنهج العلمي في النقد الفلسفي العربي د. صلاح فنصرة- من أعمال المؤتمر الفلسفي العربي الثاني- عمّان. ديسمبر 1987م.

علمائنا المتقدمين بالفلسفة. ودارسينا المعاصرين، بل أننا نلحظ فرقاً بين واقع الدراسات الفلسفية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وتتسع دائرة الاختلاف هذه في الدرس المنطقي، فمن الثابت أنّ اهتمام أسلافنا بالمنطق وعلم الكلام كان أكثر إشراقاً وعمقاً من اهتمامنا اليوم، وإذا كانت الظروف قد اختلفت عما كانت عليه في العصور السابقة فإنّ ذلك يتطلب إعادة الاعتبار إلى الفقه لكونه يمثّل المنطق الإسلامي الذي يقوم بتحليل المعاني، ولأنّه لا يتضمن النسق الإسلامي في الاستدلال، والذي وقعنا عليه في أطاريح الفقه أنها سردت الموروث سرداً من غير أن تكون هناك روح عصرية تحرّك اتجاهات هذا السرد، وتكون حكماً محايداً، وعقلانياً عليه.

أما الأطاريح التي أديرت في الفلسفة فكانت إمّا في النتاج الفلسفي لرمز من رموز الفلسفة العربية التي مثلت تياراً فلسفياً كان له حضوره الملحوظ في النتاج الفلسفي والثقافي والمعرفي عبر حقبة زمنية معينة، وأمّا في البحث عن الجذور الفلسفية لفكرة فلسفية ما، وإمّا في تعداد أوجه التأثير والتأثر في ظاهرة معينة من ظواهر الفكر الفلسفي. ولكن هذه الأطاريح جميعها قد جاءت لوحات نظرية مشتتة في طروحاتها، تمازج فيها الديني، والسياسي والأدبي، والاقتصادي بالفلسفي، ولم تفلح في جملة من الحقائق العلمية مّما يمكن إيجازه بالآتي:

أ- لم تستطع هذه الأطاريح من بيان العلاقة بين الوعي الفلسفي، والفكر من جهة وبين الفلسفة والعلم من جهة ثانية. وقد اختلط فيها مفهوم المنطق بمفهوم المنهج.

ب- ولم تستطع إقناعنا بأنّ الفلسفة نظرة كليّة، وموقف شامل، واتجاه عام، ومن ثمّ فإن الخطاب الفلسفي لا يصدر بالضرورة عن متخصّص بقدر ما يأخذ صاحبه بالتجريد، والعمومية، والشمول المعرفي.

ج- ولم تستطع بسبب غياب المنهج العلمي في النقد الفلسفي لأصحابها من الاستدلال على أنّ الخطاب الفلسفي اليوم لم يعد كما كان قا.ٍماً وعاءً يضمُّ العلوم الإنسانية، والطبيعة كافة.

د- ولم تستطع التأكيد بالوقائع والبراهين على أنَّ الفلسفة خطاب موجّه للوعي، في حين أنّ الفكر رابطة منظومية للعلوم مجتمعة. ثم أنّ الفلسفة لا تستخدم فروضاً بل تستخدم

الافتراض، لأنّ الأخير يتحدث عن كيان شديد الاتساع، ولا يمكن أن يتحقق بشكل عيني من افتراضات الفلسفة بعكس فرضيات العلم[1]، مع التأكيد على أنّ مصداقية النقد الفلسفي لا يمكن أن تظهر ما لم تزوّد بالعلم، وهذا لا يعني أن يتخصّص الناقد الفلسفي بالعلم، بل أن يتخذه إطاراً ينطلق منه، فللعلم دائماً تأثيره على أغلب المحتوى المعرفي لأيّ حقل تخصّصي، وعلى المنهج.

إن حضور العلم في تفكيرنا الفلسفي اليوم حضور خجول، لاسيما بعد الزمنه الذي توقّف فيه الاجتهاد في علوم الفقه بخاصة.

هـ- ولم تستطع أن توضّح العلاقة بين الدين والسياسة، والذين تطرقوا في أطاريحهم لهذه العلاقة اقتربوا من القول: إنّ الدين وراء الانقسامات السياسية، والعكس هو الصحيح، إنّ السياسة وراء كلّ انقسام ديني "وهي التي هيأت وتهيئ الناس لهذا الانقسام في حياتهم الاجتماعية"[2]، وتفتح أمام بعضهم أبواب البذخ والترف في حين تغلق بوجه آخرين أدنى متطلبات العيش الكريم. ولا يحق للسياسة التسلط على الأمّة، والتحكّم بمصالح الناس، لأنّ الساسة موظفون لإدارة شؤون الأمة وتوفير سبل حياة كريمة عادلة لها إنّ الأمة وانطلاقاً من مبدأ الشورى في الإسلام هي "سيدة الموقف، ومن خلالها يتحتم على الحاكم معرفة مطامح قومه، وآمالهم، وتطلعاتهم، ومن خلالهم يستوثق من أذن الأمّة له في التصرف في أمر، أو مال، هو من خالص حقوقهم، أو ملكهم كفرض الضرائب، أو منع الاستيراد، أو غير ذلك"[3].

إننا نرى أنّ غياب الحرية هو الذي أدّى بأصحاب الأطاريح إلى الانتصار للسياسة على حساب الدين، أو عدم التطرق لهذه القضية أساساً، إنّ الدين عدوّ العزلة، والتفاوت الطبقي، والانفراد، والتسلط، وكلّ أشكال قهر الإنسان لأخيه الإنسان. وبين الدين والسياسة تغيب الحقيقة في أكثر الأحيان.

---

(1) موسوعة الأديان في العالم. 1م8- بيروت/ 2001م.

(2) ينظر: الفكر الإداري في الإسلام. د. محمد محمد ناشر- ص 192- الإمارات العربية المتحدة- دبي/ 1417هـ- 1997م.

(3) ثقافتنا والثنائيات المفتعلة. د. علي القريشي، ص 62. مجلة الكويت العدد (246).

خامساً: الدراسات الدينية:

مع اعترافنا بأن كينونة الإنسان قائمة على ثنائيات ذات دلالات متقابلة ومتقاطعة كالخير والشر، والعلم والجهل، والغنى والفقر، والعدل والظلم، والسلام والحرب، والحبّ والكراهية إلى ما هنالك مّما يحيط بنا من ثنائيات متناقضة، أقول على الرغم من اعترافنا بذلكم فإننا نقف موقف الرافض في النظر إلى بعض الثنائيات الفكرية على أساس أنّها ثنائيات متقابلة ومتضادة ومتوازية لا يمكن أن تلتقي أو تنصهر في بعضها. لقد لحظنا في الأطاريح التي وقعنا سقوطها في إشكالية بعض الثنائيات التي نُظر إليها نظرة أحادية ومنفعلة، بما أبعدها عن أيّ منزع إيجابي فاعل، وأضفى عليها منزعاً سلبياً منشطراً على نفسه، ولعلّ مردّ تلك النظرة الأحادية المنحسرة هو الخلط الحاصل فيها بين ما هو رؤية إسلامية، ورؤية إسلام، فنحن في الأولى نألف أنفسنا أمام مجموعة تمثل اجتهاد أفراد، أو لنقل باحثين يؤجرون على ما يقدّمون بحسب اجتهادهم، ولا يجوز والحال هذه إخضاع مقاييس الجزء على الكلّ على الرغم من معرفتنا أنّ كل فئة تتصور حتماً أنّها مالكة الحقيقة. ومع هذا فإنّ هناك معياراً أعلى هو الذي يمنح كلّ باحث أهليته ومصداقيته وهذا المعيار يتمثّل في (الرؤية الإسلامية) في الدين الإسلامي: كتابه، وسنّته؛ وهذا المرتكزان الخالدان لا يسلّمان مطلقاً بأيّ تعارض، أو تقاطع في بعض الثنائيات التي تتقابل نوافذها وتتنوع روابطها وعلاقاتها مع بعضها بعضاً، ومع غيرها من الظواهر بما يدعو إلى النظر إلى هذه الثنائيات في إطار نسقها الحقيقي، وهو نسق متداخل ومتلاق، ومؤثر لكونه كذلك، لا لكونه منفصلاً ومن هنا فإنّ الوعي بتلاحم هذه الثنائيات لا انفصالها يعدّ مطلباً آنياً، وفورياً، واستراتيجياً، مثلما كان كذلك دائماً، ولعلّ أبرز ما ألفناه من هذه الثنائيات في جملة من الأطاريح ما يمكن إيجازه بالآتي[1]:

1- ثنائية (الإيمان) الدين والعقل:

إذ لا تعارض في الرؤية الإسلامية ومن خلال النص القرآني والسنّة المطهرة بين النّص والعقل، وقد عملت جميع الفرق والمذاهب الإسلامية على هدى من تلاحم النص الديني

---

[1] بداية المجتهد ونهاية المقتصد. ابن رشد 1/ 9.

والعقل، وكان الفقهاء والمفسرون، والمتكلمون، والفلاسفة قد سبقونا إلى تأصيل تكامل العقل والإيمان وقد خلص ابن رشد (ت. 595) بعد استقرائه كلَّ ما وقع عليه من مصنفات ومفاهيم لعلماء سبقوه إلى حقيقة نحن أولى باعتمادها اليوم مفادها "أنَّ الحكمة صاحبة الشريعة، والأخت الرضيعة، وهما المصطحبتان بالطبع، المتحابتان بالجوهر والغريزة"[1]، ولهذا أمكن لابن رشد أن يدخل عالم الفلسفة الأجنبية بنزعة تنويرية دعت إلى الانفتاح على كلّ الثقافات، والتيارات الأجنبية لتأخذ منها ما صلح، إذ يقرّر في شرحه (أرسطو) مقولته الرائعة المتمثلة في الدعوة إلى أن "نضرب بأيدينا إلى كتبهم- كتب الفلاسفة اليونان- فإن كان فيها شيء يُعدّ صواباً منهم شكرناهم عليه، وإن كان فيها شيء خطأ نبهنا إلى هذا الخطأ"، وهذا هو الذي يجب أن يكون تواصلاً مع الآخرين وتبادلاً، وتجاوزاً، وخلقاً، وتحوّلاً"[2]. زد على ذلك أنّ الفلاسفة، والمتكلمون والمناطقة العرب الأوائل قد وقفوا بوجه كلّ التيارات المنكرة والملحدة، وعملوا على تأكيد مقولات الدين وأفكاره. وتثبيت شرائعه، والاستدلال على قيمها، وقد سلك مسلكهم هذا المحدثون النّيرون من أمثال الشيخ محمد عبده في (الإسلام دين العلوم المعرفية)، والعقاد في (التفكير فريضة إسلامية). والشهيد محمد باقر الصدر في (فلسفتنا)، ونديم الجسر في (قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم) وغيره هؤلاء كثيرون. وبإزائهم نجد بعض الباحثين ممّن حاولوا القول- وباسم الوفاء للنّص- تعطيل دور العقل وافتعال تقاطع موهوم بين هذا النص وبين العقل الذي يباشره، ونسوا أن الاجتهاد وفي إطار المتغيرات التي مارست فيها المدارس الأصولية، والفقهية الإسلامية هو "عمل من أعمال العقل، صحيح أنّه مقيد بثوابت، لكنّه ظل مندرجاً ضمن إعمال التفكير العقلي، ناهيك عن أنّ منطقة الفراغ التشريعي التي تُرك حقّ إملاءها لأهل الفكر والسلطان فيها من الدلالة ما يوضحُ مكانة العقل الموضوعي، ودوره الكاشف والمؤسّس. وفي ضوء ذلك يمكن القول إنّ النزوع نحو تعطيل العقل بحجّة الوفاء للنّص هو أحد "الأعطاب الذي أصاب جسد الثقافة العربية والإسلامية، والذي لا يزال يعمل تشويهاً في بنيتها العامة"[3].

---

(1) تكامل العقل والإيمان عند ابن رشد. عبد القادر بن عبد الله، ص 128. مجلة التسامح (5) عُمان 1425هـ- 2004م.

(2) ثقافتنا والثنائيات المفتعلة، ص 62.

(3) نفسه: ص63.

2- ثنائية الدين والعلم:

ولا تعارض بين الإسلامي والعلم مطلقاً، لأنّ الإسلامي ثورة على مختلف الأصعدة، ومنها الثورة العلمية، وأول علامات الإيمان العلم بالدين التسليم عن وعي وعقل، والخشية من الله. وإنّ النظر إلى هذه الثنائية على أساس التعارض بين ركنيها إنّما يدعم ما يروّج له بعض الباحثين الأجانب من أننا أمّة بيان، ولغة، وعواطف، ولسنا ممّن يطالبون بالعلم أو الفلسفة.

3- ثنائية الأصالة والمعاصرة:

وقد رأينا في أكثر من موضع أن لا تعارض في هذه الثنائية كما يدّعي بعضهم، ففيها يكمن التاريخ، وتتضح التركيبة العقلية للعرب والمسلمين بما يمكّنهم من مباشرة قضايا العصر بانفتاح، ووضوح، وإنّ أي انفصام بين الأصالة والمعاصرة إنّما يشكل علاقة غائمة، وساذجة مع النفس ومع الآخرين "فليست الأصالة المنفتحة على الحاضر والمستقبل إلاّ معاصرة، ولا المعاصرة الموصولة بالجذور والمنطلقات إلاّ أصالة، وبهذا يكون كلّ من البعدين متكاملاً مع الآخر، طالما يمتلك كلٌّ منهما آلية الانفتاح على مختلف عناصر الإثراء والتحريك الماضية أو الحاضرة على حدّ سواء"[1].

4- ثنائية العروبة والإسلام:

عروبة الإنسان إسلامه، وإسلامه عروبته ما دام النبيّ عربياً ولغة الإسلام هي اللغة العربية، وفي الإسلام صار كلّ مسلم مسؤولاً عن هداية الآخرين لا فرق بين أعجميّ، أو عربيّ إلاّ بمقدار تقواه وصدق انتمائه للدين، وللوطن وللحضارة الإسلامية. وعلى هذا لا مجال لهذه الثنائية في الفكر الإسلامي النيّر.

---

(1) نفسه: ص 64. "بتصرف".

5- ثنائية السنّة والشيعة:

وهي من أخطر الثنائيات وأشدّها فتكاً على المسلمين وعلى امتداد تاريخهم، وقد أذكت نارها كلُّ القوى الحاقدة على الإسلام والمسلمين، واتخذت طريقها إلى بث الفرقة بيننا للتمكن منّا، من أرضنا، وإيماننا، ومستقبلنا، ومن المؤلم حقاً أن يظلّ بعض الباحثين الجهلاء متشبثاً بها دون وعي، أو عن جهل عقيم، وقصد خبيث، ومفرّق، والحاصل في الأمر أنّ "مذاهب السنّة والشيعة تقرّر جميعها أنّ القرآن والسنّة هما المصدران الأساسيان لبناء مرجعيتهما في العقيدة، والشريعة، والفقه، والسياسة، والاجتماع، وأنّ الطرفين يؤمنان بثوابت واحدة هي: التوحيد، ونبوّة محمد - ﷺ-، والإيمان بالأنبياء، والرسل، واليوم الآخر والثواب، والعقاب، والصلوات الخمس، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام، وأداء الزكاة وجملة القيم والأخلاقيات، ومبادئ التعامل المعروفة، وثوابت الحلال والحرام، وغير ذلك من أمور ورؤى تتصل بالدين والحياة، ناهيك عن حقيقة أن الشيعيّ سنّي، والسنّي شيعيّ إذا كان التشيّع يعني حب آل البيت وإجلالهم فإنّ الفكر الشيعي يظلّ بمثابة الوجه الآخر للفكر السنّي، مثلما يظلّ الفكر السنّي هو الوجه الآخر للفكر الشيعي"[1].

---

[1] فلسفة الفن في الفكر المعاصر. د. زكريا إبراهيم. ص 136- 137- مكتبة مصر- القاهرة.

المبحث الثالث

ما المطلوب؟

أولاً: إن من مقتضيات البحث العلمي الناجح أن يكون نتاج عقلية معمقة، وعقل تداولي يمتلك إمكانات وآليات بحثية قادرة على التواصل، والتبادل، والتحليل، والتركيب لخلق أنساق جديدة من المفاهيم، والطروحات، والأفكار، وصياغة متكاملات فكرية من الحقائق المتفرقة. ولكن! هل استطاع جميع الباحثين من ذلك، وبشكل يكفل القدرة على استيعاب ما جاءوا به أو مراجعته، والاستناد إليه من باحثين آخرين بغية تطوير المعرفة والوصول إلى مزيد من البناء المعرفي الجديد؟ إنّ الذي يكفل نجاح أيّ بحث قدرته على جذب الآخرين إليه بما يضمن للجامعات ومراكز البحوث العلمية تشكيل (حلقات بحثية) أو (جماعة متماسكة) من الباحثين القادرين فعلاً على تطوير المعرفة والعلم، بالاحتكام إلى رؤية منهجية، ونقدية من مشكلات الحياة والعصر، متّسمة بالصيرورة، والتجدّد، والأنسيّة، ولذا يشترط (وعي الثقافة) ممارسة (رادكالية) على مستوى المنهج، ومعاينة شمولية على مستوى النظرية من أجل خلق تكامل وظيفي أدائي بين الوعي من حيث هو بنية للسياق الحضاري والتاريخي للأمّة وللشعوب، وبين الثقافة من حيث هي أداة محرّكة لعجلة التاريخ والتقدم، وبهذا الأداء الوظيفي يكون الوعي بالثقافة إدراكاً وفهماً لمختلف التعقيدات والملابسات التي ينطوي عليها أيُّ منتوج ثقافي من شأنه أن يؤدي إلى فرز حقيقي ودقيق لعوامل الأصالة والمعاصرة فيه وذلك لا يتمّ حقيقة إلاّ بنشاط جمعي مستند إلى باحثين مهما اتصفوا بمميزات انفرادية سيكولوجية (الشخصية، والمهارات، والأسلوب، والخبرة، والمنهج، والعادات)، إلاّ إنهّم يلتقون عند هدف واحد، هو الذي يزيد من عدد التخصصات الناشئة عن تداخل حدود المجالات العلمية والإنسانية كاللغويات والحاسوب، والأدب وعلم النفس، والفلسفة والأدب، واللغة وعلم اجتماع، أو علم النفس....الخ.

ثانياً: إننا بحاجة إلى بحوث نوعية قادرة على إنعاش ما هو إيجابي في حياتنا، وقادرة على أن تنتظم في مسيرة الخطط التنموية لبلداننا سواء أكانت هذه الخطط علمية، أم اقتصادية أم ثقافية، أم غير ذلك.

إنّنا إذ نضع مواصفات فإنما نبحث عن معايير، عن محتويات، عن مسار تاريخي حضاري وعن خط أيديولوجي فاعل ومحدّد، فالبحوث الجيدة ليست نشاطاً تعليمياً، أو تطوعياً وحسب، وإنّما هي مرتبطة ارتباطاً ديناميكياً بكلّ جوانب الحياة، وتعبّر عن محاولات منظمة، ومخططة تعيد تشكيل وعينا الثقافي والحضاري، والعلمي، والسياسي، والأخلاقي والاقتصادي، وغير ذلك، على نحو يخلق أفراداً، وجماعات ذوي مستويات فكرية، وثقافية، وعلمية فاعلة في حركة المجتمع.

ثالثاً: إنّنا بحاجة إلى بحوث تتجنّب الخلط بين موضوعية الحقائق والسنن والطبائع من جهته، وذاتية الاستخدام الإنساني والاجتماعي لهذه السّنن والطوابع وبحاجة إلى أطاريح تقدّم مشاريع فكرية وثقافية وقيميّة، وتشترط على نفسها اشتراطاً ثورياً بقضايا المجتمع، وانشغالات الإنسانية مخاطبة الضمير الإنساني، ومستجيبة لتطلعات الجماهير ومختلف الشرائح الاجتماعية.

رابعاً: نحن بحاجة إلى أطاريح مُعْرَقَة بالأفكار المسبقة، والثقافة الجاهزة، فليس لدى الباحث الجيد أفكار سابقة وإنّما تجيئه هذه الأفكار كلّما "أوغل في الإنتاج والعمل إن لم نقل إنّ هذه الأفكار لا تصبح واضحة محدّدة إلاّ بعد أن يكون العمل البحثي قد اكتمل"[1]، إنّ قصر النشاط البحثي على جملة من الأفكار والمبادئ المسبقة لا يمكن له في أحسن الأحوال أن يسفر إلاّ عن وصف جزئي ومبتور للظاهرة المدروسة.

خامساً: إنّنا بحاجة إلى بحوث خارجية عن دوائر التكرار، والتبعية الفكرية، وذلك لا يكون إلاّ في ظل (الحرية المسؤولة)، وبإعطاء العقل العلمي مكانته في الذهن العربي بما يمكّننا من التمييز بين (الحقيقة وتفسيرها)، وبذلك يمكن أنْ نعطي لكلّ ميدان معرفي حقّه، وحدوده بما يسمح أنْ يصرّ (الدين) على صدق التجارب الذي يصل منها إلى الحقيقة، ونفرض على

---

[1] الفكر الديني في مواجهة العصر. د. عبد الكريم الخطيب- ص 105- مصر/ 1962م.

(العلم) احترام التفسيرات الدينية لهذه التجارب، وبذلك نلغي أي تعارض بين الدين والعلم ونؤكد أنّ الإيمان أكبر من الإدراك العلمي، فالعلم لا يستطيع أن يصف أشكال التجربة الدينية، ولكنّه لا يستطيع أن يحكم على قيمة مادتها، إنه قادر على وصف الخطوات السيكولوجية، أمّا الإيمان فيفسّرها، وذلك التفسير لا يمكن أن يُحكّم بصحته، أو بطلانه عن طريق الاختبار التجريبي في المعمل[1].

سادساً: إنّ من الضروري العمل على إعادة إحياء العناصر التوافقية التي عرفتها الثقافة العربية الإسلامية، وإزاحة كلّ الترسبات والآثار السلبية الخطيرة التي بانت على صفحاتها الراهنة، ومن هنا يمكن القول: إنّه لا يمكن لأيّ مشروع يدعو للتجديد، والتنمية أن ينهض ويؤثر من غير تأكيد التكامل بين (النّص) و(العقل)، وتأكيد الاتصال بين (الشريعة والفلسفة) التي هي من أهمّ مقومات تلك الثقافة، ومن أرقى سماتها الحيّة[2].

سابعاً: إننا بحاجة إلى بحوث ترفض أن يُحاكم واقعُنا العربي والإسلامي بمقاييس ونظريات، وأيديولوجيات أخرى، وذلك بالعمل على خلق فلسفة اجتماعية وأيديولوجية معّبرة عن مصالحنا بحيث تسهم في خلقها جماعات من الباحثين المستنيرين الذين لا يداخل قلوبهم الهوى، والتعصب الأعمى، والاعتقاد بأنّ أمتنا في غنى عن كلّ التجارب والأفكار الأممية الأخرى، إذ بدلاً من رفض أفكار الآخرين نحاول تكييفها لصالحنا، وإلاّ فلا ضير من طرح مالا ينفع منها. إنّ إنسانية الإسلام وارتباطه بسياق التطور الإنساني، وتاريخ التجربة الإنسانية هو ما يجب تأكيده دائماً، وبهذا التوجّه يمكن صنع ثقافة تترجم كلّ القواسم المشتركة بيننا وبين الآخرين.

ثامناً: لا بدّ من بحوث وأطاريح تلحُّ على دور العقل في بناء النهضة وتميّز بين العقل والنقل و(التوكلّ والتواكل)، وتتجاوز حالتين اثنتين لا تزالان في حدود (السلفية) أو (الإسلامية) وتحلّقان في هذه المحورين مما يدعو الباحثين العرب إلى مراجعة متأنية، وهادئة لقضايا كثيرة كادت تأخذ شكل المسلّمات مع أنّ الدارسين لم يتواصلوا إلى الآن إلى صيغ علمية

---

(1) ينظر: ثقافتنا والثنائيات المفتعلة، ص 63.

(2) مسألة التغيير بين المأزق والمخرج، علي حرب ص 228، مجلة التسامح (5).

ودقيقة تضع النقاط على الحروف وتأخذ طريقها إلى استلهام تراثنا العظيم من منطق علمي معاصر.

تاسعاً: لا بُدّ من بحوث تراقب بدقة دور الزمان والمكان والظرف الموضوعي في وجه أزمة الجفاف في المشاعر الإنسانية، والفتور في العلاقات، والعزلة، التي تضعها النرجسيّة والانغلاق على الذات، والإحساس بكآبة الوجود الإنساني، والميل إلى العنف الذي أصاب (نادي الدول الصناعية المتقدّمة).

عاشراً: أمّا من حيث المنهجية فإننا بحاجة إلى (منهجية تعدّدية) التي لا تُدرك بمعناها الأحادي البسيط، وإنّما بمعناها المركّب المفهومي الذي يمتلك مستوياته المتعدّدة التي تنطلق من فهم الواقع: أبنية، ومسارات، ومفاهيم، وأفكار، ومن ثمَّ قبول الآخر مساوياً ومختلفاً في آن. إنّ اقتناع الباحث بأنَّ هويته هي تعددية، بمعنى أنّها (سويّة، وجوديّة مبنية من تعارض الميول والأهواء، أو التباس المعاني، وتواتر الأضداد، بقدر ما هي مسرح لتعدّد الأطياف، والصور، والشخوص، والأصوات. ولذا فالتفكير على نحو تداولي، ومن منظور تعدّدي يعني أن مقاربة الظواهر وتفسير الوقائع، ومعالجة المشكلات تحتاج إلى أكثر من منهج، أو منطق، أو أنموذج[1].

حادي عشر: إنّ الباحث ليدعو الجامعات إلى العمل على إيجاد نهوض للفكر الفلسفي، وإصلاح العلاقة بين المناهج العلمية والفلسفة، فلا تطوّر حقيقي في الفكر وسلوكياته. وذلك يستلزم التنسيق بين الجامعات لإعادة الاعتبار للفلسفة، وإلى الدعوة إلى كتابة التاريخ العربي الإسلامي بتهشيم أو زعزعة بعض المسلّمات التي أسرف كثير من الباحثين في تكرارها بوصفها ثوابت قادّة لا يمكن أن يعريها نقد، أو نظر جديدين.

وإن المطلوب من الجامعات أن تشترط على دارسي الأدب شعره ونثره، الراوية، والمسرح، والقصة، والمقالة، وغير ذلك أن يقيموا رسائل تعي المناهج الحديثة في النقد الأدبي والفني، وتعي في الوقت نفسه مناهج القدماء، وبذلك يمكن مدّ الجسور بين الثقافات المتباعدة زماناً ومكاناً، سواء أكانت هذه الثقافات عربية، أو أجنبية، إنّنا بحاجة إلى أدوات فنية نباشر بها الأعمال الأدبية بثقة وإبداع، ولا يمكن لنا ذلك إلاّ بالاطلاع على المبتكر من النظريات، وعلى

---

(1)

المستنبط من الماضي، والموظّف في خدمة الحاضر. وعلى المستوى اللغوي فإنّ العرب بحاجة إلى معجم لغوي تطوريّ يضارع معجم (اكسفورد) أو (فيشر) وذلك لا يمكن بلوغهُ في حدود الإمكانات الفردية، وإنما من خلال حصيلة جهد بحثي جماعي يشترك فيه باحثون من جميع الجامعات العربية، وتقف وراءَه جهات مموّلة، سياسية، وعلمية.

ثاني عشر: لا بدَّ من الإشارة إلى أنّ حضور المؤسسات الثقافية الرسمية الدائم والحاسم أحياناً في صلب العمليات البحثية قد يكون له أثر سلبي على واقع الدراسات، والأبحاث، والرؤى والمفاهيم التي يحاول اكتشافها الباحثون. ممّا يشكل أزمة ثقافية عندنا بسبب ما تقوم به بعض المؤسسات الثقافية الرسمية من زيف، وقسر، واشتراط للمنتج الثقافي سواء أكان أكاديمياً، أو غير ذلك، بما يخرج تلك المؤسسات عن أهدافها الأساسية الإيجابية. ولعلّ مردّ هذا الخروج هو أنّ هذه المؤسسات قد خلطت بين أهدافها ومهامها الثقافية، والإعلامية والسياسية، بحيث صارت هذه المهام واحدة.وبدلاً من أن تكون المؤسسة الثقافية الرسمية مجدّدة، ومساعدة، بل خادمة للعملية البحثية، صارت عائقاً، ورقيباً، خصماً، وحكماً على الرغم من كونه بعضها لا يملك أيّ شرط من شروط الثقافة الواعية المبدعة.

إنّ إشاعة أخلاقيات الحوار، والبحث، والنقد، والتحليل، والمناقشة، والمناظرة والجدل في جوّ من الحرية المسؤولة. والهدف الإنساني الأشمل كفيل بإبداع بحوث فاعلة في حركة المجتمع. وخططه التنموية وعلى الأصعدة الحياتية كافة.

روافد البحث

1- الأسد، د. ناصر الدين: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التأريخية، ط7- مصر/ 1988م.

2- الأعسم، د. عبد الأمير: إشكالية النقد الراديكالي.

3- أمين، أحمد: فجر الإسلام. مكتبة نهضة مصر/ القاهرة.

4- د. عبد البديع لطفي: التركيب اللغوي للأدب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة/ 1970م.

5- البحيري، د. سعيد حسن: علم لغة النص، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجما- القاهرة/ 1997م.

6- بدوي، د. عبد الرحمن: مناهج البحث العلمي، دار النهضة- القاهرة/ 1963.

7- بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: د. رمضان عبد التواب- مصر/ 1977م.

8- بكار، د. عبد الكريم: القراءة المثمرة (مفاهيم وآليات).

9- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون- القاهرة/ 1948- 1950م.

10- جاد، د. وليم، ترجمة: د. حشمت قاسم، الدار العربية للموسوعات، بيروت/ 1983م.

11- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا- دار المعرفة/ 1978م.

12- جفريز، م.ن: فلسطين إليكم الحقيقة، ترجمة: أحمد خليل الحاج- الشارقة/ 2000.

13- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار- دار الكتب المصرية- القاهرة/ 1957م.

14- الجوهري: الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- دار الكتاب العربي- القاهرة/ 1956- 1957م.

15- جومان، د. كارل: الإبداع والعمل (دليل عملي للتفكير الإبداعي- ترجمة: ماهر عبد الهادي.
16- الجويني: د. مصطفى الصاوي: علم الأسلوب.
17- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون مكتبة المثنى- بغداد.
18- الحارثي، إبراهيم: تعليم التفكير- مكتبة الشقري السعودية/ 1424هـ.
19- الحارثي، إبراهيم: العادات العقلية وتنميتها لدى التلاميذ- مكتبة الشقري- السعودية/ 2002م.
20- حجازي، د. محمود فهمي: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة- القاهرة.
21- حرب، علي: مسألة التغيير بين المأزق والمخرج مجلة التسامح العدد (5) عُمان/ 1425هـ- 2004م.
22- الحوسني، إبراهيم راشد: أثر التحديث الغربي في الهوية في مجتمع إسلامي- الإمارات الشارقة/ 2001م.
23- حيدر، د. فريد عوض: علم الدلالة- دراسة نظرية تطبيقية مصر/ 1999م.
24- الخطابي: بيان إعجاز القرآن- القاهرة.
25- الخطيب، عبد الكريم، الفكر الديني في مواجهة العصر- مصر/ 1962م.
26- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون- تحقيق: حجر عاصي دار الهلال- بيروت/ 1988م.
27- خليل، د. إبراهيم: الأسلوبية ونظرية النص- عمان/ 1997م.
28- خمري، حسين: إنتاج معرفة بالنص- قسنطينة مجلة النصر- الأحد- 11 جانفي/ 1987م.
29- خليل، د. حلمي: العربية وعلم اللغة البنيوي- مصر.
30- الدوري، عبد العزيز: نشأة التاريخ عند العرب- مركز زايد للتراث والتاريخ- دبي 1420- 2000م.
31- أبوو ديب كمال، البنية الإيقاعية للشعر العربي- بيروت.

32- الربيعي، د. إسماعيل نوري: الغرب والإسلام: أضداد أم أنداد، مجلة التسامح- العدد (5) عُمان/ 1425هـ- 2004م.
33- ابن رشد: تهافت التهافت، تحقيق: سليمان دنيا ط3- بيروت.
34- ابن رشيق: العمدة في صناعة الشعر ونقده- القاهرة/ 1925.
35- الرماني: النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) دار المعارف- مصر.
36- الرميحي، د. محمد: المسلمون والعصر (كتاب العربي) رقم (14) الكويت/ 1987م.
37- رهيف، علي هداد: التوجّه الجامعي نحو البحوث النوعية، جامعة إبريل- 2004.
38- زكريا، د. إبراهيم: فلسفة الفن في الفكر المعاصر- مكتبة مصر/ القاهرة.
39- زاووي، سكينة: مدخل إلى الإطار المعرفي للمنهج البنيوي.
40- سرحان، د. سمير: النقد الموضوعي- مكتبة الأنجلو القاهرة.
41- سرنان، برتران سان: العقل في القرن العشرين، ترجمة: د. فاطمة الجيوشي.
42- السعدني، د. مصطفى: البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث- الإسكندرية/ 1987.
43- السكري، د. عادل: نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة.
44- د. سهيل فرح: حركة الخطاب الفلسفي المعاصر في لبنان وإشكالية العقل- من أعمال المؤتمر الفلسفي الثاني- عمان/ 1987.
45- سيبويه- الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون القاهرة.
46- السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية- بيروت/ 1408هـ- 1988.
47- الشافعي، زكريا بن محمد الأنصاري- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية- القاهرة.
48- شتا، د. السيد علي: البناء النظري لعلم الاجتماع- القاهرة.
49- شتا، د. السيد علي: علم الاجتماع اللغوي- القاهرة.

50- شحاته، د. حسن: البحوث العلمية والتربوية بين النظرية والتطبيق- مكتبة الدار العربية للكتاب- القاهرة/ 2000م.

51- الشرقاوي، الفكر الديني في مواجهة العصر (دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير في العصر الحديث)- دار العودة بيروت/ 1979.

52- الشلقاني، عبد الحميد، رواية اللغة- بيروت.

53- صفدي، مطاع: ما زلنا بانتظار المناضل الثقافي المربد العدد (31) بغداد/ 1987م.

54- ضيف، د. شوقي: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) القاهرة 1990م.

55- ضيف، د. شوقي: المدار النحوية- ط7- دار المعارف- مصر/ 1992م.

56- الطرابلسي، عبد الهادي: في منهجية الدراسة الأسلوبية- تونس/ 1988م.

57- عابدين، أ.د. عبد المجيد: مزالق في طريق البحث اللغوي والأدبي وتوثيق النصوص.

58- عبابنة، د. غازي حسين: إعداد البحث العلمي/ الأردن.

59- عبد الباسط، محمد حسن: أصول البحث الاجتماعي- مكتبة وهبة- القاهرة/ 1982.

60- د. عبد الرضا علي، موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه ط2- صنعاء/ 1996م.

61- د. عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية- دار صفاء- عمان- الأردن.

62- د. عبد القادر عبد الله: تكامل العقل والإيمان عند ابن رشد- مجلة التسامح العدد (5) عُمان- 1425هـ- 2004م.

63- عتيق، د. عبد العزيز، تاريخ النقد عند العرب- مصر.

64- عبيدات، د. ذوقان وزميلاه: البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه- دار الفكر- عمان/ 1417هـ- 1996م.

65- عزام برجس: علم تحقيق الوثائق- دمشق/ 1991م- 1992م.

66- العقاد، عباس: ما يقال عن الإسلام- مؤسسة دار الهلال مصر/ 1970م.

67- عفيفي، د. أبو العلا، المنطق التوجيهي- مصر.

68- العلاق، د. بشير: فن كتابة التقارير والبحوث عمّان- الأردن.

69- عناني، محمد: المصطلحات الأدبية الحديثة.

70- العوالمة، د. نائل عبد الحافظ، أساليب البحث العلمي (الأسس النظرية) عمّان- الأردن.

71- عويس، د. عبد الحليم: العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري- الكويت- 1401هـ- 1981م.

72- عياد، د. سامي، وميلاه: معجم المصطلحات اللسانيات الحديثة- ناشرون- بيروت.

73- غازي، د. يوسف: مدخل إلى الألسنية- دمشق/ 1985م.

74- فضل، د. صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار توبار- مكتبة لبنان- الشركة المصرية للنشر/ 1982م.

75- فضل، د. صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي القاهرة/ 1978م.

76- الفيروز آبادي: بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز- تحقيق: محمد علي النجار- المكتبة العلمية- بيروت.

77- ابن قتيبة: الشعر والشعراء- تحقيق: أحمد محمد شاكر القاهرة/ 1364هـ

78- قدور، د. أحمد محمد: مبادئ اللسانيات.

79- القريشي، د. علي: ثقافتنا والثنائيات المفتعلة مجلة الكويت- العدد (246)، الكويت.

80- قنصرة، د. صلاح: دور المنهج العلمي في النقد الفلسفي العربي، من أعمال المؤتمر الفلسفي العربي الثاني عمّان- ديسمبر/ 1987.

81- الكيلاني، د. عبد الله زيد، دليل الرسائل والأطروحات الجامعية- بيروت.

82- كييف، وهيربرت ويلبرج: التدريس من أجل التنمية، مكتبة التربية العربي- بيروت 1416هـ.

83- لانسون ومايبه: منهج البحث في الأدب واللغة، ترجمة: د. محمد مندور- بيروت/ 1946م.

84- بولحماير، د. مختار: تأملات في الثقافة والوعي قسنطينة- 1986م.

85- مجمع اللغة العربية المصري- المعجم الوجيز- القاهرة.
86- مصلوح، د. سعد: الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية) دار البحوث العلمية- الكويت/ 1980م.
87- ابن منظور: لسان العرب- طبعة بولاق- مصر.
88- مهدي كامل، في تمرحل التاريخ- بيروت/ 2001.
89- المهنا، د. عبد المجيد: مناهج البحث في علوم المكتبات والمعلومات.
90- موسوعة الأديان في العالم- بيروت/ 2001م.
91- مونين، جورج: مفاتيح الألسينة: عرّبه وذّيله بمعجم عربي فرنسي: الطيب البكوش- تونس/ 1981م.
92- ناشر محمد محمد ناشر: الفكر الإداري في الإسلام- دبي/ 1417هـ- 1997م.
93- نهر، د. هادي: الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها، دار الأمل- إربد/ 2005م.
94- نهر، د. هادي: الحروف والأصوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين- بحث- مجلة آداب المستنصرية/ بغداد 1986م.
95- نهر، د. هادي: مناهج الدراسات النحوية واللغوية في العالم العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين (بحث) مجلة آداب المستنصرية/ بغداد/ 1978م.
96- النويهي، د. محمد: نحو ثورة الفكر الديني- القاهرة/ 1983م.
97- الهراغي، الطايع: نقد الموقف التراثي- الصحافة- العدد.
98- وليم جاد: الاتصال أساس النشاط العلمي- ترجمة: د. حشمت قاسم_ الدار العربية للموسوعات بيروت/ 1983م.
99- وهبة، د. نخلة: كي لايتحول البحث التربوي إلى مهزلة.أسس البحث التربوي وأصوله- شركة المطبوعات للتوزيع والنشر/ 1998م.
100- ياقوت، د. أحمد سليمان- علم اللغة التقابلي- مصر.
Frenand Braude Eerits sur Fhistioion paris- 1969. -101
The Oxford English Dictanary. -102

ملحق رقم (1)

مشروع
خطة أطروحة الدكتوراه
لنيل درجة الدكتوراه

اسم الطالب:

عنوان الأطروحة:

مشروع خطة أطروحة الدكتوراه

اسم الطالب	
الرقم الجامعي	
الكلية	
القسم	
البرنامج القانوني	
العام الدراسي	
عنوان الرسالة باللغة العربية	
عنوان الرسالة باللغة الإنجليزية	
اسم المشرف	
تاريخ تقديم مشروع الخطة	

مقدمة

عنوان الأطروحة
THE TITTLE OF THE DISSERTATON

مشكلة الدراسة

THE STATEMENT OF THE PROBLEM

عناصر مشكلة الدراسة
ELEMENTS OF THE PROBLEM

فرضية البحث
RESEARCH HYPOTHESIS

تعريف المصطلحات
DEFINTIONS OF TERMS

محددات البحث
RESERCH LIMTATIONS

منهج البحث المستخدم
\RESERCH METHODOLOGY

مصادر معلومات البحث

DATA SOURCES

مراجع البحث
RESERCH REFERENCES

تصور عام للأطروحة
DISSERTATION OVERVIEW

ملحق (2)

دليل إعداد الرسائل الجامعية

لجامعة جدارا الأردنية الخاصة

مواصفات كتابة الرسائل الجامعية

أولاً: الإطار العام:

1- يكون الحد الأعلى لعدد صفحات الرسالة الجامعية (300) ثلاثمائة صفحة مطبوعة على ورق A4 ابيض.

2- يجب أن تبدأ الجملة بكلمة، ولا يجوز أن تبدأ برقم أو اختصار أو رمز، ففي هذه الحالات تحرر الأرقام أو الاختصارات أو الرموز كتابة.

3- تقليل الاختصارات ما أمكن وعدم استخدامها إلا للضرورة، وتكتب عند ورودها أول مرة كاملة، ويوضع الاختصار بين هلالين، فإذا وردت منظمة الصحة الدولية World Health Organization فيكتب اختصارها كالآتي: (WHO). ويستخدم الاختصار فقط في المرات اللاحقة دون وضعه بين هلالينت اللاحقة دون وضعه بين هلالينت اللاحقة دون وضعه بين هلالينت اللاحقة دون وضعه بين هلالينت اللاحقة دون وضعه بين هلالين، على أن يوضع في مقدمة الرسالة قائمة بالمختصرات الواردة فيها.

4- تبدأ عناوين الرسالة الرئيسية في صفحات جديدة، ولا يجوز أن تبدأ في وسط الصفحة أو آخرها.

5- عند الكتابة باللغة العربية يكون حجم الحرف 14 للمتن و16 للعناوين الرئيسة، وعند الكتابة باللغات الأخرى يكون حجم الحرف 12 للمتن و14 للعناوين الرئيسة، ويكون حجم الحرف 12 او أقل لكتابة المعادلات إذا كانت طويلة.

6- يكون شكل الحرف اللغة العربية Siplified Arabic Letters، ويكون شكل الحرف (Font) باللغة الإنجليزية واللغات الأخرى Roman Letters.

7- تكون المسافة بين السطور عند الكتابة باللغة العربية مسافة ونصف؛ أما عند الكتابة باللغات الأخرى فتكون مسافتين.

8- تكون المسافة عند كتابة العناوين الرئيسة وعناوين الجداول والرسومات والمراجع مسافة واحدة أما المسافة بين المرجع والذي يليه فتكون مسافتين.

9- يترك هامش مقداره 3.5سم على يمين الصفحة في النسخ العربية، وعلى يسارها في النسخ الأخرى ويكون مقدار كل هامش 2.5سم.

10- يكتب عنوان الجدول في الأعلى، ويكتب عنوان الشكل أو الرسم في أسفله، ويجب أن يكون العنوان في الحالتين معبراً عن محتواه.

11- ترقم الجداول والرسومات بشكل متسلسل لكل منها داخل الرسالة. ويجب أن تظهر الجداول والأشكال والرسومات مباشرة بعد ذكرها في النتائج والمناقشة، ولا يجوز وضعها في نهاية الرسالة.

12- يكتب عنوان الرسالة وعناوين الفصول بخط غامق (Bold).

ثانياً: ترقيم الصفحات:

تستخدم الحروف العربية الأبجدية (مثل أ، ب، ج،....) لترقيم الصفحات التمهيدية في حالة الكتابة باللغة العربية وتستخدم الأرقام الرومانية (مثل ....i.....ii ,ii) لترقيم الصفحات التمهيدية عند الكتابة باللغة الإنجليزية أو اللغات المعتمدة ويبدأ الترقيم باستخدام الأرقام من صفحة المقدمة، ويوضع الرقم أو الرمز في وسط أعلى الصفحة. ولا يظهر الرقم على صفحة العنوان وصفحة التوقيع. وفي حالة الجداول أو الأشكال المطبوعة بشكل مستعرض (Landcape) بوضع الرقم أعلى الجدول أو الشكل. وعند تصغير الصفحة لا يجوز أن يشمل التصغير حجم رقم الصفحة.

ثالثاً: الحواشي:

تفصل هذه الملاحظات عن المتن بخط طوله 3.5سم، ويقع الخط أسفل المتن بمقدار مسافتين في وسط الصفحة، وتبدأ كتابة الملاحظة على بعد مسافتين من الخط.

رابعاً: تراعى في كتابة الرسالة/ الأطروحة الأمور الآتية:

1- اتباع الأسلوب العلمي الرصين في الكتابة على أن تكون الجمل قصيرة والمعاني واضحة ومباشرة.
2- مراعاة الدقة والوضوح في التعبير، سواء في اختيار الكلمة الواحدة، أم العبارة، أم الجملة.
3- يراعى في الكتابة التسلسل المنطقي للأفكار المطروحة.
4- تكون الكتابة وفق مخطط علمي دقيق يبين الأبواب والفصول والفروع مع مراعاة الانتقال من العام إلى الخاص.
5- تحري الدقة والأمانة العلمية عند الاستشهاد بالمصادر والمراجع.
6- تجنب اللحن، والخطأ والإسهاب، والصيغ المبتذلة، وضروب البيان والبديع من استعارات وكنايات ومجازات بعيدة ومعقدة، وإطلاق الكلمات والعبارات والتراكيب ذات الدلالات غير المحددة والمموهة والعائمة.
7- الابتعاد عن الأحكام القيمية والانطباعية المجردة.
8- الابتعاد عن الوصف المجردة للظواهر، والوقائع والمفاهيم المعينة من غير تشخيص لمتغيراتها، أو تحديد أبعادها، وتفسير أسبابها، وعللها.
9- تجنب استعمال الكلمات والعبارات الأجنبية إلا عند الضرورة القصوى، ولا بأس من كتابة المصطلحات الأجنبية برسمها في مقابل المصطلحات العربية.
10- لا بد من تشكيل بعض الكلمات، والآيات القرآنية، والأشعار، والأعلام، ولا بد وضع (الشدة) علامة للأدغام، وكتابة الهمزة برسمها منقطعة، أو متصلة.

11- لا بد من الالتزام بنظام الترقيم (Punctuation) وعلاماته التي تساعد على تنظيم الكتابة وتحديد الدلالة المرادة على وجه الوضوح والدقة.

12- يكتب الطالب ما لا يزيد على (5- 10) كلمات مفتاحية Keywords لأغراض فهرسة الرسالة بعد الملخص مباشرة.

محتويات الرسالة: تتكون الرسالة من الآتي:

أولاً: الصفحات التمهيدية:

تكتب عناوين الصفحات التمهيدية بحروف نافرة (Bold 20) وتشمل:

أ- **صفحة العنوان**: وتحتوي على:

1- عنوان الرسالة كما أقرت من الجهة المختصة وتكتب باللغتين العربية والإنجليزية.

Title of thesis or dissertationh as approved by the Faculty of Graduate Studies.

2- اسم الطالب (كما هو مسجل رسمياً في الجامعة).

Name of student (as registered in the University).

3- اسم المشرف (والمشرف المشارك إن وجد).

Name of supervisor (and cø- surpervisor, if applicable).

ثم العبارة الآتية:

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في.......

أو قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في.....

Thesis Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts/ Science.....etc............

Dissertation Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements form the Degree of Doctor of Philosophy in..........

Faculty	كلية
Jadara University	جامعة جدارا
Month and Year	الشهر والسنة

صفحة عنوان الرسالة

نموذج رقم (1)

جامعة جدارا	Jadara University
كلية..................	College

عنوان الرسالة/ الأطروحة

باللغتين العربية والإنجليزية

إعداد

(اسم الطالب كما هو معتمد في الجامعة)

المشرف

(اسم الدكتور المشرف)

قدمت هذه الرسالة/ الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة

الماجستير/ الدكتوراه في..................

كلية......................

جامعة جدارا

الشهر/ السنة

وفي حال وجود مشرف تكتب باللغة العربية هكذا:

نموذج رقم (2)

صفحة عنوان الرسالة/ الأطروحة

عنوان الرسالة باللغتين العربية والإنجليزية

إعداد

(اسم الطالب كما ورد في القبول والتسجيل)

المشرف

(اسم الدكتور المشرف)

المشرف المشارك

(اسم المشرف المشارك)

قدمت هذه الرسالة/ الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير/ الدكتوراه في..............

كلية..............

جامعة جدارا

الشهر/ السنة

نموذج رقم (3)

صفحة عنوان الرسالة باللغة الإنجليزية

(Title of Thesis/ Dissrtation)

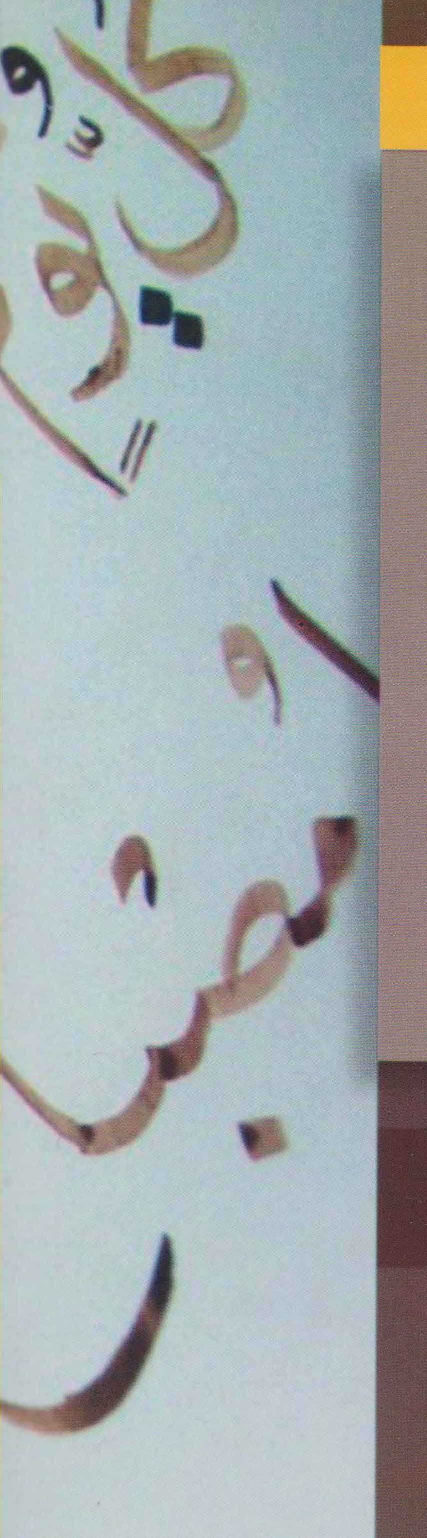
By:
(Name of student as recognized by the Registration Department)

Suprvisor
(Name of supervisor)

Thesis submitted in partial fulfillement for the Degree of Master's of Arts/ Science.................etc.................................

Faculty of............
Jadara University

Month/ Year



من هذا الكتاب

هذا كتاب موجز أحاول عبر صفحاته أن أضع بين أيدي طلبة الدراسات العليا في العلوم الإنسانية عموماً، وطلبة الدراسات اللغوية والأدبية على وجه الخصوص خلاصة تجربة إنسان حاول تحقيق شيء من المعرفة والعلم في نفسه، وكان له في عالم التدريس والبحث أعمال متواضعة امتدت على أكثر من ربع قرن من ا لزمن، وقد زيدت على هذه التجارب العلمية والعملية تجارب الآخرين ممن سبروا أغوار ا لبحث، ووضعوا بيننا رؤاهم، وأفكارهم، وخبراتهم التي تعين على تحسين أدائنا ونحن في صدد إنتاج المعرفة، سواء أكانت على شكل رسالة جامعية، أو بحث أكاديمي، أو كتاب علمي نريد أن ينتفع به الآخرون، ويوصل تجاربنا، وتلاقي أفكارنا جميعاً يمكن أن نتحصل على ما نستكمل به بحوثنا، ودراستنا، فالعلم عزيز المنال، رفيع الرقى لمن أزمع عليه، وانتظم في الصفوف الكريمة التي انتظمت فيه. ولا بُد لطالب العلم أن يظل دائماً في حدود صفة طالب العلم، لا يخرج عنها، ولا حصوله على ملكة من العلم تامة، أو دربة خاصة، أو تجارب وثيقة، فالعلم في الأذهان والصدور أكثر مما في السطور، ومن ظن أنّه قد استكمل حقائق العلم كلها فقد جهل إيّما جهل.



طباعة - نشر - توزيع
الأردن - اربد - شارع الجامعة
هاتف : 96227272272+ - خلوي : 0795264363
فاكس : 96227269909+
ص.ب 4369 - الرمز البريدي : 21110
almalktob@yahoo.com
almalktob@hotmail.com
almalktob@gmail.com



جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع
الأردن - العبدلي - مقابل جوهرة القدس
تلفاكس : 065667211